

الدكتور كرنيليوس فان ديك
ونهضة الديار الشامية في القرن التاسع عشر

يوسف خوري

رسالة قدمت الى دائرة التاريخ في الجامعة
الاميركية في بيروت تنميا لمتطلبات نيل
شهادة استاذ علوم .

تشرين الثاني ١٩٦٥

كلمة تصدير

اشتهر الدكتور كرنيليوس فان ديك ، خلال اقامته الطويلة في الديار الشامية بالعلم ، والفضل ، ولطف المعاشرة ، والظرف ، وسرعة الخاطر ، فضلا عما اكتنف اسمه من الاساطير التي لا تزال تتردد على الالسن حتى اليوم .

لقد كان السبب الذي حفزني لتدوين الاعمال الجليلة التي قام بها الدكتور فان ديك ، والسعي للكشف عن النواحي العلمية والخلقية والاجتماعية عنده ، رأي قرأته في مجلة الهلال للاستاذ جرجي زيدان يعزوفيه الفضل في النشأة العلمية في الديار الشامية الى الدكتور فان ديك . وكان رائدي خلال ذلك الاخلاص الكلي للحقيقة التاريخية وتتبعها حتى منابعها مخليا جانبا كل غرض او هوى .

ولا يسعني وانا اصل الى نهاية هذا البحث الا ان اشكر لحضرات اساتذتي الافاضل ما اولونيه من عناية فائقة وتوجيه سديد لم اكن لاستطيع بدونهما ان اتته . اخص بالشكر استاذي الفاضلين الدكتور قسطنطين زريق والدكتور نبيه امين فارص اللذين تفضلا واشرفا على هذه الرسالة بما عرف عنهما من دقة في التفكير والتوجيه . كما واني اشكر الاساتذة الكرام الدكتور فؤاد صروف والدكتور نقولا زياده والدكتور كمال الصليبي على توجيهاتهم الحكيمة التي كانت لي عوناً ونبراساً اهتدي به خلال كتابتي لهذه الرسالة .

يوسف قزما الخوري

المحتويــــــــــــــــات

١	المصادر
٢١	الحياة الفكرية في القرن التاسع عشر في الديار الشامية
٣٨	سيرة الدكتور فان ديك
٦٨	نشاط الدكتور فان ديك الديني
٩٩	نشاط الدكتور فان ديك التعليمي
١٣٨	نشاط الدكتور فان ديك العلمي
٢٢٢	مكانة الدكتور فان ديك العلمية

ان مجلة الميشنري هيرلد ، الناطقة الرسمية بلسان "المجمع الاميركي لهندوبي البعثات التبشيرية" (١) المؤسس في بوسطن عام ١٨١٠ ، هي اول مصدر اخذت تظهر فيه معلومات عما كان يقوم به الدكتور كرنيليوس فان ديك من نشاط في الديار الشامية ، بنشرها الرسائل التي كانت ترد ها من المرسلين الاميركيين المنتشرين في مختلف انحاء العالم ، بما في ذلك العاملين منهم في "الارسالية السورية" (٢) .

وحين انضم الدكتور فان ديك الى "الارسالية السورية" عام ١٨٤٠ اخذت تظهر اخباره كطبيب خلال سنوات خدمته الخمس الاولى في المجلدات ٣٦ - ٤١ (١٨٤٠ - ١٨٤٥) من هذه المجلة ، وبعد سياسته قسيسا عام ١٨٤٦ اصبحت تشير اليه كأحد المرسلين . واستمرت اخباره ، واخبار "الارسالية السورية" ، ترد في هذه المجلة حتى عام ١٨٦٩ حين اصبحت "الارسالية السورية" تحت اشراف الكنيسة المشيخية الانجيلية (٣) التي كان لها مجلة تعبر عنها تدعى الفورن ميشنري (٤) ، وفي سنة ١٨٨٦ اصدرت بدلا عنها مجلة تشيرشات هوم اند ابرود (٥) .

لقد اعتمدت ، خلال هذا البحث ، على المعلومات الواردة في هذه المجلات الثلاث ، في معظم الاحيان ، خصوصا فيما يتعلق منها بالتواريخ ، حتى في حال

(١) The American Board of Commissioners for Foreign Missions .

(٢) The Syria Mission

(٣) The Presbyterian Church

(٤) Foreign Missionary

(٥) Church at Home and Abroad

تعارضها مع مذكرات صاحب الترجمة التي نشرتها مجلة الهلال عام ١٩٠٦ . وذلك لانها في اخبارها تعتمد على رسائل المرسلين التي كانوا يكتبونها اما اثر وقوعها او بعد فترة وجيزة من حدوثها بينما كتبت مذكرات الدكتور فان ديك بعد زمن طويل من وقوعها . واكبر شاهد على ذلك تأريخ الدكتور فان ديك لافتتاح مدرسة عبيه بأنه جرى عام ١٨٤٧^(١) بينما ذكر في رسائله الى الميشنري هيرلد بان افتتاحها كان في ٩ تشرين الثاني سنة ١٨٤٦^(٢) .

لم تقتصر رسائل المرسلين الاميركيين العاملين في الديار الشامية ، التي كانت تنشرها هذه المجلات الثلاث ، على تدوين نشاط هؤلاء المرسلين في ميدان التبشير والوعظ وتوزيع الكتب الدينية والتعليم ، بل انها كانت ، بالرغم من الصبغة الدينية الغالبة عليها ، تشتمل على معلومات هامة فيما يتعلق بتاريخ المنطقة في تلك الحقبة من الزمن . فأننا نجد بين طيات مجلة الميشنري هيرلد الشيء الكثير من اهتمام المرسلين الاميركيين بحوادث الموارنة والدروز سنتي ١٨٤١ و ١٨٤٥ ، حتى ان الدكتور وليم طمسن (William Thomson) الذي كان موجودا في عين غنوب سنة ١٨٤١ وفي عبيه سنة ١٨٤٥ ، كان يدون احداث كل يوم بيومه ، ونشرتها له الميشنري هيرلد تحت عنوان " برقيات طمسن " (٣) .

بالاضافة الى هذا ، فإن بعض رسائل هؤلاء المرسلين كانت تذكر وصفا لاخلاق السكان وعاداتهم ، هذه العادات التي كان بعضهم يستهجنها ، الامر الذي دعا المرسل اسحق برد (Isaac Bird) احد كبار اوائل المرسلين

(١) " مذكرات الدكتور كرنيليوس فان ديك ، من سنة ١٨٣٩ - ١٨٥١ " ، الهلال ، ج ١٤ (١٩٠٦) ص ٢٧٩ . يشار اليه " مذكرات الدكتور فان ديك " .

(٢) الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٨٣ .

(٣) Journal of Mr. Thomson

الاميركيين للديار الشامية ، ان يذكر في احدى رسائله الى المجمع الاميركي للبعثات التبشيرية عند حديثه عن مؤهلات المرسل الذي سيختارونه للعمل في الديار الشامية بأن " بعض هؤلاء المرسلين يفقد تأثيره واحترامه بين المواطنين لعدم لباقتهم " (١) وكان يعلق بذلك على قول احد المواطنين له متذمرا بأن " المرسلين يرسلون لا لكي يدخلوا عادات جديدة على البلاد ، بل لكي يكرزوا ويبشروا بالانجيل " (٢) .
ولذلك نستطيع ان نعتبر ما ورد في هذه المجلات ، وبصورة خاصة الرسائل المعاصرة لمجريات الحوادث ، من الاصول .

-
- (١) رسالة برد للمجمع الاميركي لندوبي البعثات التبشيرية ، الميشنري هيرلد ، ج ٥١ (١٨٥٥) ص ٣١٣ .
(٢) الميشنري هيرلد ، ج ٥١ (١٨٥٥) ص ٣١٣ .

٢ - مكاريوس، شاهين، "المعارف في سورية"، المقتطف، ج ٧ (شباط ١٨٨٣) ص ٣٨٥ - ٣٩٢، وص ٤٦٠ - ٤٧٦، وص ٥٢٩ - ٥٣٧.

خطبة تلاها شاهين مكاريوس بالمجمع العلمي الشرقي في جلسة كانون الثاني عام ١٨٨٣. اورد فيها نبذة عن نشاط الدكتور فان ديك فيما يتعلق بتأسيس المدارس وتأليف الكتب واحياء الكثير "من العلوم العربية بواسطة طبعه اياها" (١) بمطبعة الأميركان. كان شاهين مكاريوس يعمل بمطبعة الأميركان حينما كان الدكتور فان ديك مسؤولاً عنها، ثم انيطت به، سنة ١٨٧٧، ادارة المقتطف من حيث الاهتمام بطبعه ونشره ومكاتبه وكلائه وجمع اشتراكاته (٢).

يذكر مكاريوس انه استقى المعلومات التي اوردها في هذه الخطبة من مجموع مئة رسالة كان قد استلمها بعد ان ارسل "الى الاقطار السورية نحو ثلاث مئة رسالة للاستعلام عن عدد المدارس والمعلمين والتلامذة وعن العلماء والمكاتب والجمعيات والمطابع وكل ما يتعلق بالعلم فورد لي [مكاريوس] اكثر من مئة جواب من موارد صادقة من علماء سورية وافاضلها من كل المذاهب والجهات ولم تزل محفوظة عندي لصدق الرواية" (٣) وقال في اخر خطبته فيما يتعلق بالرسائل التي استلمها: "وانامل ان اجمعها وقتاما في كتاب مطول" (٤).

(١) مكاريوس، شاهين، "المعارف في سورية"، المقتطف، ج ٧ (شباط

١٨٨٣) ص ٣٨٧.

(٢) "تاريخ المقتطف والعلم في عشرين عاما"، المقتطف، ج ٢٠ (ايار

١٨٩٦) ص ٣٢٤.

(٣) "المعارف في سورية" ص ٣٨٥.

(٤) المصدر ذاته، ص ٥٣٧.

ويعترف مكاريوس بان المعلومات التي حصل عليها ليست شاملة لان كان بود •
ان يذكر " شيئاً عن اجراءات حضرات الابرأ اليسوعيين وغيرهم من الاجانب او بالاحرى
عن افرادهم الذين خدموا وافادوا وطننا السوري بمؤلفاتهم ولكنني لمؤ الحظ لم اتمكن
من الحصول على مشتهى من هذا القبيل فترك هذا الباب مفتوحاً لغيرى لعله يفيدنا
عن بعض اعمال افرادهم الحميدة لنحفظه من جملة الاثار التاريخية " (١) ، ولم يتم
ذلك الا بعد ان انشئت مجلة المشرق سنة ١٨٩٨ واخذ الاب لويى شيخو اليسوعي
ينشر على صفحاتها ما كان يقوم به اليسوعيون من نشاط في حقل المعارف •
ان هذه الخطبة غنية بمعلوماتها عن فترة ما بعد سنة ١٨٦٠ لقرىها من
زمن كتابة المؤلف ولكثره ما شيد من المؤسسات العلمية فيها •

(١) المصدر ذاته ، ص ٣٨٩ •

٣ - " وضدها تتبين الاشياء " المقتطف ، ج ٨ (آب ١٨٨٤) ص ٦٩٨ - ٧٠٠ .

هذه مقالة ظهرت على صفحات المقتطف بدون ذكر مؤلفها الا ان منشئي المقتطف يذكران في " تاريخ المقتطف والعلم في عشرين عاما " (١) بأن " كل ما لم ينسب الى غيرنا هو من قلمنا انشاء كان او ترجمة او تلخيصا ولا يستثنى من ذلك الا خاتمة السنة الحادية عشرة وهي نصف صفحة كتبها صديقنا جرجي زيدان لما كان في ادارتنا واضطرتنا الحال ان نساقر الى القطر الشامي فجأة ٠٠٠ ومعلم اننا لم نشترك في كتابة كل مقالة منه [المقتطف] بل ان واحدا منا [الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر] كتب بعض المقالات والاخر كتب البعض الاخر " (٢) . ولعلها من قلم الدكتور نمر لما ورد فيها عند ذكر كتاب اصول الهيئة للدكتور فان ديك قوله : " ولم نخص هذا الكتاب بالذكر الا لان الفرصة سمحت لنا بالاطلاع على المكتبة التي لخص منها ايام تدريسنا له في المدرسة الكلية " (٣) والمعلم ان الدكتور نمر كان يدرس مادة الفلك ويساعد الدكتور فان ديك في اعمال المرصد الفلكي (٤) . ومهما يكن من امر فالمعلومات الواردة في هذه المقالة تدل على ان صاحبها كان على اتصال وثيق بالدكتور فان ديك وكل من الدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر كان له هذا الاتصال بحكم تلمذتهما عليه بالكلية السورية الانجيلية ومن ثم اثناء زمالتهما له بالتدريس فيها .

-
- (١) المقتطف ، ج ٢٠ (ايار ١٨٩٦) ص ٣٢١ - ٣٢٨ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٣٢٥ ، والمقتطف ، ج ٤٥ (١٩١٤) ص ٢٨٥ .
(٣) " وضدها تتبين الاشياء " ، المقتطف ، ج ٨ (آب ١٨٨٤) ص ٦٩٨ .
(٤) Annual Reports-Board of Managers - Syrian Protestant College ،
1966 - 1902 ، Beirut ، American University of Beirut ، 1963 ،
P. 39 . Hence forth cited as Annual Reports .

كتبت هذه المقالة لتذكر "النزرا القليل من مواهبه [فان ديك] ومناقبه
وخصاله وفعاله ، لا لبيان فضله ، ولا ينكره عاقل ، ولا لرضائه ، فان جميع معارفه
يعلمون انه لا يبالي بمدح الناس " (١) ، بالاضافة الى انها كانت ترد على قول
جريدة البشير اليسوعية بان الدكتور فان ديك " على كثرة تأليفه لا يرتفع مقامه عن
مقام مترجم " (٢) .

(١) "وبضدها تتبين الاشياء" ص ٦٩٨ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٦٩٨ .

٤ - صروف ، يعقوب ، سر النجاح (مترجم ^(١)) القاهرة ، المقتطف ،
الطبعة الثانية ، ١٨٨٦ .

يحتوى هذا الكتاب على سير اشهر الرجال الناجحين ، الذين تفوقوا على
اتراهم واصبحوا قدوة يضرب بهم المثل ، ليس باعتماد الصدفة سبيلا للنجاح بل
بمجموعة من الفضائل كانوا يتحلون بها ، منها : الاعتماد على النفس ، والثبات ،
والمثابرة ، والصبر والنشاط ، والشجاعة ، والاجتهاد . ولا يكتفي الكتاب بأيراد
سير هؤلاء الرجال فقط بل انه يعنى باستخراج العبر المفيدة من صفات اصحاب هذه
المسير .

ترجم الدكتور يعقوب صروف هذا الكتاب الى العربية سنة ١٨٧٦ اثنا تدرسه
مادتي الفيزياء واللغة العربية بالكلية السورية الانجيلية بنا على اقتراح استاذ
الدكتور فان ديك ، ولكنه لم يطبع الا في سنة ١٨٨٠ حيث " قيس له الله من دفع
نفقات طبعه فطبع في مدينة بيروت " ^(٢) . وفي سنة ١٨٨٦ اعيد طبعه في القاهرة
بعد انتقال المقتطف اليها في اوائل سنة ١٨٨٥ . ولقد اضيف اليه في طبعته
الثانية " شواهد وامثال عربية تقابل الشواهد والامثال الافرنجية " ^(٣) كما اضيف اليه
" سير كثيرين من الذين اشتهروا في بلاد المشرق " ^(٤) منها ترجمة ابن سينا وابراهيم
باشا المصرى والمعلم بطرس البستاني والدكتور كرنيليوس فان ديك التي نحن بصدد ها
هنا .

(١) Smiles , Samuel , Self Help , New York , Harper , 1860 .

(٢) صروف ، يعقوب ، سر النجاح ، القاهرة ، المقتطف ، الطبعة الثانية ،
١٨٨٦ ، ص ٣ . ولقد طبعت الطبعة الاولى على نفقة الكلية السورية

الانجيلية Annual Reports P. 53

(٣) المصدر ذاته ، ص ٣ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٣ .

يذكر الدكتور صروف انه قضى مع الدكتور فان ديك "عشر سنوات في عشرة مستمرة فلم نسمع منه ذكر ادنى عمل من اعماله في معرض الاستحسان ، وحاولنا المراسل الكثيرة ان نستشف منه القليل عن سيرة حياته فكان يحول مسائلنا الى غير المقصود ثم يستطرد منها الى ما يتخلص به من الجواب ويسد علينا باب السؤال ، ولذلك عانينا المشقات حتى وقفنا على طرف من سيرته نقلا عن اولاده واقاربه (١) .

ان هذه الترجمة تكاد تكون المصدر الوحيد عن نشأة الدكتور فان ديك وتحصيله العلم ، اذا استثنينا مصدرا اخر اذكر صاحبه انه نقل معلوماته المتعلقة بنشأة الدكتور كرنيليوس فان ديك عن ولده الدكتور وليم فان ديك (٢) ، كما انها تمتاز باوثق المعلومات عن صاحب الترجمة للفترة ما بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٨٣ ، التي توقفت الترجمة عندها ، ولانها الفترة التي كان صاحب الترجمة يعمل بها مدرسا بالكلية السورية الانجيلية وكان الدكتور صروف تلميذا له في بدايتها ثم زميلا له في التدريس بعد عام ١٨٧٤ . وبعد وفاة الدكتور فان ديك في ١٣ تشرين الثاني عام ١٨٩٥ نشرت هذه الترجمة بحذافيرها في المقتطف وضيف اليها اهم ما قام به من اعمال البر والتأليف والترجمة بعد استقالته من الكلية السورية الانجيلية في ١٨ كانون الاول عام ١٨٨٢ حتى وفاته ، كما اضاف اليها وصف اليوبيل الذهبي الذي اقيم للدكتور فان ديك في ٢ نيسان سنة ١٨٩٠ بمناسبة انقضاء خمسين عاما على وصوله الى بيروت وذلك نقلا عن جريدة لسان الحال (٣) البيروتية ، و اضاف ايضا وصف

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) Isis ، " Al - Hakim Cornelius Van Alen Van Dyek " ، Sa'di , Lutfi , Vol. 27 (1937) P. 20 - 45 .

(٣) " الدكتور كرنيليوس فان ديك " ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ٩٧ .

المأتم الذي جرى له ، بعثه مراسل المقتطف في بيروت ونشرت هذه الترجمة الاخيرة ،
بأستثناء نبذة المأتم ، في كتاب اعلام المقتطف الذي استخرجه الدكتور فؤاد صروف
من السير التي وردت في المقتطف (١) .

ولقد وردت معلومات اخرى عن الدكتور فان ديك على صفحات المقتطف ، ان كان
ما يتعلق منها بتقريظ مؤلفاته او ما كان يرد من اخبار عنه خلال نشر المقتطف لسيرة
احد المتصلين به كالدكتور يوحنا ورتبات والدكتور بوست والقس دانيال بلس وغيرهم ،
بالاضافة الى الرسالة التي بعثها الدكتور يعقوب صروف بمناسبة الاحتفال برفع الستار
عن تمثال الدكتور فان ديك الذي اقيم بالكلية السورية الانجيلية في ١١ نيسان عام
١٩١٣ . تلك الرسالة التي تصور لنا الدكتور كرنيليوس فان ديك ، كجميع ما ورد عنه
في المقتطف سابقا بأنه " قدوة لكل احد في كل شي " ، في العلم والتدقيق ،
في اللطف والدعة ، وفي محبة الحق والمجاهرة به ، في خوف الله وعمل الخير (٢) .

(١) صروف ، فؤاد ، " يعقوب صروف " ، رسالة العلم ، ج ٢٥ (١٩٥٨)
ص ٤٠٩ .

(٢) " تمثالا المرحومين الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات " ، الكلية ، ج ٤ ،
(نيسان ١٩١٣) ص ١٤٢ . ونشرت هذه الرسالة بمجلة المقتطف ،
ج ٤٢ (١٩١٣) ص ٤٨١ - ٤٨٤ .

٥ - "الاحتفال الخمسيني للعلامة الدكتور فان ديك" ، لسان الحال ، العدد ١٢٠١ ،

(٢٣ كانون الثاني ١٨٩٠) والعدد ١٢٢٢ (١٠ نيسان ١٨٩٠)

نشرت جريدة لسان الحال البيروتية بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٨٩٠ رسالة ،

وردت اليها من اللجنة العاملة للاحتفال باليوبيل الذهبي للدكتور فان ديك ، جاء

فيها بان بعض محبي الدكتور فان ديك انتخبوا لجنة عاملة برئاسة اسبر شقير وعضوية

حسن بيهم نائبا للرئيس وسليم منصور شهاب امينا للصندوق ، ومراد بارودي كاتباً ،

وعهد اليها " اتخاذ ما يلزم من التدابير للاكتتاب بتقديم الهدية [للدكتور فان ديك]

من سوريا ولبنان ومصر " (١) . ودعت اللجنة " جميع الوجهاً والادباء الكرام الذين

يودون الاشتراك معنا في البلدة [بيروت] وسائر الجهات الى مؤازرتها " (٢) .

واخذت جريدة لسان الحال تنشر على صفحاتها تباعاً اسماء المتبرعين والقيمة التي

تبرعوا بها حتى بلغ المجموع ٥٨٦٣٦ غرشاً و ٥ بارات (٣) .

وبتاريخ ١٠ نيسان نشرت لسان الحال وصفا شيقا للاحتفال بهذا اليوبيل

الذهبي الذي جرى في ٢ نيسان ١٨٩٠ ، مع تفصيل لكل ما جرى في تلك المناسبة .

(١) "الاحتفال الخمسيني للعلامة الدكتور فان ديك" ، لسان الحال ، العدد ١٢٠١ (٢٣ كانون الثاني ١٨٩٠) ص ١ .

(٢) المصدر ذاته .

(٣) "اشترك أبناء الوطن الكرام بالاحتفال بعيد الخمسين للدكتور فان ديك" ،

لسان الحال ، العدد ١٢٢١ (٣ نيسان ١٨٩٠) ص ١ .

- ٦ - تهاني الدكتور كرنيليوس فان ديك ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٩١ ، ٧١ ص .
- اثر الانهاء من القيام باجراء اليوبيل الذهبي للدكتور فان ديك جمعت اللجنة العاملة لليوبيل جميع ما بقي من خطب واشعار في تلك المناسبة ونشرته في كتاب بالاضافة الى وصف جريدة لسان الحال لهذا الاحتفال الذي ذكرت فيه مقتطفات من الخطب والقائد التي قبلت اثناء ذلك مع تسلسل وقوعها . وهذه قائمة بالخطب والقائد التي القيت اثناء الاحتفال والرسائل التي استلمها الدكتور فان ديك بهذه المناسبة والمقالات التي كتبها الجرائد والمجلات عنه .
- مقال جريدة الاهرام القاهرية الصادرة بتاريخ ١٢ كانون الثاني عام ١٨٩٠ ، " ليس للانسان الا ما سعى " .
- مقال جريدة لسان الحال البيروتية الصادرة بتاريخ ٢٣ كانون الثاني عام ١٨٩٠ ، " الاحتفال الخمسيني للدكتور فان ديك " ، ومقالها ايضا الصادر بتاريخ ١٠ نيسان ١٨٩٠ ، " يوبيل الدكتور فان ديك " .
- مقال مجلة المقتطف الوارد في عدد شهر شباط ١٨٩٠ ، " الدكتور فان ديك " .
- مقال مجلة الشفاء القاهرية الوارد في عدد شباط ١٨٩٠ ، " كرنيليوس فان ديك " .
- مقال مراسل جريدة اميركية لم يذكر اسمه ولا اسم الجريدة (بالانكليزية) .
- خطاب سليم كساب
- خطاب عمدة الجمعية الخيرية الانجيلية في بيروت .
- خطاب عمدة " جمعية باكورة سورية " .
- خطاب المعلم نعمة شديد يافت .
- خطاب الارسالية الاميركية (بالانكليزية) .
- رسالة البطريرك جراسيموس لطائفة الرم الارثوذكس .

- رسالة مطران طائفة الروم الارثوذكس في بيروت .
 - رسالة الدكتور اسكندر بارودي .
 - رسالة "جمعية شمس البر" .
 - رسالة جمعية الكتاب المقدس (بالانكليزية) .
 - رسالة عمدة مستشفى ماري يوحنا البروسي (بالانكليزية) .
 - رسالة الدكتور شبلي ابيلا .
 - رسالة اللجنة العاملة للاحتفال باليوبيل .
 - قصيدة ابراهيم الحوراني .
 - قصيدة الياس بهنا .
 - قصيدة القس مراد حداد .
 - قصيدة سليم سليم من طلاب الكلية السورية الانجيلية .
 - قصيدة جبران ميخائيل فوته .
 - وبرقية عائلة المعلم بطرس البستاني .
- وفي عام ١٩٠٠ طبع الدكتور اسكندر البارودي هذه التهاني بعد ان ترجم القسم الانكليزي منها الى العربية و اضاف اليها ٥٣ قصيدة في رثاء الدكتور فان ديك (١) وردت الى مجلة الطبيب التي كان يرأس تحريرها بالاضافة الى عشر خطب القيت بمناسبة الاحتفال باقامة تمثال للدكتور فان ديك في باحة مستشفى القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس في بيروت ، في كتاب دعاء حياة الدكتور كرنيليوس فان ديك .

(١) اوصى الدكتور فان ديك " بان لا ينطق بخطبة ولا تأبين عند دفنه " ولذلك ذكرت مجلة الطبيب البيروتية انها ستطبع جميع المراثي التي تصلها في كتاب وانها تقبل كل ما يرد اليها " بالمعنوية والشكر الجزيل " ، " مراثي الدكتور فان ديك " ، الطبيب ، ج ٧ (١٨٩٥) ص ٢٥٣ .

٧ - " زيدان ، جرجي ، كرنيليوس فان ديك " ، الهلال ، ج ٤ (ايلول ١٨٩٥) ص ٣ - ٨ ، ج ٤ (تشرين الاول ١٨٩٥) ص ٤٢ - ٤٨ .

كان جرجي زيدان يكتب في كل عدد من اعداد الهلال " تاريخ حادثة شهيرة او رجل عظيم " (١) مع عدم نشر تراجم الاحياء . ولكن يذكر بانه استلم غير اقتراح واحد لنشر ترجمة الدكتور كرنيليوس فان ديك وما انه اضطر مرة ان ينشر ترجمة رئيس وزراء بريطانيا غلاد ستون " وقد تكرر اقتراح حضرات القراء بشأن استاذنا [فان ديك] مع ما نحن فيه من الميل لنشر آثاره ، فجننا نفتتح سنتنا الرابعة برسمه استثناسا بحياه الطلق وثقاؤا بالخير والاقبال فقد استأنس الشرق بقدمه ، وتمتع اهله بالعلم والادب على يده ، فسنبسط ترجمة حال الاستاذ اخذا عن اوثق المصادر ، ومن جملتها ما رواه العلامة منشأ المقتطف في كتاب سر النجاح مع ما عرفناه بنفسنا يوم كنا بجواره وما سمعناه من حضرات انجاله . اما هو فلا يطمع احد بان يسمع منه شيئا عن سابق اعماله استنكافا منه للفخر " (٢) . اعتمد جرجي زيدان (٣) في كتابه هذه الترجمة على ما ورد في كتاب سر النجاح ، حتى انه في معظم الاحيان ينقل الاصل بحذافيره وفي البعض الاخر يحذف كلمة او يبدل اخرى . وقد خالفت هذه الترجمة التي ظهرت في الهلال ما ورد عن الدكتور فان ديك في كتاب سر النجاح في موضع واحد فقط عند ما ذكر ان عائلة فان ديك الهولندية الاصل هاجرت الى الولايات

-
- (١) " فاتحة السنة الاولى " ، الهلال ، ج ١ (ايلول ١٨٩٢) ص ١ .
(٢) " الدكتور كرنيليوس فان ديك " ، الهلال ، ج ٤ (ايلول ١٨٩٥) ص ٣ .
(٣) لم يكن جرجي زيدان يذيل اسمه عند نشر مقالاته في الهلال ولكنه ذكر ان " كل ما ينشر في الهلال يكتبه منشأ الهلال الا المقالات والفقرات التي يذكر اسم كاتبها او الاماكن التي المنقولة هي عنها " . الهلال ، ج ١٠ (تشرين الثاني ١٩١٠) ص ٩٢ .

المتحدة منذ مئتي سنة بينما يذكر الدكتور صروف في سر النجاح بان والدي الدكتور كرنيليوس فان ديك " هاجرا الى الولايات المتحدة باميركا " (١) واما فيما يتعلق بما عرفه عن الدكتور فان ديك بنفسه فيظهر تناقضه في نفس المجلد الذي ظهرت فيه هذه الترجمة فبينما نراه يقول هنا " ونذكر اننا شهدنا الصلاة على المرحوم البستاني يوم وفاته وقد طلب من الدكتور فان ديك تأبينه فوق وتلثم لسانه وارتعشت شفته وخنقته العبرات ولم يقو على الكلام ما خلا قوله " يا صديقي ورفيق صباي " كررها مرارا بصوت ممتزج بالبكاء فابكى كل من حضر " (٢) ، نراه يروي الحادثة ذاتها عندما كان يكتب ترجمة المعلم بطرس البستاني بقوله " رثاء الاستاذ [فان ديك] بلسان الصديق وبكاء بدموع الاخ الشقيق ، وما قاله وقد وقف لتأبينه في الكنيسة " (٣) ، ونشر خطاب فان ديك في تلك المناسبة ، ولعله نقل ذلك الخطاب عن دائرة المعارف للبستاني وهو المكان الوحيد الذي يذكر الخطاب (٤) .

- (١) سر النجاح ، ص ٢١٤ ، و اعلام المقتطف ، ص ١٢٩ .
- (٢) " الدكتور فان ديك " ، الهلال ، ج ٤ ، ص ٤ - ٥ ، ويذكر الدكتور يعقوب صروف ما يلي : " ولما توفي البستاني كان فان ديك اشد الناس حزنا على فقده ، حتى انه لما طلب منه تأبينه خنقته العبرات وتلثم لسانه عن الكلام وبقي برهة يردد قوله " يا صديقي صباي " حتى لم تعد ترى بين الحاضرين الا عينا تدمع وقلبا يتوجع " ، اعلام المقتطف ، ص ١٨١ .
- (٣) " المعلم بطرس البستاني " ، الهلال ، ج ٤ (شباط ١٨٩٦) ص ٣٦٢ .
- (٤) لم يتوقف العمل في اتمام دائرة المعارف اثر وفاة المعلم بطرس البستاني في اول ايار ١٨٨٣ بل تابع نجله سليم البستاني العمل وانهى الجزء السابع الذي كان قد بدأه والده وعند كلمة " دائرة المعارف " ذكر ما قالته الجرائد في والده ، ونشر خطاب فان ديك ايضا . راجع البستاني ، سليم ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة المعارف ، ج ٧ ، ١٨٨٣ ، ص ٥٩٤ .

ويحاول جرجي زيدان ان يعلل حدة طبع الدكتور فان ديك في شبوبيته بقوله "وحر الضمير يغلب ان يكون حاد الطبع لعدم صبره على المدالسة والمطالعة" (١) ولكن الاية تنقلب عند زيدان عندما يحاول ان يعلل حدة الطبع عند الدكتور جورج بوست (George Post) فبينما نراه يجد ما يبررها عند فان ديك نراه ينظر اليها كقيصة عند بوست فيقول " وكان الدكتور بوسط مع مهارته ونشاطه وعلمه حاد المزاج سريع الغضب فيه ميل الى الانتقام " (٢)

والجدير بالذكر ان هذه المقالة ظهرت في الهلال قبل وفاة الدكتور فان ديك بثلاثة عشر يوما ، ولقد نشرت بعدئذ في كتاب "تراجم مشاهير الشرق " . وفي عام ١٩٢٤ نشرت مجلة الهلال فصولا من مذكرات جرجي زيدان دعته " تاريخ اول ثورة مدرسية في العالم العربي - صفحات من مذكرات مؤسس الهلال " ، وهي عبارة عن تدوين لحادثة انتصار طلاب الكلية السورية الانجيلية عام ١٨٨٢ للدكتور ادون لويس (Edwin Lewis) وكل مجرياتها ووثائقها باستثناء الرسالة التي اتهم الطلاب الدكتور جورج بوست فيها بانه سبب " جميع المصائب التي تحدث " بهم وان القسودانيال بلس (Daniel Bliss) رئيس الكلية ، يدافع عنه (٣) .

-
- (١) "الدكتور فان ديك" ، الهلال ، ج ٤ ، ص ٤٧ .
(٢) زيدان ، جرجي ، " تاريخ اول ثورة مدرسية في العالم العربي - صفحات من مذكرات مؤسس الهلال " ، الهلال ، ج ٣٣ (ايلول ١٩٢٤) ص ٢٠ .
يشار اليها ، " مذكرات زيدان " .
(٣) هذه الرسالة موجودة في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت . وكانت مجلة المقتطف قد نشرتها في المجلد السابع عدد كانون الثاني عام ١٨٨٣ ص ٣٧٢ ولكن بدون ذكر الاسماء واضحة نقط مكانها .

٨ - جيب ، هنرى ، "خطبة تذكارية في ترجمة حياة الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، النشرة الاسبوعية ، عدد ١٥٥٨ (٧ كانون الاول ١٨٩٥) ص ٣٨٩ - ٣٩٣ وعدد ١٥٥٩ (١٤ كانون الاول ١٨٩٥) ص ٣٩٧ - ٤٠١ .

تليت هذه الخطبة في الكنيسة الانجيلية في بيروت بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ بعد اسبوع من وفاة الدكتور فان ديك " بموجب تقرير المرسلين الاميركيين في سورية ورضى اهل الفقيد " (١) والحاج كثير من معارف الدكتور فان ديك بعد ان كان قد اوصى " ان لا ينطق بخطبة ولا تأبين عند دفنه " (٢) يركز جيب كل اهتمامه في هذه الخطبة كي يعطي صورة مكبرة عن الناحية الدينية عند الدكتور فان ديك ، ولعل مناسبة القاها في الكنيسة دعت الى ذلك ولربما اراد ان يزيل ما علق بالانذهان بان نشاط الدكتور فان ديك كان مقتصرا على الناحية العلمية . ولذلك نراه يخصص القسم الاكبر منها الى نشاطه الديني بعد سياسته قميسا ثم الى ترجمة الكتاب المقدس الى العربية بينما يكاد يتجاهل كليا نشاطه العلمي في مدرسة عبيه والكلية السورية الانجيلية خلال ثلاثة وعشرين عاما . ولكنه يعود فيتم الصورة التي رسمها وذلك في كتابه الموسوم " ثلاثة وخمسون عاما في سورية " (٣) فيحدثنا عن نشاط فان ديك كطبيب وفي مدرسة عبيه ، وفي

(١) جيب ، هنرى ، "خطبة تذكارية في ترجمة حياة الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، النشرة الاسبوعية ، عدد ١٥٥٨ (٧ كانون الاول ١٨٩٥) ص ٣٩٠ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٣٩٠ .

(٣) Jessup , Henry , Fifty Three Years in Syria , New York , Fleming

H . Revell , 1910 , P. 104 - III .

مطبعة الاميركان ، واثناء عمله في ترجمة الكتاب المقدس ، وفي الكلية السورية
الانجيلية ، يعتمد في القسم السابق منها لوصوله الى بيروت عام ١٨٥٦ على ما ورد
منها في مجلة الميشنري هيرلد وفي ما يليها على مذكراته التي ضمنها كتابه هذا .

٩ - "مذكرات الدكتور فان ديك من سنة ١٨٣٩ - ١٨٥١" ، الهلال ، ج ١٤ ،
(كانون الثاني ١٩٠٦) ص ١٩٥ - ٢٠٥ وص ٢٧٣ - ٢٨٠ .

هذه مذكرات وجدها ادوار فان ديك ، نجل الدكتور فان ديك ، بين
اوراق والده " مكتوبة بالانكليزية بخط بيده دون فيها تاريخ اعماله واعمال المرسلين
الاميركان منذ خروجه من اميركا سنة ١٨٤٠ وسنة قبلها الى توطيد دعائم الطائفة
الانجيلية في سوريا سنة ١٨٥١ " (١) . ويذكر جرجي زيدان ان صديقه ادوار فان
ديك اطلعه عليها " فاستأذنا المستر ادوار في نشر هذه المفكرات فاذن لنا وهاك
ترجمتها " (٢) . وهذا يعني ان الترجمة من قلم تحرير الهلال .

ليست هذه المذكرات ترجمة ذاتية (Auto - Biography) ، لانها
تهمل بعض النواحي المتعلقة بالدكتور فان ديك كزواجه سنة ١٨٤٢ وسيامته قسيسا
سنة ١٨٤٦ ، ولكنها عبارة عن تدوين لاهم الاحداث التي جرت خلال هذه المدة
والدور الذي لعبه الدكتور فان ديك فيها . ويظهر من بعض تلميحات وردت فيها انها
كتبت بعد زمن طويل من وقوع حوادثها ، فيقول مثلا بينما كان يتحدث عن اغلاق مدرسة
عبيه سنة ١٨٤٥ واضطرابهم الى العودة الى بيروت ، " واظن ان الترتيل دخل
الكنيسة الانجيلية في ذلك الوقت وتعينت انا [فان ديك] والمستر هوايتن لتأليف
كتاب عربي للترتيل منظوما " (٣) . وفي موضع اخر يذكر ، عندما كان يتحدث عن بناء
المرسلين ، ان الغرفة الكبيرة من الطابق الثاني جعلت " مكتبا ابتداء فيه الدكتور

(١) "مذكرات الدكتور فان ديك من سنة ١٨٣٩ - ١٨٥١" ، الهلال ،

ج ١٤ (كانون الثاني ١٩٠٦) ص ١٩٥ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٩٥ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢٧٩ .

سميث بترجمة التوراة وفيها ايضا اتممت انا الترجمة بعده ^(١) والمعلوم ان الانتباه من ترجمة الكتاب المقدس كان بتاريخ ٢٢ آب ١٨٦٤ ^(٢) وهناك اشارات اخرى تفيد انها كتبت بعد هذا الزمن كقوله ان المعلم بطرس البستاني تعين ترجمانا في قنصلية الولايات المتحدة * وظل في هذا المنصب حتى توفي ^(٣) ، وقد توفي البستاني في اول ايار سنة ١٨٨٣ ، ولكن وضعت هذه الجملة في الاصل بين قوسين ولذلك اخشى ان يكون قلم تحرير الهلال قد اضافها . وقد سبق ان اشرت عند كلامي عن الميشنري هيرلد الى مسألة الاخطاء في التواريخ الواردة في هذه المذكرات ، واضيف هنا بأن بعض التواريخ فيها يجب ان تعدل للتناقض الظاهر فيها .

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٢٨٠ .
(٢) الميشنري هيرلد ، ج ٦٠ (١٨٦٠) ص ٣٦٣ رسالة الدكتور فان ديك بتاريخ ٣٠ آب ١٨٦٤ .
(٣) " مذكرات الدكتور فان ديك " ، ص ٢٠٤ .

الفصل الاول

الحياة الفكرية في القرن التاسع عشر في الديار الشامية

لعب الدكتور كرنيليوس فان ديك دورا فعالا في نهضة الديار الشامية في القرن التاسع عشر بفضل ما غرست يمينه في ميدان نشر العلوم ، تأسيسا للمدارس وتعليما للطلاب وتأليفا وترجمة للكتب ، والاثر الطيب الذي خلفته مبراته في نفوس معاصريه الذين عقدوا على حبه القلوب ، ولا بد لكل بحث دقيق واف حول هذا الدور الذي لعبه الدكتور فان ديك من التطرق الى ذكر نبذة عن الحياة الفكرية والثقافية في النصف الاول من القرن التاسع عشر قبل وصوله الى بيروت في الثاني من نيسان عام ١٨٤٠ .

بزغ نور القرن التاسع عشر والديار الشامية تزج تحت نير الحكم العثماني ، ذلك الحكم الغاشم الذي اتاخ بكله على صدر العالم العربي منذ القرن السادس عشر وعزله عن كل المؤثرات الخارجية تقريبا (١) ، باستثناء ما كان من اتصال الشاطي اللبناني بالغرب اما عن طريق خريجي المدرسة الشرقية المارونية في روميه (٢) الذين اشتهر منهم الصهيوني والحصري والرزقي في القرن السادس عشر والحاقلاني والبانبي والدويهي في القرن السابع عشر والسمعاني وفرحات في القرن الثامن عشر ، واما عن طريق الرهبانيات الفرنسية الاربع - الكرمليين والكبوشيين واليسوعيين (٣) واللعازاريين -

(١) فارس ، نبيه ، " اميركا والنهضة العربية الحديثة " ، الابحاث ، ج ١١ ، (ايلول ١٩٥٨) ص ٣٧٩ .

(٢) تأسست عام ١٥٨٤ ، " نوابغ المدرسة المارونية الاولى " ، المشرق ، ج ٢٢ ، (١٩٢٤) ص ١٧ و ١٠٠ و ٣٤١ و ٤٣٨ و ٤٩٧ و ٥٨٦ و ٧٠٨ .

(٣) كان للرهبانية اليسوعية مدارس في كل من بيروت وحلب ودمشق واديرة اخرى في مناطق مختلفة . وحين الغى البابا كليمنص الرابع عشر هذه الرهبانية عام ١٧٧٣ استمرت بالعمل في الديار الشامية الى سنة ١٧٧٦ فاستلمت رهبنة اللعازاريين اديرتهم ومدارسهم ، شيخو ، لويس ، المشرق ، ج ٣ (١٩٠٠) ص ٤٨٤ .

الذين قدموا الى الديار الشامية اثر اصدار البابا اوربانوس الثامن اوامره سنة ١٦٢٥ اليهم " بان يذهبوا الى انحاء الشام ليبشروا فيها بالايمان " (١) ، وقد استمرت هذه العزلة " دونما نقص " نحو ثلاثة قرون لتنتهي انتها " مفاجئا بحملة نابوليون على مصر عام ١٧٩٨ " (٢) هذه الحملة التي تركت اثرها البالغ في ارض الكنانة كما امتدت ثمارها بعدئذ الى الديار الشامية عن طريق حملة ابراهيم باشا عام ١٨٣١ .

كانت الحالة العلمية في سبات عميق وظلام دامس والامية متفشية حتى انه كان على المرء ان يفتش في بلد كبيروت " حتى لا اقول في كامل البلاد باجتهدا على من يقدر ان يقرأ مكتوبا ، او كما يقال ، يفك الحرف " (٣) . فالبلاد ، ولا سيما المدن منها ، كانت تكاد تكون خالية من المدارس العامة ، لولا بعض مدارس للمسلمين في الجوامع والزوايا (٤) واكبرها مدرسة الجامع الاموى في دمشق ومدارس

-
- (١) شيخو ، لويس ، " الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية " ، المشرق ، ج ٢٠ (١٩٢٢) ص ١٠٠٤ .
- (٢) فارس ، نبيه ، ص ٣٧٩ .
- (٣) البستاني ، بطرس ، خطبة في اداب العرب ، لا . ت . ص ٣٠ .
- (٤) جمع زاوية وهي التكية ، " وكانت الزاوية مدرسة يتلقى الصبيان فيها الدروس عن المريد ين يقرأون القرآن ويتعلمون التجويد والنحو والصرف والفقه والفرائض والحديث والتفسير والحساب " . طبارة ، شفيق ، " من معابد بيروت - الزوايا " ، اوراق لبنانية ، ج ١ (تشرين الاول ١٩٥٥) ص ٤٨٤ .

اخرى في كل من حلب وحمص وبيروت ، كما كانت هناك مدارس للشيعية انشأها مشايخ بيت علي الصغير في جبل عامل (لبنان) يؤمها الطلبة من الديار الشامية والعراق وفارس (١) ، وبعض مدارس مسيحية كمدرستي مار عبدا هريريا وزغرتا ومدارس صغيرة على مقربة من الكنائس والاديرة واكثرها لطائفة الموارنة في لبنان (٢) ، وكانت معظم هذه المدارس ابتدائية تقتصر على تدريس العلم الدينية وما يحتاج الى اتقانها من مبادئ الصرف والنحو ، وكان الشيخ او الكاهن يعلم الاطفال السور والايات الدينية او التراتيل الروحية (٣) . وكانت هناك مدرسة عين ورقة ، " ام المدارس الوطنية في هذه البلاد " (٤) ، التي كانت فيما سبق ديرا فحولها البطريرك يوسف التيان ، احد خريجي المدرسة الشرقية المارونية في روميه ، عام ١٧٨٩ الى مدرسة كبيرة على مثال مدرسة رومية . وكانت هذه المدرسة " مرتبة الصفوف ، تدرس فيها اللغات السريانية ، والايطالية ، واللاتينية ، والعربية بعلموها المختلفة من صرف ونحو وبيان وعروض ، مع الفصاحة والمنطق والفلسفة واللاهوت الادبي والنظري والحق القانوني والشرعية المدنية " (٥) . ومن ابرز خريجيهما احمد فارس الشدياق والمعلم بطرس البستاني .

-
- (١) زيدان ، جرجي ، " تاريخ النهضة العلمية الاخيرة في مصر والشام " ، الهلال ، ج ٩ (كانون الثاني ١٩٠١) ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .
 - (٢) مكاريوس ، شاهين ، " المعارف في سورية " ، المقتطف ، ج ٧ (نيسان ١٨٨٣) ص ٥٣٦ .
 - (٣) النصولي ، انيس ، " اسباب النهضة العربية " ، الكلية ، ج ١٠ ، (حزيران ١٩٢٤) ص ٣٦٣ .
 - (٤) البستاني ، بطرس ، ص ٣٦ .
 - (٥) البستاني ، فؤاد افرام ، " الحياة العقلية في لبنان قبل مائة عام " ، المشرق ، ج ٢٧ (١٩٢٩) ص ٢٧٩ .

وكانت الكتب نادرة غير ميسورة لقلة المطبوع منها واكثرها من المخطوطات في بعض الاديرة والمكاتب القديمة ، ولم يكن هناك جرائد ولا جمعيات ، ولا مطابع سوى مطبعة يد صغيرة في دير مار قزحيا ، تأسست في اوائل القرن السادس عشر ولم يطبع فيها سوى كتاب المزامير سنة ١٦١٠ " واخذت في نشر الكتب في اوائل القرن التاسع عشر " (١) ، واخرى في دير ماريوحنا الشوير ، اسسها عبد الله زاهر الحلبي في اوائل القرن الثامن عشر (٢) وواحدة في دير القديس جاورجيوس في بيروت ، تأسست في اواسط القرن الثامن عشر (٣) . وجميع هذه المطابع مسيحية (٤) - الاولى منها لطائفة الموارنة ، والثانية لطائفة الروم الكاثوليك ، والثالثة لطائفة الروم الارثوذكس - تطبع الكتب الدينية او المتعلقة بالفروض الكنسية ، من سواعي وكتب الادعية والصلوات ، وجميعها ناقصة التجهيز ، ضئيلة الانتاج ، لم يتجاوز اثرها الاوساط الكليريكية .

المحافل الادبية

وكانت المحافل الادبية قليلة اكبرها كان في بلاط الامير بشير الشهابي الكبير في بيت الدين ، الذي كان يضم الشعراء التالين نقولا الترك وپطرس كرامة والشيخ ناصيف اليازجي . وكان هؤلاء الشعراء يلقون قصائد المدح والموشحات ويجرون المناظرات الشعرية فيما بينهم على مسمع من امير البلاد وربما شطر كل شاعر ابیات مناظره وعارضها . وكم هناك " من جولة في المديح والوصف اشترك فيها جميع الشعراء فتنافسوا ، واتوا

-
- (١) ومن مطبوعاتها كتاب صلوات نهارية وليلية المعروف بالشبيبة ، طبع عام ١٨٠٨ وكتاب سر التوبة ، طبع عام ١٨٢٩ ، شيخو ، لويس ، " تاريخ فن الطباعة في المشرق " ، المشرق ، ج ٣ (١٩٠٠) ص ٢٥٦ . ويقول زيدان انها طبعت المزامير وترجمته السريانية سنة ١٥٨٥ ، زيدان ، جرجي ، " تاريخ الطباعة " ، الهلال ، ج ٦ (كانون الثاني ١٨٩٨) ص ٢٥٣ .
- (٢) شيخو ، " تاريخ فن الطباعة في المشرق " ، ص ٣٥٩ - ٣٦٢ .
- (٣) شيخو ، " تاريخ فن الطباعة في المشرق " ، ص ٥٠٢ .
- (٤) انشأ السيد عبد القادر القباني مطبعة الفنون عام ١٨٧٤ وهي اول مطبعة اسلامية ظهرت في بيروت ، شيخو ، " تاريخ فن الطباعة في المشرق " ، المشرق ، ج ٤ ، (١٩٠١) ص ٣١٩ .

بقصائد قد نراها تافهة في عصرنا ، على انها لا تخلو من فائدة لقياس قيمة المستوى الشعري في ذلك الوقت " (١) .

وقد شهد الشاعر الفرنسي لامرتين بعض هذه الحفلات ، فوصفها وصفا مستفيضاً ، في رحلته الى الشرق التي زار فيها لبنان ، وانتقد بعض الابيات الشعرية التي ترجمت له فقال : " انها تشوبها الزخرفة والتكلف ، ويشينها التلاعب اللفظي ، وتلك صفات اللغات والمدنيات الشائخة " . ولكن فيها على الرغم من ذلك مقدرة في الفن وتناسق في الافكار ، ارفع بكثير مما نتصوره عنها في اوروبا " (٢) .

لقد كانت الديار الشامية مطمحاً لانظار بناءة الامبراطوريات ، امثال نابوليون في اواخر القرن الثامن عشر ومحمد علي الكبير في اوائل القرن التاسع عشر ، كما كانت انظار ابنائها - المسيحيين منهم بصورة خاصة - تنو الى الغرب لانقاذهم من ظلم حكاهم الاتراك وحالة الانحطاط التي تردت اليها بلادهم ، وعلى حد قول الرحالة الالماني اولرڤ بسبارسيتزن الذي زار المنطقة عام ١٨٠٥ " ان قرية ازرق مكشوفة من جهاتها الاربع " . والمسيحيون فيها مضطهدون كثيراً من حكامهم الترك ، وهم لا يفقهون معنى تلك " الافرنج عن الاتيان لانقاذهم من ايادي ظالمهم " (٣) . كما كانت ايضا " مطمح انظار جماعة اخرى من الناس تنشد ان تنجز عن طريق الكلمة ما عجز اجدادها الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف ، وبعبارة اخرى ، تنشد احتلال مهد المسيحية واخضاع العالم كله للمسيح " (٤) .

(١) البستاني ، فؤاد افرام ، " الحياة العقلية في لبنان قبل مائة عام " ، ص ٢٦٧ .

(٢) Lamartine , Voyage en Orient (1841) P. 231 نقلاً عن " الحياة العقلية في لبنان " ص ٢٦٧ .

(٣) نلمن ، هرولد ، " اخبار عن سورية " ، الكلية ، ج ١٠ (تشرين الثاني ١٩٢٣) ص ١٦ .

(٤) فارس ، ص ٣٨٠ .

وهكذا بدأت البعثات الدينية في الربع الثاني من القرن التاسع عشر تغد الى لبنان ، حيث كان مرسلو المجمع الاميركي لمندوبي البعثات التبشيرية ، المؤسس في بوسطن عام ١٨١٠ ، يوزعون ، في اول امرهم ، الكتب الدينية المطبوعة في اوروة كالغزامير وكتاب العهد الجديد ^(١) ، ثم الكتب التي اخذت تطبعها مطبعة الاميركان ، التي اسسوها في مالطة عام ١٨٢٢ لهذه الغاية ، ومعظمها باللغات العربية ^(٢) واليونانية والايطالية والارمنية والتركية . واسس المرسل الاميركي بليني فسك (Pliny Fisk) ، وهو اول مرسل زار بيروت وقرر انها كمركز للارسالية افضل من القدس نظرا لمناخها وطبيعتها اهلها وقربها من الجبل واتصالها باوروة وسهولة ارسال الكتب منها الى دمشق والمدن الساحلية ^(٣) ، بالاشتراك مع زميله اسحق برد مدرسة في بيروت عام ١٨٢٢ كانا يعملان فيها اللغتين الانكليزية والايطالية . ويذكر لنا الدكتور اسعد خياط ، احد الذين درسوا في هذه المدرسة ، ان المرسل برد كان يعلمه الايطالية بينما كان فسك يعلمه الانكليزية ، " ولما عرف فسك اني غير

(١) الكتاب المقدس المطبوع في روميه عام ١٦٧١ ترجمة المطران سركيس الرزي :
Brief Documentary History of the Translation of the Scriptures into
the Arabic Language . Beirut , American Press, 1900, P. I ,
Hence forth cited as Translation of the Scriptures .

(٢) يذكر الطيباوي ، معتمدا على ارشيف المجمع الاميركي لمندوبي البعثات التبشيرية ، ان مطبعة الاميركان لم تطبع كتباً بالعربية الا في بيروت .
Tibawi , A.L. " The American Missionaries in Beirut" , St. Antony's
Papers No. 16 - M.E.A No. 3 - London 1963 , P. 147 .

ويذكر الاب لويس شيخوان مطبوعاتها العربية في مالطة بلغت ١٩ كتابا ،
" تاريخ فن الطباعة في المشرق " ، ص ٥٠٤ . وتعلن النشرة الاسبوعية
في العدد الثاني عشر الصادر بتاريخ ٢٥ اذار عام ١٨٧٣ ، صفحة ١٦
عن عزمها لشراء ١١ كتابا باسماء عربية من الكتب المطبوعة في مالطة .

ضليح في اللغة العربية استدعى اسعد الشدياق الشهير ليلقي علي وعلى سائر الطلبة دروسا عربية ، وكانت تلك الوساطة لتعرف الشدياق بالمرسلين " (١) واعتناقه مذهبهم ووفاته في دير قنوين لرفضه العودة الى حظيرة الكنيسة المارونية .

اضطرت الارساليات الدينية الانجيلية الى ان تحصر نشاطها في بيروت فقط ، اثر الاجتماع الذي عقد في عينطورة عام ١٨٢٣ بين جمعية لندن لشؤون الاراضي المقدسة وبين مرسلي المجمع الاميركي لندوبي البعثات التبشيرية وصدور امر من الامير بشير الشهابي الكبير للمجتمعين يقضي بمغادرتهم المكان والعودة الى بيروت ، كما اصدرت السلطات التركية امرا تمنع بموجبه توزيع جميع الاناجيل العربية المطبوعة في اوروبا ، سواء اكانت مطبوعة في رومية ام في بلاد انجيلية ، وذلك تجنباً للشقاق والمنازعات بين الاهالي (٢) ، بالاضافة الى المضايقات الجمة التي كانت تعترض سبيلهم كالحرمات التي كانت تصدر عن رجال الدين ، الموارنة والارثوذكس (٣) ، بحق كل عائلة ترسل اولادها الى مدارسهم ، واضطهاد كل شخص يعتنق مذهبهم او يقرأ الكتب التي كانوا يوزعونها . واخيرا اضطرا الاجانب ، الانكليز والاميركان منهم ، الى مغادرة بيروت كلياً عام ١٨٢٨ اثر تأييد بريطانيا للثوار اليونانيين . وفي عام ١٨٣٠ عاد المرسل برد الى بيروت .

(١) حتي ، فيليب ، " اسعد يعقوب الخياط " ، الكلية ، ج ١ (شباط

١٩٢٣) ص ١٧٨ . Koyat, A, A Voice From Lebanon, London, (1847), P. 36 .

(٢) Tibawi , P. 146 .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٤٥ و ص ١٤٨ .

ان الفشل كان مصير هذه المحاولة الاولى لاتصال الغرب المباشر بالديار الشامية اذ لم يتح لها المجال لتؤتي ثمارها ولكن الحوادث الجارية اتاحت لمحمد علي الكبير ، المتبني للكثير من الاراء الغربية ، ان يجهز جيشا الى الديار الشامية عام ١٨٣١ بقيادة ولده ابراهيم باشا الذي تم له الاستيلاء عليها كليا عام ١٨٣٢ .
وبما ان عزيز مصر كان يدرك اهمية موقع بيروت التجاري فقد اقام عليها الامير محمود نامي ، احد ضباط الجيش المصري الذي ارسلهم الى فرنسا لتلقي علومهم العالية .
وكان الامير محمود قد تخصص في الرياضيات ، وهو " من خيرة رجاله واشدهم نباهة " .
ولما رجع من فرنسا عينه محمد علي باشا محافظا على بيروت وابقاه في هذا المنصب سبع سنوات (١٨٣٣ - ١٨٤٠) تنشقت بيروت في خلالها نسيما منعشا من الغرب المتمدن فاستيقظت من سبات العصور وخطت في سبيل رقيها * (١) واستطاع ابراهيم باشا بحزمه ان يفرض هيبة السلطة على الاهالي فاستتب الامن بعد زمن طويل من الفوضى ، بالاضافة الى انه اظهر تسامحا تجاه البعثات الدينية الغربية ،
" وبذلك اتاح مجال العمل لقوتين : احدهما فرنسية والاخرى ^{امريكية} مسيحية ، قدر لهما ان تحضنا البعث العربي وترعياه " (٢) .

وكان الابطا اليسوعيون ، الذين عادوا الى ديرهم في عينطورة عام ١٨٣٣ ، اول من استغل هذا التسامح حيث فتحو مدرسة في القرية يدرسون فيها " الفرنسية والعربية والايطالية واللاتينية والحساب والجغرافية وعلمي الفلك والنجوم وعلم التاريخ

(١) رستم ، اسد ، " بيروت في عهد ابراهيم باشا المصري " ، الكلية ،

ج ١٣ ، [كانون الاول ١٩٢٧] ص ١٢٨ .

(٢) انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب (ترجمة ناصر الدين الاسد) ،

بيروت ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ ، ص ٩٧ .

وعلمي الانشاء والخطابة " (١) ، ولكن كان التشديد على اللغتين الفرنسية والعربية .
ويذكر احد الاباء اليسوعيين بان الهدف من تأسيس هذه المدرسة كان تثقيفا فيقول ،
" انه لما كانت رومية قد اظهرت مرارا بواسطة السيد اوفرن (Auvergne) ،
القاصد الرسولي وقتئذ في سورية ، رغبتها الى المرسلين المنتشرين في المشرق ان
يفتحوا مدارس لتثقيف الشبان في سورية ومصر وقبرس . وكانت الحكومة الفرنسية تشاطر
رومية هذه الامنية ملحة على المرسلين بواسطة المسيو كيسي (H. Guys)
قنصلها في بيروت . ومن ثم هموا بفتح مدرسة في عين طورا . فاعز الاب سالورني
(Salhorgne) الذي كان وقتئذ رئيس جمعية الرسالة العام الى الابوين
بوصو (Poussou) الذي كان رئيس رسالة سورية ولاروا (Leroy)
رئيس دير عين طورا في مباشرة هذا العمل الخيري وتقديم كل ما يلزم لاتمامه . وبعد
ما تم بناء المحلات اللازمة لاقبال التلامذة فتحت مدرسة عين طورا ابوابها للطلابين
للمرة الاولى . وذلك في اوائل شهر تشرين الاول سنة ١٨٣٤ . وهي اول مدرسة
وجدت في هذه البلاد لتعليم اللغة الفرنسية ولذلك دعيت ام المدارس " (٢)
وفي عام ١٨٣٤ ايضا نقل المرسل الاميركي عالي سميث (Eli Smith)
مطبعة الاميركان من مالطة الى بيروت " لما وجده فيها من الرجال المتعلمين بالعربية

(١) لاحد الاباء اليسوعيين ، "مدرسة عين طورا" ، المشرق ، ج ٣ (حزيران ١٩٠٠) ص ٥٥٠ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥٤٨ .

القادرين على مساعدته^(١) لنشر الكتب باللغة العربية ولكنها توقفت عن الطباعة بعد اربع سنوات لاعتقاد هذا المرسل ان حرف لندن الذي كانت تطبع فيه منذ تأسيسها لا يفي بالغرض^٠ ولذا رحل عام ١٨٣٩ الى ليزيك وفيها سبك حروفا عربية جديدة نقلا "عن احسن خطوط كتبه زمانه في الاستانة العلية" فصنع لاجسامها المختلفة نحو ١٥٠٠ قالب غاية في الاتقان وساعده على ذلك رجل اميركي حاذق يدعى هالك^٠ ومنذ ذاك الوقت دخلت المطبعة الاميركية في طور جديد^٠ وصار لحروفها صيت طيب، لنضارتها وحسن صورتها، فعرفت في بلادنا بالحروف الاميركية^٠ ثم مات عالي سميت في ١١ كانون الثاني ١٨٥٧ فتولى ادارة المطبعة الدكتور كرنيليوس فان ديك وكان رجلا مقداما على العمل فاهتم بتحسين ادوات المطبعة وزاد الحركات على الحروف وجلب لها الآلات البخارية حتى صارت من احسن المطابع الشرقية الى يومنا هذا^(٢)^٠ وفتحت السيدة سارة سميت (زوجة عالي سميت) في نيسان عام ١٨٣٥ مدرسة البنات الداخلية الاميركية في بيروت "فدخلها اربعون بنتا من الفرق المختلفة فتعلمن القراءة والجغرافية ومبادئ الحساب والكتاب المقدس والترنيم والانكليزية والخطاطة^٠ واول من تعلمت فيها^{٠٠٠} بنت اسمها راحيل عطا من بيروت^{٠٠٠} ثم اقترن بتلك الابنة راحيل العلامة المشهور المعلم بطرس البستاني^(٣)^٠ ولم يكتف

(١) شيخو، "تاريخ فن الطباعة في المشرق"، ص ٥٥٠^٠

(٢) المصدر ذاته، ص ٥٠٤ - ٥٠٥^٠

(٣) جسب، هنري، "احتفال تذكاري مدرسة البنات الاميركية"، النشرة الاسبوعية، عدد ١٤٧٤ (٢٧ نيسان ١٨٩٤) ص ١٢٩ - ١٣٠^٠

الاميركان بذلك بل عمد احدهم ، المرسل وليم طمسن الى فتح مدرسة في بيروت في كانون الاول عام ١٨٣٥ " لتعليم الصبيان باللغة الانكليزية ٠٠٠ وكان يعلم فيها بالعربية الصرف والنحو والقراءة ، وبالاكليزية الجبر والهندسة والفلسفة الطبيعية " (١) .

بالاضافة الى الجهود التي كانت تبذلها البعثات الدينية الاجنبية ، حاول ابراهيم باشا خلال فترة الحكم المصري (١٨٣١ - ١٨٤٠) ان يدخل على اساليب التعليم في الديار الشامية ما كان والده قد اقتبسه عن الغرب وادخله على اساليب التعليم في مصر ، ولكن لم يهبط له الجو الملائم لتعميم الفائدة المرجوة من مشروعه هذا لانشغاله بقمع الفتن والثورات التي اخذت تجابهه . فلقد اصبحت النقمة عليه وعلى جيشه ، في اخر حكمه ، عامة كما كان الترحيب به عند احتلاله المنطقة عام (٢) وذلك نتيجة للاطماع الاجنبية في المحافظة على "الرجل المريض" ولخيبة الامل التي علقها عليه جميع الفئات في الديار الشامية ، فثار عليه وتعاهدت فيما بينها -

دروزا ونصارى وشيعة وسنة - "على ان يحاربوا ليستردوا استقلالهم او ان يموتوا" (٣) ، فأضطروا الى ان يغادروا المنطقة بعد ان هاجمت سفن بريطانية ونمساوية وتركية كلا من بيروت وعكا . ولم تكد تنقضي سنة على مغادرة الجيش المصري حتى انقلب تضامن هذه الفئات ضده الى نزاع حاد بين طائفتي الدروز والموارنة مما ادى الى اضطرابات داخلية هزت البلاد هزاعنيفا سنة ١٨٤١ وتكررت سنتي ١٨٤٥ و ١٨٦٠ .

-
- (١) مكاريوس ، " المعارف في سورية " ، ص ٣٨٦ .
(٢) انطونيوس ، ص ٨٧ .
(٣) حتي ، فيليب ، لبنان في التاريخ (ترجمة انيس فريجة) بيروت ، مؤسسة فرنكليين للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ ، ص ٥١٥ .

ويذكر لنا المرسلون الاميركان في رسائلهم ان الطلبات ، اثر هذه الحوادث الدامية المؤسفة ، اخذت تنهال عليهم تدعوهم لفتح المدارس في جميع الجهات اللبنانية ومعظمها من المتاوله والدروز وقرية حاصبيا وقرية مورانية (١) لم يذكر اسمها (١) ، وهكذا فتح المجال امامهم للعمل خارج بيروت حتى اننا نجد انهم فتحوا ٤ مدارس سنة ١٨٤١ (٢) ، واصبح عندهم ٢٢ مدرسة سنة ١٨٥٥ (٣) ، و ٣٠ مدرسة سنة ١٨٥٨ (٤) ، وقفز العدد سنة ١٨٦٢ الى ٤١ مدرسة فيها ١٤٨ طالبا (٥) .

وتجدر الاشارة هنا الى ان التسابق على انشاء المدارس كان محصورا بين اليسوعيين والكرمليين والكبوشيين واللعازاريين من جهة والمرسلين الاميركان من جهة اخرى ، وكلما حاولت احدى هذه البعثات القيام باى عمل ما الا فعلت الاخرى مثلها . وقدم هذا التسابق للمنطقة مدرستين بمنزلة المدارس الثانوية ، اولاهما مدرسة عبيه (٦) انشأها الاميركان سنة ١٨٤٦ وقد مهدت الطريق امام الكلية السورية الانجيلية التي تأسست في بيروت سنة ١٨٦٦ ، وثانيهما مدرسة غزير انشأها الاباء اليسوعيون سنة ١٨٤٧ وتحولت سنة ١٨٧٥ الى كلية القديس يوسف في بيروت (٧) ، وكان لهاتين المؤسستين الثقافيتين ابلغ الاثر في خدمة العالم العربي والشرق الاوسط .

-
- (١) الميشنري هيرلد ، ج ٣٨ (١٨٤٢) ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
 - (٢) المصدر ذاته ، ج ٣٧ (١٨٤١) ص ٥٠٧ .
 - (٣) المصدر ذاته ، ج ٥٢ (١٨٥٦) ص ٤ .
 - (٤) المصدر ذاته ، ج ٥٥ (١٨٥٩) ص ٥ .
 - (٥) المصدر ذاته ، ج ٥٩ (١٨٦٣) ص ٤ .
 - (٦) فتحت ابوابها بتاريخ ٩ تشرين الثاني سنة ١٨٤٦ ، الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٨٣ - ٨٤ .
 - (٧) فتحت ابوابها بتاريخ ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٧٥ ، شيخو ، لويس ، " يوبيل كليتنا القضي " ، المشرق ، ج ٤ (كانون الثاني ١٩٠١) ص ٢ .

وبعد مضي ١٤ سنة على نقل مطبعة الاميركان الى بيروت انشأ اليسوعيون المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٤٨ " لخدمة الكنائس الشرقية والدفاع عن حقائق الايمان الكاثوليكي ونشرلوا" الاداب والعلوم في هذه الاصقاع" (١) . واستطاعت مطبعة الاميركان مع زميلتها الكاثوليكية ، بما قدمتا من كتب مدرسية تتناول مواد التعليم الاساسية ان تقلبا " في مدى السنوات القلائل الاولى اساليب التعليم والتربية التي كانت متبعة في ذلك الزمن " (٢) .

ولم يقتصر نشاط البعثات الدينية على فتح المدارس وطبع الكتب وتوزيعها بل تعداه الى مجال تأليف الجمعيات الادبية والعلمية لاذكا" روح الجماعة بين الاهلين ، ولتنمية المعرفة عن طريق اجتماعات دورية يلقي فيها الاعضاء ابحاثا اعدوها لهذه الغاية . وكانت اولى هذه الجمعيات " الجمعية السورية " التي انشئت بمساعي عالي سميت عام ١٨٤٧ (٣) . ويذكر عالي سميت في رسالة بعثها الى الجمعية الشرقية الالمانية (٤) ان انشاء هذه الجمعية قد تم بناء على الحاح مواطنين نجبا ، راغبين

(١) شيخو ، " تاريخ فن الطباعة في المشرق " ، المشرق ، ج ٣ (١٩٠٠) ص ٧٠٦ .

(٢) انطونيوس ، ص ١٠٣ .

(٣) يذكر الطيباوي انه اطلع ، في ارشيف المجمع الاميركي للبعثات التبشيرية ، على

رسالة بعثها بطرس البستاني بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٨٤٦ الى عالي

سميت ، الموجود وقتئذ في اميركا ، يعلمه فيها عن انشاء جمعية ادبية

تدعى " مجمع التهذيب " ، ومن اعضائها ناصيف اليازجي و ١١ عضوا من

البروتستانت الوطنيين والدكتورين كرنيليوس فان ديك وهنري دي فورست

الاميركيين Tibawi , P. 161.

(٤) Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft , Vol. 2 ,

(1848) PP. 378 - 384 .

بالمعرفة ، وبأنها تعقد اجتماعاتها مرة كل ١٤ يوما للقاء بعض الابحاث المعدة ومناقشتها كما أنهم يدعون للقاء محاضرات عامة (١) . ويتألف دستور هذه الجمعية من ١٥ بندا ، يحدد البند الثاني منه غاية الجمعية بما يلي : " انها من الرغبة عموما لاكتساب العلوم والفوائد مجردة عن الامور السياسية والمجادلات الديانية ، فانها لا تتعلق بهذه الجمعية " (٢) . ويظهر ان الاعضاء لم يتقيدوا بموعـد اجتماعاتها الدورية ، اولعلم عدلوه ، لانه " من سنة ١٨٤٧ الى اواخر ١٨٥١ بلغ - عدد جلساتها - ٥٣ جلسة وعدد اعضائها فوق الخمسين " (٣) .

وانشأ الابطاء اليسوعيون سنة ١٨٥٠ جمعية دعوها " الجمعية المشرقية " بمساعي الـاب هنرى دى برونيار (H. de Prunieres) ، غايتها " ليست الا لخير عام . غير منظوية على غايات خصوصية . ولا قصدنا بهذا ارباحا ذاتية الا زيادة التمدن لنا وللغير " (٤) . ويذكر نقولا منسا ، احد اعضائها ، في خطاب القاء بتاريخ اشباط ١٨٥٠ انه وجد " موافقا ان يكون افتتاح جمعيتنا في المحاوراة عن سوريا وما يتعلق بها من التواريخ والاطباع حيث ينبغي اولا ان يكون عندنا حق المعرفة في بلادنا ولا يقال : صرفوا وقتهم في مطالعة الفنون وهم عن حال بلادهم جاهلون " (٥) . ويعلق

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٣٧٨ .
 - (٢) المصدر ذاته ، ص ٣٧٩ .
 - (٣) مكاريوس ، " المعارف في سورية " ، ص ٣٨٢ .
 - (٤) سركيس ، يوسف البان ، " الجمعية المشرقية في بيروت " ، المشرق ، ج ١٢ ، (كانون الثاني ١٩٠٩) ص ٣٦ .
 - (٥) المصدر ذاته ، ص ٣٣ .

الاب لويس شيخو على انشاء هذه الجمعية بقوله " والظاهر ان الاب هنري دى برونيار مع ادباء الكاثوليك لم ينشئوا جمعيتهم المشرقية الا اقتداءً بالجمعية السورية لينكبوا بالكاثوليك عن الاضاليل البروتستانتية " (١) .

ان نظرة خاطفة على المواضيع التي القيت في هاتين الجمعيتين توضح لنا النواحي الفكرية التي كانت تأخذ اكبر قسط من اهتمام الاعضاء . وكان من بينها ما يلي :

في الجمعية السورية (٢)

- ١ - لذات العلم وفوائده للدكتور كرنيليوس فان ديك
- ٢ - فضل المتقدمين على المتأخرين للدكتور كرنيليوس فان ديك
- ٣ - مقدار زيادة العلم في سورية في هذا الجيل ليوحنا ورتبات
- ٤ - تعليم النساء لبطرس البستاني
- ٥ - علوم العرب لناصر اليازجي
- ٦ - النبات لنوفل نعمة الله نوفل
- ٧ - الشرائع الطبيعية لسليم نوفل
- ٨ - السعد والنحس لميخائيل مشاقه
- ٩ - مدينة بيروت لبطرس البستاني

(١) المصدر ذاته ، ص ٤٠ .

(٢) زيدان ، جرجي ، تاريخ اداب اللغة العربية ، القاهرة ، مطبعة الهلال ،
(طبعة منقحة بقلم الدكتور شوقي ضيف) ج ٤ ، ص ٦٩ .

وما تلي منها في الجمعية الشرقية (١)

- ١ - تواريخ سورية للشيخ الياس الدحداح
- ٢ - فوائد هذه الجمعية لنقولا منسا
- ٣ - وقائع وادي العاصي لراجي اده
- ٤ - حكم سليمان لجبرائيل الشراياتي
- ٥ - حكومة يوشافاط لراجي اده
- ٦ - الاجرام الفلكية لداود برتران
- ٧ - قوة الجذب للدكتور سوكه
- ٨ - جسم الماء لنقولا منسا

ومن اجدر بتقييم هذه الاسماء التي رسخت قواعدها في النصف الاول من القرن التاسع عشر وقامت عليها النهضة الفكرية في النصف الثاني من المعلم بطرس البستاني الذي عاصرها ورافق تطورها . لقد القى خطابا عن " اداب العرب " امام " محفل حافل من افرنج وابناء عرب " (٢) قارن فيه ما كانت عليه الحياة الفكرية في العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، قبل ظهور المطابع والكتب والمدارس ، مشيرا الى انها كانت توجب " عارا وخزيا على ابنا بلادى " (٣) وبأنها اصبحت في زمن القا خطابه في ١٥ شباط ١٨٥٩ " تقوى اماننا في المستقبل " (٤) ، ويعزوف فضل ما طرأ من تقدم الى الاجانب فيقول : " اننا اذا نظرنا الى الجيل التاسع عشر يفتح لنا باب الامل . فلتبشر

-
- (١) سرقيس ، ص ٣٧ .
 - (٢) البستاني ، بطرس ، خطبة في اداب العرب ، لا . ت . ص ٤٠ .
 - (٣) المصدر ذاته ، ص ٣٠ .
 - (٤) المصدر ذاته ، ص ٣٠ .

بنو سام لان اولاد عمهم بني يافت قد ابتدأوا يرجعون لهم ما اخذوه منهم مطبوعا وعلى
ظهره اكتشافاتهم المتأخرة نظير فائدة ، لا رياء ، عن مدة اربعمائة سنة
ويجب ان نضع المرسلين الامركان والرهبان والراهبات اللاتينية ، وعلى الخصوص
اليسوعية منهم واللعازرية ، في الرتبة الاولى من هذا القبيل . لان حسن قدوتهم
وفضل مساعيهم في هذا الامر بواسطة مدارسهم ومطابعهم ظاهران لا ينكرهما الا من
كان ناكرا الجميل او من اصحاب الغرض والتعصب " (١) .

الفصل الثاني

سيرة الدكتور كرنيليوس فان ديك

ولد الدكتور كرنيليوس فان ديك في الثالث عشر من آب سنة ١٨١٨ في بلدة كدرهوك (Kinderhook) من اعمال ولاية نيويورك بالولايات المتحدة الاميركية .
ووالداه هولنديا الاصل " من عائلة هاجرت الى اميركا منذ مئتي سنة " (١) وولد لهما سبعة بنين هو اصغرهم . تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة بلدته (٢) حيث ظهرت عليه مخائل الذكاء والفطنة فتعلم " اللاتينية واليونانية علاوة على الهولندية التي هي لغة اجداده وعلاوة على الانكليزية التي هي لغة مولده " (٣) .
ويذكر لنا الدكتور يعقوب صروف نقلا عن اولاد الدكتور فان ديك ما كانوا قد سمعوه من بعض اعمامهم عن اجتهاد والدهم اثناء تحصيله العلم بانه " حفظ لذاته اسما كل النباتات البرية (٤) التي تنمو في تلك النواحي ، وتعلم بنفسه ترتيبها وتقسيمها الى رتبها وصفوفها وفصائلها وانواعها حسب نظام لينوس [H. Leonus] النباتي الشهير ، وجمع روائعها وجففها ورتبها وسمها باسمائها حتى صار عنده منبته ذات شأن وهو صبي صغير وكل ذلك رغبة منه في العلم لا اجابة لطلب ولا امتثالا لامر

(١) زيدان ، جرجي ، " الدكتور فان ديك " ، الهلال ، ج ٤ (تشرين الاول ١٨٩٥) ص ٣ . ووافق السعدي على انها قدما منذ بضعة اجيال الى اميركا . Sa'di , P. 24 ولقد انفرد الدكتور يعقوب صروف بان والديه نفسيهما " هاجرا الى الولايات المتحدة باميركا " ، سر النجاح ، ص ٢١٥ .

(٢) Sa'di , P. 25

(٣) فنديك ، ادوار ، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٨٩٦ ، ص ٤٠١ .

(٤) يذكر السعدي ، بان احد اصدقاء الدكتور فان ديك علمه بعض العلوم في النبات وساعده لجمع بعض النباتات في تلك المنطقة . Sa'di, P. 25

” واصابت اياه مصيبة ذهبت بماله واورثته الفقراء ، وذلك انه كفل صديقا له على مبلغ من المال فخان الصديق وغدر فاضطر كفيله الى بيع كل ما يملكه من متاع وعقار صونا لشرفه من العار ووفاء لدين الغادر . ولذلك لم يستطع ان يؤازر ابنه الا بالنزول اليسير مما يحتاج اليه من الكتب ولوازم التعلم . فكان مدة بقاءه في بيت ابيه يدبر الكتب بوسائل شتى فتارة يستعيرها من رفاقه وتارة يستأجرها بدرهمات قليلات يجمعها وتارة يحفظ ما فيها بالسماع من قارئها وتارة يتذرع بالسعي في مصلحة انسان الى قراءة كتاب يقتنيه وتارة يجد ويرجع خائبا . وكان في تلك القرية طبيب كريم الاخلاق يقتني مكتبة فلما رأى اجتهاد الصبي كرنيليوس في تحصيل المعارف وجهاده للتغلب على مصاعب الفاقة اخذته الحمية ففتح له ابواب مكتبته وامتعه بمشتهى نفسه واماني صباه . وكان فيها كتاب كيفية الشهير في علم الحيوان فأكب على درسه ولم ينش عنه حتى اغترف كل ما فيه . ثم تعلم بنفسه كل ما تيسر له علمه عن حيوان بلاده . ولم يرض عليه زمان طويل حتى جرى في ميدان المعارف شوطا يذكر فجعل يخطب في علم الكيمياء على صف من بنات بلاده وهو ابن ثمانى عشرة سنة وكان ابوه طبيبا فجعل يدرس الطب في صباه عليه وكان يخدم في صيدليته فاتفق فن الصيدلة فيها علما وعملا ولما حصل ما تيسر له الحصول عليه عند ابيه جعل يتلقى الدروس الطبية في سبرنقيلد (Springfield) ثم اتم دروسه في مدرسة جفرسن الطبية (Jefferson College) بمدينة فيلادلفيا من مدن الولايات المتحدة حيث نال الدبلوما والرتبة الدكتورية في الطب (١) . وقد تخرج من هذه المدرسة سنة ١٨٣٩ غيبعت برسالة الى المجمع الاميركي للبعثات التبشيرية في بوسطن يخبرهم فيها عن عزمه بالانضمام الى الارساليات الدينية في الخارج (٢) .

(١) سر النجاح ، ص ٢١٥ - ٢١٧ . كررت هذه المعلومات في المقتطف ، ج ١٩ (١٨٩٥) ص ٨٨٣ ، كما كررت ايضا في اعلام المقتطف ، ص ١٢٩ - ١٨٠ . ونقل جرجي زيدان عن كتاب سر النجاح معظم هذه المعلومات بنصها ، الهلال ، ج ٤ (١٨٩٥) ص ٣ - ٤ .

كان الدكتور كرنيليوس فان ديك في بلدته كندرهوك عندما وصلته الموافقة على طلبه ، وكان عليه ان يذهب الى بوسطن للتعرف على رفاق السفر الى الشرق . فحدث انوا احرق الباخرة التي كانت ستقله من نيويورك الى بوسطن فتأخر عن السفر ولم يصل الى بوسطن الا بعد الاجل المضروب . ولحسن حظه تأخرت ايضا الباخرة التي كان من المقرر السفر عليها من بوسطن الى الشرق بسبب تجمد المياه . وفي ١٢ كانون الثاني سنة ١٨٤٠ " سافر من بوسطن باميركا جماعة من المرسلين قاصدين سوريا وهم هوايتن (G. Whiting) وامراته والمستر ولكوت (S. Wolcott) وامراته والمستر كايز (N. Keyes) وامراته والمستر لياندر طمسن (L. Thompson) وامراته وكرنيليوس فان ديك (انا) بدون امرأة . ٠٠٠ في مركب صغير محموله ٢٠٠ طن فكانوا مزدحمين فيه ازدحام السردين في العلب وكان قبطنه لطيفا اديبا . (١) .

وكان ذلك الشتاء قارسا ولو لم يكن لدى الدكتور فان ديك فروة تقيه شر البرد لكان دنى بذلك المعطف القصير والرقيق الذى كان نصيبه من المجمع الاميركي للبعثات التبشيرية (٢) . وبعد سفر دام خمسة واربعين يوما وصلوا الى ازمير ، ومنها كان عليهم ان يواصلوا السفر الى بيروت بواسطة باخرة نمساوية تسافر مرة في الشهر بين الاستانة ويافا عن طريق ازمير وبيروت . فسافروا الى بيروت ووصلوها في الثاني من نيسان ١٨٤٠ وجاء لمقابلتهم كل من الدكتور وليم طمسن وبيدل (E. Beadle) ولكن لم يؤذن لهما بالصعود الى الباخرة بسبب تطبيق مبدأ الحجر على جميع الواردات من تركيا في مرفأ بيروت ، التي كانت في ذلك الحين تحت حكم ابراهيم باشا ، فانزلتهم السلطات المسؤولة في المرفأ الى مركز الحجر بامتعتهم ، " وما امتعتي (فان ديك) غير صندوق

(١) " مذكرات الدكتور فان ديك " ، ص ١١٦ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١١٧ .

كتب وصندوق ثياب • فحبسونا هناك ١٤ يوما في غرفة تداعت جدرانها وتشقق سقفها
وكان المطر ذلك الربيع غزيرا فطال تمنعنا بالدلف^(١) • واطلق سراحهم في اليوم
الخامس عشر من نيسان^(٢) فدخلوا الى بيروت ونزل بعضهم في بيت الدكتور طمسن
والبعض الآخر في بيت بيدل كما نزل الدكتور فان ديك في غرفة المكتبة التابعة لمطبعة
الاميركان ريثما يقر الرأي على المكان الذي سيرسلون اليه^(٣) • ويذكر لنا جرجي زيدان
ان الدكتور فان ديك حفظ اثنا هذا الحجر "مئتي كلمة من اللغة العربية"^(٤) •
وفي الاجتماع السنوي لجماعة المرسلين الذي جرى في نيسان ١٨٤٠ تقرر
الا تعيين مراكز المرسلين الجدد الا بعد استطلاع المدن في شمالي سورية • وتعين
كل من الدكتور طمسن وبيدل والدكتور فان ديك للقيام بهذه المهمة الاستطلاعية في شمالي
سورية للبحث عن افضل المراكز التي تصلح للتبشير^(٥) • غادر ركب هذه البعثة
الاستطلاعية بيروت في السابع من ايار ١٨٤٠ متجهين نحو حلب وصحبتهن المعلم
طنوس الحداد وموزع الكتب ، ابو يوسف ، الذي اخذ معه كمية من الكتب لتوزيعها
على الجماعات التي سيمرون بها خلال الرحلة " تلك الجماعات المحرومة من الكتب

(١) المصدر ذاته ، ص ١٩٧ — ١٩٨ •

(٢) يقول زيدان انهم اقاموا " في الحجر اربعين يوما " ، الهلال ، ج ٤ (١٨٩٥) ص ٤ •

(٣) " مذكرات الدكتور فان ديك " ، ص ١٩٨ •

(٤) زيدان ، " الدكتور كرنيليوس فان ديك " ، الهلال ، ج ٤ (١٨٩٥) ص ٤ •

(٥) الميشنري هيرلد ، ج ٣٦ (١٨٤٠) ص ٤٦٥ •

والمتشوقة لقراءتها^(١) فزاروا طرابلس واللاذقية وانطاكية وراس العين وحلب وحماه ،
وهنا اضطروا الى ان يعدلوا خططهم التي كانت تقضي بزيارة كل من حمص ودمشق
والعودة من هناك الى بيروت ، لانهم علموا اثنا وجودهم في حماه " ان اللبنانيين
تمردوا على ابراهيم باشا فاصبحت الطريق جنوبي حماه غير امينة الا حيث كان للحكومة
المصرية نفوذ وقد ذهب نفوذها في اثنا الثورة فاختل النظام وانتشراهل الدعارة
واللصوص يقتلون وينهبون . فاصطحبنا دليلا نصيريا في حماه وسافرنا الى قلعة الحصن
ودير مار جرجس الحميري فوصلنا الى طرابلس سالمين . وكانت الطريق بينها وبين بيروت
خطرة فركبنا البحر فوصلنا بيروت في اواخر مايو (ايار)^(٢) . وهكذا اتبحت الفرصة
للدكتور فان ديك لان يتعرف على احوال المنطقة الشمالية من سورية برفقة الدكتور
طمسن ذلك الرحالة الشهير الذي عرف عنه انه دقيق الملاحظة واسع الاطلاع فيما
يتعلق بكل ما كتب عن تلك المنطقة ، وتدل رسائل الدكتور طمسن حول هذه الرحلة
عن رغبته الشديدة في تفهم مذاهب السكان وعاداتهم وعقليتهم وسبر غورها ، كما انها
تدل على انه لم يترك شاردة او واردة تتعلق باحوال المنطقة الا لاحظها بعين
بصيرة نقادة^(٣) .

-
- (١) المصدر ذاته ، ج ٣٧ (١٩٤١) ص ٢٨ - ٢٩ .
(٢) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٠٠ ، ويذكر بيدل في رسالته الى
اميركا انهم وصلوا الى بيروت في الخامس من حزيران . الميشنري هيرلد ،
ج ٣٧ (١٨٤٠) ص ٢٠٩ .
(٣) ترك لنا الدكتور طمسن وصفا مسهبا لهذه الرحلة في مجلة الميشنري هيرلد ،
ج ٣٧ (١٨٤١) ص ٢٧ - ٣٦ ، و ٩٧ - ١٠٧ ، و ٢٣٣ - ٢٤٢ ،
و ٣٦٠ - ٣٦٥ . كما وصف زميله بيدل هذه الرحلة بصورة مجمل .
المصدر ذاته ، ص ٢٠٤ - ٢٠٨ .

وجدوا لدى وصولهم الى بيروت ان اكثرية المرسلين قد غادروها الى القدس لان الامير بشير الثاني الكبير كان نصيرا لابراهيم باشا . وقد اخذ هذا الاخير يبذل اقصى جهده في حشد اكبر عدد من الجنود في بيروت للدفاع ضد السفن التابعة للدول الغربية والتي كانت تؤيد السلطان التركي ضد محمد علي . فرسخ في الاذهان ان الحرب على قاب قوسين وان السواحل لا تلبث ان تكون في خطر وان جبل لبنان لا يحمي الاجانب وخصوصا المرسلين^(١) . فدعي الدكتور فان ديك للحاق بالمرسلين في القدس فوصلها في الرابع من تموز ، يوم عيد الحرية عند الاميركان وهناك تعرف على المعلم مخايل عرمان ، احد تلامذة مدرسة الدكتور طمسن في بيروت ، الذي ارسل الى القدس خصيصا ليعلم المرسلين اللغة العربية " وكان المرسلون في ذلك العهد يقاسون عذابا شديدا في التفتيش عن معلمين يلقون لتعليم اللغة العربية وكان في دير المخلص راهب اسمه دانيال مشهور بمعرفة هذه اللغة فانفذ المرسلون اثنين من تلامذة مدرستهم النباه الى دير المخلص واسترضوا الراهب دانيال بالمال الكثير ليعلمهما العربية ففعل وهما مخايل عرمان المذكور ورجل اخر نسيت اسمه^(٢) . واثنا وجوده في القدس تعلم الدكتور فان ديك العربية على يد مخايل عرمان^(٣) وبقي هناك ثمانية اشهر يعالج المرضى لان ذلك الصيف كان حارا لم ينج من الحمى الا اثنان من المرسلين هما هوايتن والدكتور فان ديك ، " وكانت الحمى وافدة اصيب بها معظم الرهبان اللاتينيين حتى طبيبهم وصيدليهم فاخذت [فان ديك] على عاتقي معالجة مرضاهم نحو ثلاثة اشهر ، بذل الاسقف والرهبان جهدهم في اثنائها بترغيبني في المذهب اللاتيني فلم ينجحوا^(٤) .

(١) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢٠٢ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٢٠٢ .

وفي شهر شباط ١٨٤١ (١) اتفق المرسلون الذين ذهبوا الى القدس على ان يعودوا الى بيروت عن طريق البر وذلك اثر استتباب الامن ومغادرة الجيوش المصرية ونفي الامير بشير الثاني الكبير الى مالطة ، " ولم تكن الطرق وعرة كثيرا ، ولكن القرى والبلاد في طريقنا كانت قد خلت من اهلها واحتلتها بعض الجنود التركية ، فقضينا الاحد في عكا وركبنا الى نهر القاسمية فوجدنا الخان مهجورا فبتنا فيه واستأنفنا المسير في الصباح التالي فوصلنا صيدا قبل الظهر وركبنا منها نوا الى بيروت . فلما وصلنا خان خلدة علمنا ان بيروت محاطة بنطاق صحي عند الحرش لان لبنان مصاب بمرض ظنوه الطاعون فاضطررنا ان ندخل بيروت من رمل الاوزاعي (٢) .

وجد الدكتور فان ديك لدى وصوله الى بيروت ان مدرسة الارشالية كانت مغلقة وذلك لان مفرزة الجنود البريطانيين التابعة لفرقة الهندسة كانت قد وصلت الى بيروت " ومعهم ضباطهم يطوفون البلاد للرسم والفرجة وكل ضابط يحتاج الى مترجم ، وعارفوا اللغة الانكليزية يومئذ قليلون لان اللغة الايطالية كانت الى ذلك الحين اكثر اللغات الافرنجية شيوعا في سوريا . فكان اولئك الضباط يسمعون تلامذتنا يتكلمون الانكليزية جيدا فيأخذونهم منا بدون استئذان قال ذلك الى اقفال المدرسة (٣) .

واثناء غيابه في القدس التجأ شاب ماروني الى المرسلين الاميركان في بيروت يطلب العمل معهم يدعى بطرس البستاني (٤) ، احد خريجي مدرسة عين ورقة المارونية ومعلم

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٠٣ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٠٣ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢٠٣ .

(٤) علق المرسلون الاميركان على المعلم بطرس البستاني ، منذ التحاقه بالعمل معهم ، اعظم الآمال . الميشنري هيرلد ، ج ٣٧ (١٨٤١) ص ٣٠٣ .

العربية فيها " وكان يعرف العربية وعلومها جيدا وله العلم بالسريانية " (١) ، فتعرف الدكتور فان ديك على المعلم بطرس البستاني " وكان كلاهما عزيزين فسكنا معا في بيت واحد وارتبطا من ذلك العهد برباط المودة والصداقة ، وبقيتا على ذلك طول الايام حتى صار يضرب المثل بصداقتهما " (٢) ، فاجتمع بذلك " زخمان فكريان عظيمان " (٣) . وفي ربيع ١٨٤١ قرر المرسلون الاميركان في اجتماعهم السنوي اقامة مركز للتبشير في حلب ، بناء على اقتراحات الدكتور طمسن ، وعين كل من بيدل والدكتور فان ديك للعمل هناك (٤) . فعاد ربيدل بيروت متوجها الى مركز عمله الجديد على ان يلحقه الدكتور فان ديك . ولكن يظهر انه عدل عن ارسال الدكتور فان ديك نتيجة للصعوبات التي واجهت بيدل هناك من قبل " الفئات البابوية " ولعدم استطاعته استئجار بيت للسكن بالحي المسيحي (٥) . ولذلك تقرر ، بناء على طلبات وردت الى

-
- (١) " مذكرات الدكتور فان ديك " ، ص ٢٠٤ .
(٢) اعلام المقتطف ، ص ١٨١ ، راجع ايضا الهلال ، ج ٤ (١٨٩٥) ص ٤ .
(٣) صروف ، فؤاد ، " تطور الفكر العلمي العربي في المئة العام الاخيرة " ،
الابحاث ، ج ١٥ (حزيران ١٩٦٢) ص ١٦٣ .
(٤) الميشنري هيرلد ، ج ٣٧ (١٨٤١) ص ٣٩١ .
(٥) المصدر ذاته ، ص ٤٠٤ .

المرسلين الاميركان من وجهاء الدروز ، " وهم آل جنبلاط وآل نكد وآل عماد وآل تلحوق وآل عبد الملك والامير احمد ارسلان وبعض آل القاضي " (١) ، ففتح مدرسة في كل من عين عيون ودير القمر ، يدرس الدكتور طمس في الاولى ، بينما يدرس الدكتور عالي سميث وولكوت والدكتور فان ديك ابنا اعيان الدروز في الثانية (٢) .

واثر شعور المرسلين الموجودين في الجبل بتفاقم الضغائن بين الدروز والموارنة غادروا دير القمر ولم يعض على خروجهم يومان (٣) حتى وقعت الحوادث فيها واستسلمت للدروز ، فكانت النتيجة انهزام الموارنة وخروجهم من الجبل واحراق منازلهم (٤) . فالتجأ كثيرون منهم الى بيروت وسكن بعضهم في منازل المرسلين الاميركان . وكان من جملة الذين التجأوا الى بيروت الشيخ بشارة الخوري من رشميا " فانه فر من دير القمر حافيا مجروحاً فنزل في بيت المعلم طنوس الحداد واقام عنده وقد دعيت [فان ديك] لمعالجة جراحه فوضعناه في احدى غرف المدرسة ولما شفي تعين مدرسا يعلم المرسلين الاميركان العربية " (٥) ، كما هاجر الى بيروت ايضا الشيخ ناصيف اليازجي الذي التحق

(١) " مذكرات الدكتور فان ديك " ، ص ٢٧٣ .

(٢) " The Sons of Druze Chiefs " ، الميشنري هيرلد ، ج ٣٧ ، (١٨٤١) ص ٥٠٧ .

(٣) " مذكرات الدكتور فان ديك " ، ص ٢٧٤ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٢٧٤ .

(٥) المصدر ذاته ، ص ٢٧٤ .

بالمرسلين الاميركان يعلم بعد ارسهم ويقوم بتصحيح مسودات مطبوعاتهم (١) . وهكذا
اخذ العربية عن الشيخ ناصيف اليازجي .

اجتمع المرسلون الاميركان في عينا ب في آب ١٨٤٢ وقرروا انشاء مراكز للتبشير
في جبل لبنان وكان الدكتور عالي سميث يدير اعمال المطبعة والدكتور طمس يدير
اعمال مدرسة الصبيان التي اعيد فتحها ، كما كان في بيروت من المرسلين بيدل
ولياندر طمس وكايز وفان ديك ، فتداولوا فيما بينهم في من يقيم بالجبل ، " فسئل
بيدل هل يقيم في لبنان صيفا وشتا " ، فاجاب : كلا . ثم سئل كايز ولياندر طمس
فاجابا بالسلب ايضا . ثم سألوني [فان ديك] فأجبت نعم ، على شرط ان تعطوني
ما يكفل ترميم مكان اسكن فيه . فدفعوا لي خمسمئة غرش ، رمت بها بيتا في عيتات ،
اصلحت ابوابه ونوافذه وسقفه ، واقمت فيه . وتقرر ان تكون عيتات مركزا للمبشرين في
الجبل وانا اتولى امره . وتقرر ايضا ان يأتيني وليم طمس في الربيع القادم للنظر في
ذلك . فقضيت ذلك الشتاء ودخلت في الربيع سنة ١٨٤٣ وترجمت في اتنا ذلك الشتاء
الاول كتاب التعليم المسيحي بحرفيته ثم نقحه عالي سميث تنقيحا قليلا . (٢) .
وفي ٢٣ كانون الاول سنة ١٨٤٢ اقترن الدكتور فان ديك بالانسة جوليا
ابيت (٣) ، بنت بيترا ب (P. Abott) ، القنصل الانكليزي العام الذي خدم
في بيروت من سنة ١٨٢٥ - ١٨٣٣ ، المشهورة بفضلها وحسن اخلاقها .

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٧٤ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٧٥ .

(٣) تزوجت والدتها سنة ١٨٣٥ من الدكتور وليم طمس بعد وفاة زوجته

الثانية . Jessup , P. I56

واصبحت تدعى فيما بعد بالسـت جوليا ، اسم احبه السوريون واحترموا صاحبه للطفها ودماثة اخلاقها ، " كما ان كثيرين منهم سموا بناتهم بهذا الاسم تيمنا بذكرى عروس ١٨٤٢ " (١) وقد اخ الشيخ ناصيف اليازجي هذا الزواج بيتين من الشعر .

كرنيليوس الكرم محله قد بات مقترنا بأكرم ناهد
هذا قران للمؤرخ جامع بدرا وشمسا ضمن برج واحد (٢)

ويتبين لنا من هذا التاريخ ان زواجه تم عام ١٨٤٢ . وكان زواجه هذا "عونا كبيرا له على اتقان اللغة العامية وحفظ امثالها . فقد كان لقرينته خادمة تدعى اسمى كانت نابغة في حفظ الامثال العامية اشبه بقاموس حي لها . فكان الدكتور يأخذ عنها الامثال والالفاظ العامية ويحفظها حتى تمكن منها " (٣) وذكر انه لم يكن في منزله عند زواجه " الا ستة كراسي قش ، وثلاث حلل ، ومائدتان من خشب غير مدهون ، وكانون من طين . غير ان ذلك كله لم يحط شيئا من منزلته ولا قلل شيئا من خدماته " (٤) .

(١) خطاب الدكتور وليم ادى بالنبابة عن "الارمالية السورية" في ذكرى الاحتفال باليوبيل الذهبي للدكتور فان ديك . تهاني العلامة الدكتور فان ديك ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٩١ ، ص ٦٧ .

(٢) ضمن محفوظات السيد مشعلاني ، بخط الشيخ ناصيف اليازجي وقد كتب على الصفحة الثانية بالانكليزية " هذان بيتان من الشعر نظمهما الشيخ ناصيف اليازجي بمناسبة زواج والدي " .

(٣) "الدكتور فان ديك" ، الهلال ، ج ٤ (تشرين الثاني ١٨٩٦) ص ٥ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٥ - ٦ .

وفي صيف ١٨٤٣ ذهب الدكتور طمسن الى قرية عبيه واشترى ارضا هناك كان عليها بناء قديم اصلحه وجعله مسكنا للمرسلين ورجع في الخريف الى بيروت وتم اثر ذلك نقل الدكتور فان ديك " من عيتات الى عبيه وكان الشتاء قارسا والبيت متخلخلا فصبرت [فان ديك] على ذلك الشتاء وفتحت مدرسة اعلم فيها الشبان وأعظ (١) . ولاختيار عبيه كمركز للتبشير اهمية بالغة في نظر المرسلين الاميركان ، لانها كانت قرية كبيرة عامرة وصحية وفيها اخلاط من الدروز والمارونيين والروم الارثوذكس وبعض الكاثوليك ، ولانها كانت وسطا بين بلاد الدروز وبلاد النصارى (٢) ومن اجل ذلك الغوا مركز القدس مؤقتا (٣) ونقلوا هوايتن الذي كان يشغل هذا المركز ، للانضمام الى الدكتورين طمسن وفان ديك للعمل في عبيه (٤) . فبنوا كنيسة هناك وفتحوا مدارس صغيرة في بعض انحاء القرية وبضواحيها بلغ عددها ثمانية جعلوها كمراكز للوعظ وكانوا يدرسون فيها خارج اوقات الوعظ (٥) . وفي تشرين الاول ١٨٤٥ ، اثيرت الحوادث الدامية بين الدروز والموارنة التي قام الدكتور فان ديك خلالها بمعالجتها

(١) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٧٥ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٧٥ .

(٣) وفي سنة ١٨٤٤ الغوا مركز القدس نهائيا ، حيث " كان المرسلون الانكليز التابعون للكنيسة الاسقفية الانكليزية يقدون على فلسطين اسرابا . ومنعا للمنافسة تقرر بين اللجننتين الانكليزية والاميركانية ان تختص اعمال الاسقفية بفلسطين واعمال الاميركان بسائر سوريا " . المصدر ذاته ، ص ٢٧٦ .

(٤) الميشنري هيرلد ، ج ٣٩ (١٨٤٣) ص ٣٣١ .

(٥) المصدر ذاته ، ج ٤٠ (١٨٤٤) ص ٢٠٥ . ج ٤١ (١٨٤٥) ص ٥ .

جرحى كلا الطرفين ، (١) اصدر شكيب افندي ، وزير الخارجية التركية الذي تعيين حاكما مدنيا على جبل لبنان ، اوامره الى جميع الاجانب بمغادرة الجبل ، فابلغ القنصل الاميركي المرسلين وجوب مغادرتهم عبيه فاقلعت المدرسة وعاد المرسلون الى بيروت (٢) . ويروى لنا الدكتور فان ديك في مذكراته انه الى ذلك الحين كان يلقد لباس اهل البلاد فكان يلبس " السراويل والطماقات والدامير المزركش بالقصب ، وهو زي الامراء واعيان لبنان في ذلك الحين . فاتفق يوم المعركة المشار اليها [معركة عبيه (٢) في ٩ ايار ١٨٤٥] (٣) انني دعيت لمعالجة مريض بالحارة السفلى في عبيه وكنت مقيما في العليا فركبت فرسي ونزلت وانا لا اعلم بمبلغ الثورة فما كدت اعود حتى سمعت اطلاق الرصاص ورايت الناس في هرج وحركة فسقت فرسي صعودا التمس منزلي فراني بعض الدروز ممن لا يعرفونني فظنوا من شكل لباسي وقيافتي وشقرة لوني اني من الامراء الشهابيين الموارنة فتصدى لي بضعة منهم ، قبض احدهم على لجام فرسي وهددني بالقتل ان لم انزل واسلم لهم نفسي . فاجفل الفرس في اثناء الجدل وانتصب على قائمته الخلفيتين ولجامه لا يزال في قبضة واحد منهم ، فلما رايت اصرارهم اخرجت رجلي من الركاب ورفست ذلك الرجل فوقع واطلقت العنان للفرس ، فوصلت الى البيت وانا لا اصدق اني نجوت من الموت . وصمت من ذلك الحين على تبديل الزي الوطني

(١) المصدر ذاته ، ج ٤١ (١٨٤٥) ص ٢٠٤ و ٣٤٥ .

(٢) المصدر ذاته ، ج ٤٢ (١٨٤٦) ص ٣٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ج ٤١ (١٨٤٥) ص ٣٤٤ . من رسالة للدكتور طمسن الذي ترك لنا وصفا لهذه الحوادث حسب تسلسلها التاريخي من نيسان حتى تموز ١٨٤٥ . المصدر ذاته ، ٢٤٢ - ٢٤٩ .

بالزى الافرنجي فابدلت السراويل والدامير بالسترة والبنطلون". (١) وبعد ان قضا
في بيروت حوالي الشهرين سمح لهم بالعودة الى عبيه في التاسع من كانون الاول
١٨٤٥ (٢) .

وفي ١٤ كانون الثاني ١٨٤٦ احتفل في كنيسة عبيه بسيامة الدكتور فان
ديك قسيسا (٣) . فقدم الموعظة باللغة العربية القس هويتن ، وقام الدكتور طمسن
بتقديم صلاة الرسامة ، واعطى القس لانو (J. Lanneau) يعين الشراكة (٤) ، وقدم
القس سيمون كلهون (S. Calhoun) (٥) بالتوصية الرسمية (٦) ثم قدم القس
لورى (T. Laurie) الصلاة الختامية (٧) . وهكذا اصبح فان ديك مبشرا (٨)

-
- (١) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .
(٢) الميشنري هيرلد ، ج ٤٢ (١٨٤٦) ص ١٤ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٢١١ .
(٤) Right hand of Fellowship
(٥) وصل الى بيروت سنة ١٨٤٤ وتقرر انشاء مدرسة للاهوت داخلية (Seminary)
تحت اشرافه حالما يتعلم العربية "مذكرات الدكتور فان ديك" ،
ص ٢٧٦ والميشنري هيرلد ، ج ٤١ (١٨٤٥) ص ٥ .
(٦) The Charge
(٧) حسب ، هنرى ، "خطبة تذكارية في ترجمة حياة الدكتور كرنيليوس فان
ديك" ، النشرة الاسبوعية ، عدد ٥٥٨ (٧ كانون الاول ١٨٩٥)
ص ٣٩٣ والميشنري هيرلد ، ج ٤٢ (١٨٤٦) ص ٢١١ - ٢١٢ .
(٨) كانت مجلة الميشنري هيرلد تشير الى فان ديك بالطبيب (Physician)
في مجلداتها ٣٦ - ٤٢ (١٨٤٠ - ١٨٤٦) ، وبعد سياحته اخذت
تشير اليه بالمبشر (Missionary)

فأخذ يعمل بنشاط في حقل التبشير " لمقدرته على التحدث بطلاقة باللغة العربية " (١) .

وتقرر في اجتماع المرسلين في ربيع ١٨٤٦ تجديد نظام مدرسة عبيه على ان تكون اللغة العربية لغة التدريس بها ، وعين كل من الدكتور فان ديك والمعلم بطرس البستاني للقيام بتلك المهمة (٢) . ولم يكن في اللغة العربية كتب مدرسية نفي بالغرض المطلوب فأخذوا يعلمان الطلاب في الصباح ويكبان على الدرس والمطالعة وتأليف الكتب المدرسية بعد الظهر وفي الليل (٣) . فآلف البستاني كتاب كشف الحجاب (٤) وكتاب بلوغ الارب في نحو العرب (٥) ، كما بذل الدكتور فان ديك ، منذ تأسيس المدرسة ، مجهودا جبارا في اعداد الكتب المدرسية في مختلف الحقول

-
- (١) الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٥٠ .
 - (٢) المصدر ذاته ، ص ٨٣ - ٨٤ .
 - (٣) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .
 - (٤) "كتاب مطول في علم الحساب طبع مرارا وذاع استعماله في سائر المدن السورية" ، "بطرس البستاني" ، الهلال ، ج ٤ (١٨٩٦) ص ٣٦٣ .
 - (٥) املاه على تلامذة مدرسة عبيه اثناء تدريسه فيها خلال المنتتين الدراسيتين ١٨٤٦ - ١٨٤٧ و ١٨٤٧ - ١٨٤٨ . البستاني ، سليم ، دائرة المعارف ، ج ٧ ، ص ٥٩٥ .

استغرق معظم وقته (١) . ولم يقتصر نشاطهما على الدرس والتدريس واعداد الكتب بل اشتركا بالنشاط الذي كانت تقوم به الجمعية السورية التي تأسست سنة ١٨٤٧ فكانا "ينزلان في اوقات جلساتها من عبيه الى بيروت ويخطبان ويباحثان وينشطان الجمعية حتى صارت جمعية منتظمة ، واقتنت مكتبة ثمينة القيمة من كتب خطية وغيرها تحتوي نحو ٥٠٠ مجلد (٢) . وفي سنة ١٨٤٨ نقل البستاني الى بيروت ليعمل مع الدكتور عالي سميث في ترجمة الكتاب المقدس وعين المعلم ميخائيل عرمان ليعلم مكانه (٣) . وبقي الدكتور فان ديك متوليا رئاسة مدرسة عبيه الى سنة ١٨٥١ حيث نقل الى صيدا برفقة الدكتور طمسن (٤) . ويذكر لنا في مذكراته عن سبب انتقاله هذا فيقول بانه كان علم "الصف الاول اربع سنوات حتى اتم دروسه وكان سمعان كلهون قد عاد من اجازته فتولى رئاستها عني وكان معاونه اولا المعلم ميخائيل عرمان ثم المعلم رزوق البرباري (٥) .

-
- (١) الميشنري هيرك ، ج ٤٦ (١٨٥٠) ص ٣٦٢ . وفي ج ٤٨ (١٨٥٢) ، ص ١٤٦ ورد في تقرير المرسلين انهم طبعوا كتابا في الجغرافيا للدكتور فان ديك . ويذكر الدكتور يعقوب صروف ان فان ديك "انشأ مع صديقه بطرس البستاني مدرسة عبيه الشهيرة وشرع من يومه في تأليف الكتب اللازمة للتدريس في تلك المدرسة . سر النجاح ، ص ٢١٨ .
- (٢) مكاريوس ، المعارف في سورية ، ص ٣٨٢ .
- (٣) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٧٩ .
- (٤) الميشنري هيرك ، ج ٤٨ (١٨٥٢) ص ٥ و ٣٣ .
- (٥) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٨٠ .

لقد عبر الدكتور فان ديك عن سروره العظيم لفكرة نقله الى مركز عمله الجديد في صيدا وتوابعها ، مع زميله الدكتور وليم طمسن ، لما يتيح له هذا المركز من فرص لتكريس نفسه لآعمال التبشير كليا (١) . اذ تقرر عنده ان يسلم نفسه منذ ذلك الوقت الى التبشير وخدمة الكلمة (٢) . فيحدثنا في احدى رسائله بانهما (فان ديك وطمسن) قضيا الصيف بكامله على ظهور الجياد ، واستمر على هذه الحال يتجولان من مكان الى اخر يبشران ويعالجان المرضى (٣) . ويعود في رسالة ثانية فيذكر بان كثرة اتصالاته بالسكان ومناقشته اياهم الامور الدينية - المناقشات الدينية كانت المواضيع الوحيدة التي كانا يتحدثان مع السكان بها - لا تترك له المجال الكافي لكتابة الرسائل الى الولايات المتحدة الاميركية (٤) . ولكثرة انتشار الانجيلية في حاصبيا وجديدة مرجعيون وأبل السقي وصور (٥) عين كل من المعلم طنوس الحداد ويوحنا ورتبات لمساعدتهما في أعمال التبشير في حاصبيا (٦) . واستطاع يوحنا ورتبات خلال هذه السنة (١٨٥١) ان يجمع تبرعات من الانجلييين في حاصبيا لبناء كنيسة هناك (٧) . وفي السنة التالية

-
- (١) الميشنري هيرلد ، ج ٤٧ (١٨٥١) ص ١٩٩ . و Jessup , P. 108
(٢) جسب ، "خطبة تذكارية" ، ص ٣٩٨ .
(٣) الميشنري هيرلد ، ج ٤٧ (١٨٥١) ص ٣٩٣ .
(٤) المصدر ذاته ، ج ٤٨ (١٨٥٢) ص ٩١ .
(٥) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٨٠ .
(٦) الميشنري هيرلد ، ج ٤٧ (١٨٥١) ص ٢١٢ .
(٧) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٨٠ .

(١٨٥٢) عين كل من الياس يعقوب للعمل في راشيا ، ويعقوب الحكيم للعمل في ابل السقي ، وشخص اخر من عائلة داغر للعمل في الخيام وذلك بناء على طلب الدكتور طمسن والدكتور فان ديك ، اللذين كانا يؤيدان الفكرة القائلة بان عمل التبشير بين المواطنين يجب ان يقوم به وطنيون من اهل البلاد وابعاد لابسى البرانيط (١) قدر الامكان عن الاتصال المباشر بالجماهير كما جاء في تقريرهما السنوي الى المجمع الاميركي للبعثات التبشيرية (٢) .

وفي اواسط سنة ١٨٥٣ سافر الدكتور فان ديك الى اميركا لقضاء سنة في مسقط رأسه ، ولكنه لم يخلد ، اثناء ذلك ، الى الراحة بل كان يتجول في الولايات المجاورة لمسقط رأسه ويلقي الخطب المؤثرة عن حقل التبشير الواسع في الديار الشامية (٣) حتى ان القس هنري جيب قال عن تأثير خطب الدكتور فان ديك في اميركا ، بعد مضي اربعين سنة ونيف عليها " ولا انسى خطابا تلاه في محفل سنوي في نيويورك في ١٢ ايار سنة ١٨٥٤ ، وكنت حينئذ تلميذا في مدرسة يونيون اللاهوتية " (٤) وقد اتاحت له هذه الزيارة الى اميركا ان يتعرف ، للمرة الاولى في حياته ، على المكتشفات الطبية الجديدة خصوصا ما يتعلق منها بالتجارب العملية حول الجراثيم . واستطاع عند عودته الى مركز عمله في صيدا في اواخر سنة ١٨٥٤ (٥) ان يحضر معه مجهرا

-
- (١) اي المرسلون الاميركان ، ويشير بذلك الى تقرير كان قد كتبه المعلم بطرس البستاني اثر زيارته لحاصبيا سنة ١٨٤٤ ، ونصح به المرسلين ان يكون التبشير على ايدي الوطنيين وابعاد لابسى البرانيط . الميشنري هيرلد ، ج ٤٠ (١٨٤٤) ص ٣٥٢ - ٣٦٤ .
- (٢) الميشنري هيرلد ، ج ٤٨ (١٨٥٢) ص ٩١ .
- (٣) الميشنري هيرلد ، ج ٥٠ (١٨٥٤) ص ٢٢٠ .
- (٤) جيب ، " خطبة تذكارية " ، ص ٣٩٨ .
- (٥) غادر بوسطن عائدا الى مركزه بتاريخ ٢٤ حزيران ١٨٥٤ . الميشنري هيرلد ، ج ٥٠ (١٨٥٤) ص ٢٨٣ .

صغيرا فكان بذلك اول طبيب يستعمل المجهر في الديار الشامية للاغراض الطبية (١) .
وفي سنة ١٨٥٥ بنيت كنيسة صيدا الانجيلية (٢) .
وهناك اشارة تدل على ان بيت الدكتور فان ديك والدكتور طمسن في صيدا ،
الذي كان بالقرب من سور البلدة ، كان يعج بالطلاب حيث كانا يعلمان هؤلاء الطلاب
الكتاب المقدس في المساء (٣) . وبقي الدكتور فان ديك يعمل في صيدا حتى وفاة
الدكتور عالي سميت في ١١ كانون الثاني ١٨٥٢ فانتدبته "الرسالية السورية" اثناء
الاجتماع الذي عقدته في ١١ نيسان ١٨٥٢ (٤) لاتمام ترجمة الكتاب المقدس ،
تلك الترجمة التي كان قد بدأها الدكتور عالي سميت سنة ١٨٤٨ ، على ان يواظب
نشاطه التبشيري في صيدا ، ولكن لتعذر ذلك نقل الى مركز بيروت في شهر ايلول عام
١٨٥٢ (٥) وبذلك يكون قد صرف "ست سنوات في صيدا وجوارها مناديا بالانجيل ،
خادما المرضى ، معلما جماهير من الشعب ، شاغلا اياهم بدرس الكتاب المقدس
في صيدا ، وجائلا من قرية الى قرية في اتمام واجباته الروحية والطبية" (٦) .

(١) Sa'di , P. 29 .

(٢) الميشنري هيرلد ، ج ٥٤ (١٨٥٨) ص ١٢٤ .

(٣) Jessup , P. 108 .

(٤) الميشنري هيرلد ، ج ٥٣ (١٨٥٧) ص ٢٤٣ .

(٥) المصدر ذاته ، ص ٤٠٤ .

(٦) جسب ، "خطبة تذكارية" ، ص ٣٩٨ .

بالإضافة الى انه الف خلال اقامته تلك كتاب الاصول الهندسية وكتاب محيط الدائرة في علمي العروض والقافية اللذين طبعا بمطبعة الاميركان سنة ١٨٥٢ (١) . ويذكر القس هنري جيب حول اختيار "الرسالية السورية" للدكتور فان ديك لاتمام ترجمة الكتاب المقدس ما يلي : " ان الله بعنايته الحكيمة قد اعد هذا الرجل الغيور مدة سبع عشرة سنة لهذا العمل المهم ، لانه كان قد حفظ مجلدات من الكتب العربية من شعر وعروض ومنطق وصرف وتاريخ . وكان قد الف مجلدات في العلوم والفنون ولم يكن له نظير ولا مثيل بين الاوربيين في معرفة اللغة العامية . وكانت معرفته في اليونانية والعبرانية والسريانية والكلدانية واسعة " (٢) .

وهكذا اخذ الدكتور فان ديك على عاتقه عبء ترجمة الكتاب المقدس الذي بدأه الدكتور عالي سميث . ومما يدل على حرصه هو "لا" المترجمين وحسبهم بالمسؤولية ان الدكتور عالي سميث ذكر وهو على فراش الموت انه يعتبر نفسه مسؤولا عما طبعه من ترجمة الكتاب المقدس فحسب (٣) .

وكعادته ، في كل عمل من الاعمال التي قام بها ، اخذ يتفاني في عمل الترجمة حتى انجز طبع كتاب العهد الجديد في ٢٩ اذار عام ١٨٦٠ (٤) اثر عمل متواصل دام

(١) فانديك ، اذوار ، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، ص ٤٠١ .

(٢) جيب ، "خطبة تذكارية" ، ص ٣٩٨ .

(٣) النبذة التي وضعها الدكتور فان ديك عن تاريخ ترجمة الكتاب المقدس الى العربية المؤرخة في ١٢ اذار ١٨٨٥ ، والواردة في :

Translation of the Scriptures , P. 27 .

(٤) الميشنري هيرلد ، ج ٥٦ (١٨٦٠) ص ١٩٥ - ١٩٦ .

ثلاث سنوات انهك قواه بما تطلب من جهد وعناء مما دعا الدكتور طمسن ان يكتب في تقريره الى المجمع الاميركي للبعثات التبشيرية في بوسطن بان الدكتور فان ديك يحتاج الى راحة بعد طول السهر والعناء في الترجمة ، كما اقترح على المجمع ارساله الى المانيا (١) . ويؤيد ذلك ما قاله القس هنري جسب عما كان يقوم به الدكتور فان ديك من مجهود في ترجمة الكتاب المقدس: "اني قد شاهدته مرارا كثيرة جالسا في غرفة الترجمة محاطا بقواميس ومجلدات في لغات مختلفة ، معناه النظر ، ومدققا البحث في المسائل ذات الشأن عن معنى كلام الله في اللغات الاصلية وحقيقة الاصطلاحات العربية وهو ضاغط راسه بيديه مما الم به من الصداغ" (٢) . وسمح له بالذهاب الى المانيا للاستجمام والراحة ولكنه كان هناك يقابل المستشرقين الالمان ويستشيرهم حول الامور التي تتعلق بترجمة كتاب العهد القديم (٣) . ولدى عودته الى بيروت اخذ يعالج جرحى حوادث عام ١٨٦٠ بين المواردنة والدروز ويوزع الطعام على اللاجئين منهم الى بيروت مع صديقه المعلم بطرس البستاني (٤) . وانصرف بعد عودته الى ترجمة كتاب العهد القديم عن العبرانية ولكنه انشأ في اذار عام ١٨٦٣ نشرة دعاها اخبار عن انتشار الانجيل في اماكن مختلفة كانت تصدر شهريا (٥) ، وفي ٢٢ آب عام ١٨٦٤ (٦) انجز ترجمة كتاب

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٢٣٩ .
 - (٢) جسب ، "خطبة تذكارية" ، ص ٣٩٩ .
 - (٣) Translation of the Scriptures , P. 30 .
 - (٤) الميشنري هيرلد ، ج ٥٦ (١٨٦٠) ص ٣٤٤ .
 - (٥) دي طرازي ، فيليب ، تاريخ الصحافة العربية ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ج ١ ، ١٩١٣ ، ص ٦٦ .
 - (٦) الميشنري هيرلد ، ج ٦٠ (١٨٦٤) ص ٣٦٣ .

العهد القديم الى العربية ، وهكذا تمت ترجمة الكتاب المقدس الى العربية بعد عمل متواصل دام ست عشرة سنة ، عمل كل من الدكتور عالي سميث والدكتور فان ديك ثماني سنوات منها ، وتولى الدكتور فان ديك مع عمل الترجمة ادارة مطبعة الاميركان والاشراف على تصحيح مسودات طباعة الكتاب المقدس الذي تم طبعه في ٢٩ اذار ١٩٦٥ (١) . وفي هذه السنة بعثت به "الارسالية السورية" وجمعية التوراة "الى الولايات المتحدة الاميركية كي يشرف على تنحيس صفحات الكتاب المقدس بالكهربائية" (٢) . وكان اثنا اقامته في اميركا يعلم اللغة العبرانية في مدرسة يونيون اللاهوتية (٣) وكان الطلبة "يعافون درس هذه اللغة قبل تدريسه لها ، ويأبون الحضور في ساعة تدريسها لصعوبتها ووعورة اسلوب التدريس . فلما شرع في تدريسها غير هذا الاسلوب ولطول باعه فيها جعل يعلمهم اياها كلغة حية لا ميتة بحيث صار الطالب يجد في درسها معنى ولذة ويرغب في تحصيلها ، فتقاطر الطلبة اليه وتكاثر عددهم ، فلما رأّت عمدة المدرسة ذلك عرضت عليه ان يتولى منصب استاذ العبرانية فيها وعينت له راتبا كبيرا فأعذر عن قبوله قائلا : اني تركت قلبي في سورية فلا لذة لي الا بالعودة اليها" (٤)

(١) المصدر ذاته ، ج ٦١ (١٨٦٥) ص ٥ - ٦ . Translation of the Scriptures, P. 3I

(٢) Translation of the Scriptures , P. 3I

(٣) Union Theological Seminary

(٤) سر النجاح ، ص ١٨٢ .

وكان قد لاحظ اثنا^١ ممارسته للطب في الديار الشامية خلال خمس وعشرين سنة العديد من امراض العين فجاءت زيارته الثانية هذه لاميركا تتيج له الفرصة لدرس امراض العين على اختصاصي وذلك بسعيه وتردده على مستوصف العين في نيويورك^(١) عددا من المرات في الاسبوع لقرب ذلك المستوصف من مكان عمله في بيت الكتاب المقدس^(٢) ، علاوة على ان الراتب الذي كان يتقاضاه من مدرسة يونيون اللاهوتية مكته من التأمين على حياته كما فسخ له ، لأول مرة في حياته ، مجال شراء الكتب والادوات الطبية التي طالما حلم باقتنائها وكان راتبه الضئيل من الارسالية يحول دون ذلك^(٣) .

واثنا^٢ وجوده في اميركا عرض عليه مجلس امنا^٣ الكلية السورية الانجيلية التي تأسست عام ١٨٦٦ ان يكون استاذا فيها فقبل ذلك العرض ، ثم طلب اليه هذا المجلس " ان يعين راتبه السنوي فكتب ٨٠٠ ريال [دولار] مع ان راتب اصغر استاذ فيها لا يقل عن ١٥٠٠ ريال وقد فعل ذلك حبا بخير البلاد ونفع اهلها"^(٤) . وفي سنة ١٨٦٢ بعد ان اتم تنحيص صفحات الكتاب المقدس بالكهربائية عاد الى مركز عمله في بيروت وياشر مع زميله الدكتور ورنبات بتأسيس القسم الطبي بالكلية السورية الانجيلية حيث وضعها له منهاجا للدروس يلزم الطالب دراسة الطب اربع

(١) Sa'di , P. 30

(٢) Bible House

(٣) Sa'di , P. 30

(٤) سر النجاح ، ص ٢٢٠ .

سنوات كي يحصل على شهادة طبيب . وهكذا عاد ثانية الى مزاولة نشاطه في ميدان التدريس ، فكان يدرس الباثولوجيا ، وعلم الفلك ، والكيمياء ، وذلك لمدة ست سنوات الى ان باشر الدكتور ادون لويس بتدريسها ، وانشأ مستوصفا لأمراض العين (١) اوقف العمل به سنة ١٨٧١ حين تم الاتفاق بين الكلية السورية الانجيلية ومستشفى ماري يوحنا البروسي (٢)

كما انه انشأ المرصد الفلكي في الكلية السورية الانجيلية " وابتاع له آلات بقيمة سبعمائة ليرة انكليزية من ماله الخاص . واثته وفرش فيه على نفقته (٣) ، والف للطلاب كتباً في الفروع العلمية التي كان يدرسها والتي كان يملئها عليهم املاءً في بادئ الامر ثم طبعها على نفقته الخاصة (٤) . ولكثرة اهتمامه بامور الكلية السورية الانجيلية اصبح " من الاقوال الشائعة بين معارفه انك اذا رمت ان تكون على رضى مع فان ديك فأياك ان تشغله بشاغل عن المدرسة الكلية واذا اردت ان تسرق قلبه فكله عن المدرسة والصفوف والمرصد والتأليف (٥) . ولم يتخل خلال عمله في الكلية السورية الانجيلية عن ادارة مطبعة الأميركان وتنقيح ما كان يطبع فيها من الكتب ، وتحرير النشرة الاسبوعية (٦) التي تولى رئاسة تحريرها حتى اخر سنة

(١) Annual Reports , P. 9.

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٠ .

(٣) سر النجاج ، ص ٢٢١ .

(٤) " الدكتور كرنيليوس فان ديك " ، المقتطف ، ج ١٩ (١٨٩٥) ص ٨٨٥ .

(٥) سر النجاج ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٦) كانت تدعى اولا اخبار عن انتشار الانجيل في اماكن مختلفة فاصبحت سنة

١٨٦٨ النشرة الشهرية ثم في سنة ١٨٧١ النشرة الاسبوعية . دى

طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج ١ ، ص ٦٦ وص ٦٩ وج ٢ ،

ص ٢٠ - ٢١ .

١٨٢٩ حين اسند تحريرها الى المرسل وليم ادى . وفي ١٨ كانون الاول عام ١٨٨٢ قدم الدكتور كرنيليوس فان ديك استقالته من الكلية السورية الانجيلية احتجاجا على السياسة التي كان يتبعها رئيس الكلية القس دانيل بلس . والدكتور جورج بوست في ادارتها (١) واضطر للاستعفاء من العمل في مستشفى ماري يوحنا البروسي لان اتفاقية هذا المستشفى مع الكلية السورية الانجيلية لم تكن تسمح لغير الاطباء العاملين بها العمل بالمستشفى (٢) . وفي ٦ تموز عام ١٨٨٣ قدم استقالته من عضوية مجلس مدراء الكلية السورية الانجيلية (Board of Managers) قبل انعقاد اجتماعه السنوي باربعة ايام (٣) . وبذلك قطع كل علاقة له بالكلية ، ولكن نشاطه في "الارسالية السورية" لم يتأثر بخطوته هذه (٤) . وفي هذه السنة عرض (٥) خدماته الطبية

-
- (١) رسالة استقالة الدكتور فان ديك الموجودة في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية . و Annual Reports, P. 73
- (٢) Jessup, P. 666
- (٣) رسالة الدكتور فان ديك الى سكرتير مجلس مدراء الكلية السورية الانجيلية في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت .
- (٤) كانت الكلية السورية الانجيلية منفصلة عن "الارسالية السورية" حتى ان القس دانيل بلس اضطر الى ان يترك عمل التبشير ليصبح اول رئيس لها .
- الميشنري هيرلد ، ج ٥٩ (١٨٦٣) ص ٣٦ . Bliss, P. 167
- كما ان الدكتور فان ديك ترك العمل بالارسالية سنة ١٨٧٠ بعد مضي فترة ثلاث سنوات على التحاقه بالكلية السورية الانجيلية ، الميشنري هيرلد ، ج ٦٦ (١٨٧٠) ص ٣٩١ ، P. 140 Annual Reports
- (٥) يذكر السعدى ان الدكتور فان ديك قبل دعوة هذا المستشفى للعمل به .
- Sa'di , P. 33

على مستشفى القدس جاورجيوس للروم الارثوذكس وعمل هناك حتى سنة ١٨٩٣ (١) .
وخلال عمله في هذا المستشفى الذي كان يعاين المرضى فيه مرتين في الاسبوع
فقط (٢) اخذ على عاتقه عب القيام بتأليف سلسلة من الكتب العلمية دعاها "النقش
في الحجر" تناول مختلف الفنون العلمية بطريقة مبسطة ، فصدر منها ما بين سنة
١٨٨٥ و سنة ١٨٨٩ ثمانية اجزاء في العلوم الطبيعية والكيمياء ، والطبيعيات
(الفيزياء) ، والجغرافية الطبيعية ، وعلم الهيئة (الفلك) ، والنبات ،
والمنطق .

وفي ٢٣ كانون الثاني عام ١٨٩٠ نشرت جريدة لسان الحال البيروتية رسالة
وردت اليها من اللجنة العاملة التي تنوب عن "الجلسة العمومية المؤلفة من كل
مذهب وطائفة" (٣) من محبي الدكتور فان ديك ، دعت فيها "جميع الوجهاء والادباء
الكرام الذين يودون الاشتراك معنا في البلدة [بيروت] وسائر الجهات" (٤) الى
موازرتها للاحتفال في ٢ نيسان ١٨٩٠ بذكرى مرور خمسين عاما على وصول الدكتور
فان ديك الى بيروت . وعينت هذه اللجنة وفدا ليمثلها في طلب الاذن من والي بيروت
عزيز باشا للسماح لهم باقامة هذا الاحتفال "فصادفوا من دولته لسانا ناطقا بالفضل
وفؤادا يتوقد بالنبل ، فسروا نشاطهم على العمل وقال لهم حفظه الله : يسرني ان
ارى اهالي هذه البلاد يعترفون بالجميل ويقدرّون خدم الرجال قدرها فهو اكبر برهان

(١) . Jessup , P. 667 .

(٢) . Sa'di , P. 33 .

(٣) لسان الحال ، عدد ١٢٠١ (٢٣ كانون الثاني ١٨٩٠) ص ١ .

(٤) المصدر ذاته .

بيهم قائلاً : لقد بالغتم في قولكم وانما لم تفوا الممدوح حقّه . (١) . فاجابهم الدكتور فان ديك " ودموع المسرات تتلالا " في عينيه . (٢) ان الاجدر به قبول اكرامهم وفضلهم بالسكوت الابكم وانه لم يفعل شيئاً يستحق كل هذا الالتفات وانه لا يدعي لنفسه جميلاً ، وقال " اني اقتص بين اهل الشرق بكل نية صافية ولم اقصد غير نفع جبلي وترقيته وتخفيف الاثقال على قدر الاستطاعة ، هذا من فضل الله يوتيهِ من يشاء " (٣) . ومن الهدايا التي قدمت اليه بهذه المناسبة (٤) صورته على لوح كبير من الزجاج رسمها المصور جرجي الصابونجي ، ومكتبة مصنوعة من خشب الجوز تحتوى على جميع مؤلفاته قدمها اليه المرسلون الاميركان ، ومحفظة للتصاوير (البوم) من عمدة مستشفى مارى يوحنا البروسي ، والمبلغ الذى جمعته لجنة اليوبيل التي طلبت منه " مسرّ ولا ، غير مأمور ، ان يحفظها لنفسه " (٥) ، واخيراً طاقم قهوة فضي قدمته عمدة مستشفى القديس

-
- (١) لسان الحال ، عدد ١٢٢٣ (١٠ نيسان ١٨٩٠) ص ١ .
 (٢) تهاني العلامة الدكتور كرنيليوس فان ديك ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٩١ ، ص ١٨ .
 (٣) المصدر ذاته ، ص ١٨ .
 (٤) Jessup , PP. 109 - and , Church at Home and Abroad , June 1891 ,
 PP. 484 - 486 .

- (٥) لسان الحال ، عدد ١٢٢٣ (١٠ نيسان ١٨٩٠) ص ١ ، ويذكر الدكتور يعقوب صروف ان غرضهم كان " ان ينشئوا له تذكاراً ثابتاً يذكر السوريين بافضاله عليهم ويحبب الي ابنائهم الاقتداء به ، ويحتفلوا بذلك احتفالاً عمومياً باهراً في مشهد مشهود ، لكنهم خافوا من معارضة الحكومة . ولا ندرى احقيقى خوفهم او وهمي ، فعدلوا الى ابسط السبل وهو تقديم المال له عينا . وبقيننا انه وزعه على الساكنين جرياً على عادته . " الدكتور كرنيليوس فان ديك " المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ٩٧ .

على المدنية . والحقيقة ان الغارس قد جنى ثمارا شهية من غرسه ، الى ان قال ،
وان سيدنا ومولانا الخليفة الاعظم سلطاننا الغازي عبد الحميد خان يشترك ولا بد مع
رعيته الامينة في مكافأة هذا الرجل الذي خدم العلم والانسانية في بلاد جلالته مدة
خمسين سنة . (١) . كما تألفت في ارض الكنانة لجنة للمشاركة بهذا الاحتفال برئاسة
الشيخ محمد عبده على ان ترسل التبرعات " ممن يروم اظهار حبه للافاضل ورفع منار
الفضائل ان يتم امره مع ادارة المقتطف " (٢) . واخذت جريدة لسان الحال تنشر
تباعا التبرعات التي كانت ترد لها من جميع انحاء الديار الشامية والمصرية حتى بلغ
مجموع هذه التبرعات ٥٨٦٢٦ غرنا و ٥ بارات (٣) .

وفي صبيحة يوم ٢ نيسان ١٨٩٠ غصت دار الدكتور فان ديك في رأس بيروت
بوفود المهنيين من اصدقاء الوطنيين والاجانب (٤) فكان الخطباء والشعراء يتبارون
في القا " الخطب البليغة والقصائد الحسان " (٥) بالرغم من ان الدكتور يوحنا ورتبات
احد اعضاء اللجنة العاملة لليوبييل حاول ان يجعل خطبة اللجنة مقتضة خالية من
التعابير الفارغة (٦) ، ولما انتهى هو " لا من مدح المحتفى به " خاطبهم عزتلو حسن

-
- (١) لسان الحال ، عدد ١٢٢٤ (١٠ نيسان ١٨٩٠) ص ١ .
(٢) "الدكتور فان ديك" ، المقتطف ، ج ١٤ (شباط ١٨٩٠) ص ٣٢١ .
(٣) لسان الحال ، عدد ١٢٢١ (٣ نيسان ١٨٩٠) ص ١ .
(٤) Jessup , P. 109 .
(٥) "الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، المقتطف ، ج ٢٠ (شباط ١٨٩٦) ص ٩٧ .
(٦) "Jubilee of Dr. Van Dyck", Church at Home and Abroad , June 1891 ,

جاور جيوس للروم الارثوذكس في احتفال اقامته في باحة المستشفى دعت اليه "جمهورا من وجهاء بيروت وادباءها" (١) التي فيه نعمة يافت ، احد تلامذة الدكتور فان ديك ، خطابا حث الحضور فيه ان يتخذوا " هذا الشيخ الجليل والفيلسوف النبيل خير مثال ، واقيموا له الانصاب في قلوبكم لكي تهيج فينا العواطف السامية عند حملها وتحرك عوامل العمل عند سكونها " (٢).

وفي ١٣ تشرين الثاني من سنة ١٨٩٥ توفي الدكتور كرنيليوس فان ديك بعد ان امضى في الديار الشامية ٥٥ سنة و ٧ اشهر و ١١ يوما . ولما ذاع نعيه تقاطر الناس الى منزله كانهم قد فقدوا عزيزا من ذوي قرياهم ، وحين دنت ساعة السير بنعشه " تقدم الستة المعينون لحمل تابوته وهم حضرات الافاضل الدكتور بوست والدكتور بركستوك والسيد محمد افندي عرداتي ومراد افندي البارودي والاستاذ وست والمستر سمث فحملوا تابوته من منزله الى مركبة الموتى " (٣) وقد اوفدت الحكومة المحلية " فرقة من الجند رما والبوليس لكي يسيروا امام جنازته " (٤) . واحتفل بجنازته في الكنيسة الانجيلية في بيروت تلك الجنازة التي حضرها جمع غفير من كل الطوائف (٥) واقتصر فيها " على تلاوة فصول من الاصحاح الخامس عشر من الرسالة الاولى الى اهل كورنثوس والمزمور التسعين " (٦) وذلك تنفيذاً لوصيته التي ذكر فيها " ان لا ينطق بخطبة ولا تأبين عند دفنه . ولذلك سكت الجميع ، وكان لذلك السكوت

(١) الدكتور كرنيليوس فان ديك ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ٩٩ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٠١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٠٤ .

(٤) لسان الحال ، العدد ٢٠٥٤ (١٤ تشرين الثاني ١٨٩٥) ص ٢ .

(٥) Jessup , P. 613 .

(٦) جسب ، " خطبة تذكارية " ، ص ٣٨٩ .

تأثير عظيم في قلوب الجمهور ، وقد قال احد اصحابه المسلمين ، وكان من الحاضرين :
ان وصيته هي موعظة افصح من كل المواعظ التي نطق بها الفقيد في حياته " (١) .

وفي ٢٦ شباط سنة ١٨٩٩ احتفلت عمدة مستشفى القديس جاورجيوس للروم
الارثوذكس برفع الستار عن تمثال الدكتور كرنيليوس فان ديك (٢) نصب في باحتها وكتب
عليه " اثر حميد لخير فقيد ، نصب اقرارا بفضل علم العلماء والحكماء المرحوم كرنيليوس
فان ديك ، غني عنه - ١٨٩٥ " .

وفي ١١ نيسان سنة ١٩١٣ احتفلت الكلية السورية الانجيلية برفع الستار عن
تمثالي الدكتور فان ديك والدكتور يوحنا ورتبات اللذين قدمتهما لجنة من متخرجي الكلية
برئاسة الدكتور يعقوب صروف ، حيث وضعاء بعد الاحتفال ، في قاعة الاستقبال
العمومية في بناية ضودج ، التي كانت بناية الادارة حتى عام ١٩٦١ ، "وسيقيان
هناك اثرا خالدا يمثل حاسات من قدموهما واحترامهم لذي ينك الاستاذين الكريميين
اللذين خدما العلم والبلاد خدمة يندر مثالها " (٣) .

وفي ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ احتفلت الجامعة الاميركية في بيروت بتدشين
بناية فان ديك ، المخصصة لتدريس الطب ، فنقل تمثال الدكتور فان ديك اليها وضع
على مدخلها . ولم تذكر المصادر اية تفاصيل عن الاحتفال الذي جرى بهذه المناسبة
سوى ان الدكتور سليم الموصلي القى خطابا تحدث فيه عن ذكرياته مع استاذة الدكتور
فان ديك (٤) .

(١) المصدر ذاته ، ص ٣١٠ .

(٢) لسان الحال ، عدد ٣٠٥٣ (٢٧ شباط ١٨٩٩) ص ١ .

(٣) الكلية ، ج ٤ (نيسان ١٩١٣) ص ١٣٩ - ١٤٤ .

(٤) المصدر ذاته ، ج ٢٩ (تشرين الثاني ١٩٣٢) ص ١ - ٢ .

نشاط الدكتور فان ديك الديني

نشاطه الديني حتى عام ١٨٥٧

كان التحاق الدكتور كرنيليوس فان ديك "بالارسالية السورية" كطبيب مبشر
اول نشاط ديني قام به . تمثل لنا هذه الخطوة التي اتخذها تضحية طبيب ناشئ ،
يهجر بلاده وجميع اهله وخلانه متخلياً عن الفرص الواسعة التي يتيحها له العمل
في موطنه الاول ، ليعمل في بلاد نائية لا يعرف شيئاً عن احوالها واحوال اهليها ،
واضعا نصب عينيه ان الطريق التي اختارها بملء ارادته ليست معبدة بالازهار ولا
مفروشة بالرياحين ، بل عليه ان يتحمل جميع المصاعب التي ستواجهه بصبر وناة
في سبيل تخفيف اوجاع الآخرين ونشر كلمة الانجيل التي آمن بقدرسيها (١) . ونرى
انه لم يستنكف ، في سنة خدمته الاولى في الديار الشامية ، عن تطبيب ~~الذين~~ ^{الذين} خصوم
الطايفة التي كان يمثلها باخذهم على عاتقه معالجة مرضى الرهبان اللاتين في القدس ،
الشيء الذي دعا هؤلاء الرهبان الى ترغيبه باعتناق مذهبهم ولكنهم فشلوا في محاولتهم
هذه (٢) . وان دلت هذه الحادثة الاخيرة على شيء فانها تدل على ثبات في
العقيدة وتنفيذ لما كانت تقول به هذه العقيدة من محبة المخالفين بالرأى . ويذكر
الدكتور فان ديك في مذكراته انه قام ، خلال سنة ١٨٤٢ ، بترجمة كتاب التعليم

(١) يعزوا لطفي السعدى التحاق الدكتور فان ديك بالارسالية الى الموجة الدينية

التي اجتاحت اميركا في العقد الرابع من القرن التاسع عشر .

(٢) "مذكرات الدكتور كرنيليوس فان ديك"، ص ٢٠٢.

المسيحي الى اللغة العربية الذي تولى الدكتور عالي سميت فيما بعد تنقيحه تنقيحا قليلا (١) . وكان بالاضافة الى قيامه بممارسة مهنته الطبية يدرس اللاهوت بنفسه . وفي سنة ١٨٤٥ عند اضطرار المرسلين الاميركان لمغادرة عبيه وعودتهم الى بيروت قام الدكتور فان ديك بالاشتراك مع زميله بالتعليم في مدرسة عبيه المرسل هوايتن باعداد كتاب للترانيم باللغة العربية (٢) .

ونتيجة لاحتياج المرسلين الى مساعدين في نشر كلمة الانجيل بين الاهلين والطلب المتزايد على ذلك وعدم استجابة المجمع الاميركي لمندوبي البعثات التبشيرية لمطالب المرسلين ، قرروا سيامة الدكتور فان ديك قسيسا ليقوم بواجبات دينية علاوة على ما كان يقدمه من خدمات طبية . وجرى ذلك في احتفال اقيم في كنيسة عبيه بتاريخ ١٤ كانون الثاني عام ١٨٤٦ واشرف على سيايمته زملاؤه في "الارسالية السورية" الذين كانوا جميعا من رجال الدين (٣) ، حتى ان الميشنري هيرلد ، مجلة المرسلين الرسمية ، اعتبرت ذلك الحدث من اهم المناسبات التي جرت للمرسلين الاميركان في الديار الشامية منذ دخول اول مرسل اميركي اليها (٤) . وذكرت في مناسبة تالية عند وصفها لهذه الحادثة بان القسيس الجديد يقوم بواجباته الدينية بحماس واندفاع يساعده على ذلك اتقانه اللغة العربية ومقدرته الفائقة على التحدث بها بطلاقة (٥) .

(١) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٢٥ .

(٢) المصدر ذاته .

(٣) الميشنري هيرلد ، ج ٤٢ (١٨٤٦) ص ٢١١ .

(٤) المصدر ذاته ، ج ٤٢ ، (١٨٤٦) ص ٢١٢ .

(٥) المصدر ذاته ، ج ٤٣ (١٨٤٢) ص ٥ .

ونرى هذه الروح بادية في عمله كمدير لمدرسة عبيه فاشترتجديده لنظامها في ٩ تشرين الثاني عام ١٨٤٦ كتب في تقريره السنوي ما يلي : "آه يا رب خلص ، آه يا رب انقذ" (١) ، "ان لم يبين الرب البيت فباطلا يتعب البناء" (٢) ثم تساءل ما اذا كانت العزة الالهية ستسكب امطار نعمتها على هذه المدرسة كما سكبتها على مدرسة ارميا في بلاد فارس حينما كرس كثيرون من الاحداث انفسهم للعمل على نشر كلمة الاله (٣) . وذكر في تقرير اخر ارسله بعد ثلاث سنوات ان مدرسة عبيه هي المدرسة الوحيدة في سورية التي تعلم المبادئ العلمية الحقة (٤) ، و اضاف قائلا انه يجب الا يغرب عن الازهان انها اسست لغاية تدريب وتنشئة مبشرين بالانجيل ومعلمين صالحين لتعليم الجيل الصاعد (٥) .

وعندما شعر المرسلون الاميركان ان هناك ارضا خصبة لعملهم في حاصبيا وجوارها عينوا في سنة ١٨٥١ كل من الدكتور وليم طمسن والدكتور كرنيليوس فان ديك للتبشير في صيدا وضواحيها بما في ذلك صور وحاصبيا ومنطقة الحولة وعكا . وهكذا نرى تقارير المرسلين السنوية التي كانت ترد الى المجمع الاميركي لهندوبي البعثات التبشيرية تتحدث ، خلال ست سنوات (١٨٥١ - ١٨٥٦) ، بالزيد من الاستحسان

(١) الزمور ١١٨ : العدد ٢٥ .

(٢) الزمور ١٢٧ : العدد ١ .

(٣) المبشرون هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٨٣ - ٨٤ .

(٤) المصدر ذاته ، ج ٤٦ (١٨٥٠) ص ٣٦٢ .

(٥) المصدر ذاته ، ص ٣٦٣ .

عن العمل التبشيري الناجح الذي كان يجرى في مركز صيدا والامال الجسام التي كانوا يعلقونها على هذا العمل (١) . واكبر دليل على ذلك انهم استطاعوا ان يشيدوا كنيسة في حاصبيا سنة ١٨٥١ وكنيسة في صيدا سنة ١٨٥٥ (٢) . ان اعمال التبشير هذه التي كانت تجرى في صيدا اثارت حفيظة اليسوعيين فسعوا بالاشتراك مع الموارنة لمنع توزيع الكتب التي كان الانجيليون يوزعونها وفي بعض الاحيان كانت تجمع هذه الكتب وتُحرق (٣) .

وكان الدكتور طمسن والدكتور فان ديك يحمداً في تقاريرهما اعمال الوطنيين الذين كانوا يساعدونهما وبصورة خاصة يوحنا ورتبات الذي سعيهما لسيامته قسيساً وتم لهما ذلك في سنة ١٨٥٣ .

وكان الدكتور فان ديك يتحدث عن الصعوبات والمقاومة التي كان المطران بطرس البستاني يضعها امام اعمال التبشير في تلك المنطقة الواقعة ضمن ابرشيته وذلك لعرقلة اعمالهم . فيذكر في احد تقاريره ان المطران بطرس البستاني ذهب الى حاصبيا سنة ١٨٥٦ وتحدى انجيلييها فانبرى له يوحنا ورتبات وطلب ان تكون المناظرة كتابية ولكن المطران رفض ذلك واصر على ان تكون علنية امام جمهور من الاهالي ، فاذعن

(١) الميشنري هيرلد ، ج ٤٨ (١٨٥٢) ص ٣٨٨ ، ج ٤٩ (١٨٥٣) ص ١٩٥ -

٢٠٠ ، ج ٥٠ (١٨٥٤) ص ١٣٠ - ١٣٤ ، ج ٥١ (١٨٥٥)

ص ١٣٥ - ١٣٧ ، ج ٥٢ (١٨٥٦) ص ١٠٩ - ١١١ .

(٢) الميشنري هيرلد ، ج ٥٤ (١٨٥٨) ص ١٧٤ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٧٤ .

ورتيبات وقبل ان يناظره علنا . ويذكر الدكتور فان ديك ان يوحنا ورتبات كان متفوقا على خصمه في جميع مواضع المناظرة مما جعل احد الامراء من الحضور ان يقترب منه ويهمس بأذنه " دع المطران ، يكفي الان ، لا فائدة من استدراجه الى اكثر من ذلك " فافترقا تلك الليلة على ان يلتقيا في اليوم التالي ولكن جماعة المطران البستاني اخذت تشيع بين الاهالي وفي القرى المجاورة ان ورتبات قد هزم هزيمة منكرة وبان المطران لن يقابله مرة ثانية (١) .

وفي سنة ١٨٥٢ ، وبعد ست سنوات من العمل التبشيري في صيدا ، عين الدكتور فان ديك للقيام بمهمة اتمام ترجمة الكتاب المقدس بسبب وفاة الدكتور عالي سميث (٢) على ان يثابر في عمله التبشيري في صيدا ولكن لتعذر ذلك نقل الى بيروت في خريف ١٨٥٢ وعين القس وليم ادي (William Eddy) خلفا له . ويذكر ادي في احدى رسائله انه يواجه صعوبات جمة في عمله الجديد وذلك عائد لما كان يتحلى به سلفه من كرم الاخلاق وحب عمل الخير ولما كان يقدمه من خدمات طبية للاهالي الشي* الذي جعلهم يحترمونه ويجلبونه الى درجة يصعب معها على اى شخص ان يستطيع مجاراته في ما كان يقوم به من عمل تبشيري رائع في صيدا وجوارها (٣) .

-
- (١) الميشنري هيرلد ، ج ٥٣ (١٨٥٢) ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .
(٢) انظر اعلاه ص ٥٦ . ومن اجل سيرة الدكتور عالي سميث ، انظر الميشنري هيرلد ، ج ٥٣ ، (١٨٥٢) ص ٢٢٤ - ٢٢٩ .
(٣) الميشنري هيرلد ، ج ٥٤ (١٨٥٨) ص ١٢٠ .

ترجمة الكتاب المقدس

ان ترجمة الكتاب المقدس هي من الاهمية في البحث عن نشاط الدكتور فان ديك الديني بحيث يصح ان نفرد لها قسما خاصا .

كان المرسلون الاميركان يوزعون ، في بدء عملهم في الديار الشامية ، اى في ما بين عام ١٨٢٢ وعام ١٨٥٢ ، الكتاب المقدس واسفارا منه كانوا قد اعدوا طبعها عن نسخة الترجمة التي نقحها المطران سركيس الرزى ، مطران الموارنة في دمشق ، وطبعت في روميه عام ١٦٧١ والتي تعرف بالفولكاتا (Vulgate) (١) . ويظهر من تقرير كتبه الدكتور عالي سميث عام ١٨٤٤ ان المرسلين كانوا يدركون ضعف هذه الترجمة لعدم وضوح بعض المعاني في اسفار الانبيا ، كما ان في كثير من اصحاحات الرسائل يدور المترجم حول المعنى الاصلي ولكن الفكرة تبقى غير واضحة مما يجعل اسمى التعاليم في رسائل بولس الرسول تفقد قوتها (٢) . وانتقد الدكتور سميث الجمل في هذه الترجمة بانها غير سليمة التركيب ووصف الاسلوب العربي الذي كتبت به بانه معقد كما ذكر ان اختيار الكلمات الموافقة للاصل لم يكن دقيقا ، وقال ان المرسلين كانوا يخجلون ان يضعوا ترجمة يمثل هذه الحلة الركيكة بين يدي احد المشايخ المسلمين او الدروز دون ان يعتذروا له عما فيها من اخطاء ، وذكر بان المرسلين كانوا ينقحون الاصحاح الذي يعتزمون الاستشهاد به قبل حضورهم الى اجتماعاتهم العامة (٣) ، ولذلك اقترح وجوب القيام بترجمة جديدة للكتاب المقدس (٤) .

وذكرت النشرة الاسبوعية انه " لما رأى البروتستانت الترجمة الباباوية ركيكة في بعض المواضع ولم تؤد معنى الاصل العبراني او اليوناني شرعوا في ترجمة جديدة " (٥) .

(١) " ارتداع السهام على اليسوعي فان هام " ، النشرة الاسبوعية ، العدد

٥١ (١٧ كانون الاول ١٨٧٢) ص ٤٠٢ .

(٢) Translation of the Scriptures , P. I .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٣ .

(٥) " ارتداع السهام على اليسوعي فان هام " ، ص ٤٠٣ .

وفي سنة ١٨٤٧ عين الدكتور عالي سميث رئيسا للجنة من المرسلين ومعه الدكتور وليم طمسن والدكتور كرنيليوس فان ديك لاختيار احد افراد "الارسالية السورية" لكي يقوم بترجمة الكتاب المقدس من اللغتين العبرانية واليونانية الى العربية لان "العهد القديم كتب في اللغة العبرانية والعهد الجديد كتب في اللغة اليونانية ، فيجب ان يترجم الاول من العبراني والثاني من اليوناني رأسا ، بدون ان يترجما أولا الى لغة ثالثة مثل اللاتيني ثم الى العربي ، لان كل ترجمة لابد انها في بعض العبارات تخسر شيئا من قوة الاصل مهما كان المترجم بارعا في اللغتين ، فكلما قلت درجات النقل كان احسن" (١) ، فتم اختيارهم للدكتور عالي سميث وكتبوا اثر ذلك تقريراً مطولاً عن امانيتهم التي يرجونها من هذه الترجمة (٢) . ولقد وصف القس هنري جيب بعض جمل هذا التقرير بانها "تحسب نبوات بمستقبل الكتاب المقدس في اللغة العربية" (٣) . وجاء في التقرير ما يلي : ان من يترجم الكتاب المقدس الى اللغة العربية انما يفتح كنوز الاسفار الالهية لاربعين مليون من جيل ثابت غير زائل لا يفنى من قرن الى قرن الى نهاية الزمان . وهل يمكن المبالغة في البحث في هذا الموضوع العظيم الشأن . هل يمكن المبالغة في التعبير عن تلك القوة العظيمة التي ستنتشر اوراق الخلاص الشافية على شاطئ دجلة والفرات والنيل والنيجر وتفتح بنابيع ما حي في سهول سورية ، وقفار سبا وشبا ، وصحاري افريقية ، وتنير بنور الحياة قم لبنان ذلك "الجبل الجيد" الذي راه

(١) "ارتداع السهام على اليسوعي فان هام" ، ص ٤٠٢ — ٤٠٣ .

(٢) Translation of the Scriptures , P. 4 .

(٣) جيب ، "خطبة تذكارية" ، ص ٣٩٧ ، وكرها في كتابه Jessup, P. 68

موسى من بعيد ، وطور سينا موقع اعطاء الناموس ، وجبل اطلس في غرب افريقية الشمالي . انه لا مبالغة في مشروع نظير هذا لان الافكار ليست تخيلات فارغة ولا تصورات العقول المختلفة لان الذى يعطي كلام الله لاربعين مليون من الناس الذين مات المسيح لاجل خلاصهم ويكتب تفسير هذه الاسفار ، وكتب الفهرس ، وعلم اللاهوت ، والمواعظ والرسائل والكتب المدرسية والجرائد الدينية ، وعلى الجملة يكون واسطة لاحياء الاداب المسيحية في وضع بذرة الحياة التي بنموها تثمر اثمارا للحياة ، يعمل عملا جزيل النفع تدوم فوائده ما بين ربوات كثيرة من الناس الى نهاية القرون (١) .

وفي سنة ١٨٤٨ نقل المعلم بطرس البستاني من مدرسة عبيه الى بيروت وعين معاوناً للدكتور عالي سميث في الترجمة (٢) . واما عملية الترجمة فكانت تجرى على النحو التالي : كان على المعلم بطرس البستاني ان يترجم عن الاصل العبرى للعهد القديم وعن اليوناني (٣) للعهد الجديد ، ثم يسلم ترجمته هذه للدكتور عالي سميث الذى كان يراجعها بنفسه اولاً ويعود الى مناقشة البستاني حول معاني بعض

(١) جيب ، "خطبة تذكارية" ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ . والميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ١٩٢ .

(٢) يذكر الدكتور عالي سميث في تقرير قدمه سنة ١٨٥٤ ان اختيار المعلم بطرس البستاني للترجمة كان نتيجة لمعرفة اللاهوت المسيحي الذى درسه في عين ورقة ولاسباغ صبغة وطنية للترجمة من حيث التعابير والاصطلاحات

Translation of the Scriptures , P. 8 .

(٣) تعلم المعلم بطرس البستاني اللغتين العبرانية واليونانية بعد التحاقه "بالارسالية السورية" . المصدر ذاته ، ص ٨ .

الكلمات التي تحتل اكثر من معنى واحد لاختيار المعنى المناسب بعد مقارنتها مع نسخ الكتاب المقدس الموجودة تحت تصرفهما من عربية وعبرانية وسريانية ويونانية ، وكانا يحاولان معا توحيد التعابير والاصطلاحات الواردة بعد استشارة القواميس التي بين ايديهما (١) . وبعد الانتهاء من هذا العمل الشاق كان الدكتور سميت يراجع هذه الترجمة المنقحة مع الشيخ ناصيف اليازجي (٢) ، الذي كان له الملم تام بصرف اللغة العربية ونحوها كما كانت ذاكرته مستودعا للكلمات العربية (٣) ، بالإضافة الى انه كان لا يعرف اية لغة سوى اللغة العربية الشقية الذي جعل الدكتور سميت يثق بالاعتماد عليه لانه بذلك لا يترك مجالا لاي تعبير غريب عن اللغة العربية ان يعر من بين يديه (٤) ، كما ان الدكتور سميت كان يعجب بأسلوب اليازجي في الكتابة باللغة العربية (٥) . وكان الدكتور سميت يحرص كثيرا على الا يضحى بالمعنى من اجل الحصول على جمل عربية بليغة ونصيحة انه كان في عرفة ان الحصول على البلاغة والفصاحة في عمل كهذا ليس "اساسيا" (٦) . وكان على الشيخ ناصيف اليازجي ان ينسخ التنقيح الثاني للترجمة ، الذي قام به مع الدكتور عالي سميت ، على

(١) Translation of the Scriptures , PP. 8 - 10 .

(٢) كان الشيخ ناصيف اليازجي يعمل مصححا لمطبوعات مطبعة الاميركان .

(٣) Translation of the Scriptures , P. 9 .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٢٣ .

(٥) المصدر ذاته ، ص ٢٩ .

(٦) المصدر ذاته ، ص ٩ .

الصفحة الثانية ، المقابلة لصفحة الترجمة التي قام بها المعلم بطرس البستاني ،
التي تركت خصيصا لذلك (١) .

وعند وفاة الدكتور عالي سميث في ١١ كانون الثاني ١٨٥٢ لم يكن قد طبع من
اسفار الكتاب المقدس سوى سفر التكوين و ٣٩ اصحاحا من سفر الخروج ، وصرح وهو على
فراش الموت بانه مسؤول عما طبع من الترجمة فقط (٢) . وفي ١١ نيسان ١٨٥٢ عين
الدكتور كرنيليوس فان ديك من قبل المرسلين الاميركان بالاشتراك مع جمعية التوراة
الاميركية لاتمام ترجمة الكتاب المقدس ، خلفا للدكتور عالي سميث (٣) واثرا سلام
الدكتور فان ديك مهمة الترجمة انقطعت صلة كل من المعلم بطرس البستاني والشيخ
ناصيف اليازجي بالترجمة لاسباب يذكرها الدكتور فان ديك وهي ان ، العقد بين
الدكتور عالي سميث والمعلم بطرس البستاني كان ينص على انه في حال وفاة احد
الطرفين المتعاقدين تعتبر الاتفاقية لاغية (٤) ، واما فيما يتعلق بالشيخ ناصيف
اليازجي فيذكر الدكتور فان ديك بان اليازجي لم يكن " امينا " (٥) اثناء قيامه بمهمة
نسخ التنقيح الثاني للترجمة الملقة على عاتقه ، ولذلك استعاض عنه بالشيخ يوسف
الاسير ، خريج الجامع الازهر ، من اجل تنقيح الصيغة العربية (٦) . وهكذا اخذ

(١) Translation of the Scriptures , P. 29 .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٧ .

(٣) الميشنري هيرلد ، ج ٥٤ (١٨٥٨) ص ١٤١ و Translation of the Scriptures , P. 26

(٤) المصدر ذاته ، ص ٢٩ .

(٥) Translation of the Scriptures , P. 29

(٦) المصدر ذاته ، ص ٢٩ .

الدكتور فان ديك على عاتقه اعادة النظر بجميع الترجمة التي لم تطبع اولا لان الدكتور عالي سميث ترك العديد من اشارات الاستفهام حول بعض النقاط كي يعود ويتخذ قرارا بشأنها فيما بعد (١) ، وثانيا لان الدكتور سميث لم يتقيد بالترجمة الحرفية التي كانت تلزمها قوانين جمعية التوراة الاميركية . وبعدئذ قام بترجمة الاسفار والنبوات التالية التي لم تكن قد ترجمت من قبل وهي : الاسفار - ايوب ، والمزامير ، والامثال ، والجامعة ، ونشيد الانشاد ، والنبوات - حزقيال ، ودانيال ، وحبقوق ، وزكريا ، وصفنيا ، وحجي ، وملاخي (٢) .

وخلال عملية الطباعة كان يطبع ٣٠ نسخة من كل سفر ترسل " الى علماء كثيرين من العرب والافرنج ، من المسلمين والنصارى ، من الباباويين والبروتستانت وطلبوا (الانجيليون) من كل واحد رأيه ونظره في كل كلمة وكل عبارة " (٣) . وكانت الاقتراحات الواردة على النسخ المعادة تدرس بعناية فائقة كلية حتى ان الدكتور فان ديك اعتبر ان عقول كثيرة ، من مواطنين واجانب في بيروت ودمشق وحلب والقدس ومصر وفي بعض الاحيان في المانيا ، اشتركت في اخراج هذه الترجمة (٤) . وهكذا بعد مرور ١٨ سنة على الشروع في عمل الترجمة انتهت المطبعة توضيب اخر حرف في العاشر من اذار ، وانتهت طباعة اخر صفحة من الكتاب المقدس في ٢٩ اذار ١٨٦٥ (٥) .

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٢ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٦ .

(٣) " ارتداع السهام على اليسوعي فان هام " ، ص ٤٠٣ .

(٤) Translation of the Scriptures , P. 28 .

(٥) المصدر ذاته ، ص ٣١ .

واثر صدور جريدة البشير^(١) ، الناطقة الرسمية بلسان اليسوعيين في الديار الشامية اخذت تظهر في اعدادها خلال سنتي ١٨٧١ و ١٨٧٢ مقالات انتقادية حول الترجمة الانجيلية للكتاب المقدس ، كان يكتبها الاب فان هام اليسوعي ، ومعظم هذه الانتقادات كانت تدور حول معاني بعض الالفاظ مثل : " ينقص " بدلا من " يفنى " الواردة في انجيل لوقا ٢٢ : ٣١ (لكي لا يفنى ايمانك) ، و " يجازى " بدلا من " يهب " الواردة في رسالة بولس الرسول الثانية الى اهل تيطس ٤ : ٨ (اكليل البر الذي يهبه لي) ومثل ما ورد في انجيل متى ٦ : ٧ حيث يقول المترجم الانجيلي " وحينما تصلون لا تكررُوا الكلام باطلا " ، فقد ذكرت البشير ان هذا العدد من انجيل متى يجب ان يقرأ هكذا " واذا صليتم فلا تكررُوا الكلام مثل الوثنيين " . وقد فندت مجلة النشرة الاسبوعية التي كان يرأس تحريرها الدكتور فان ديك وقتئذ ، هذه الانتقادات بنشر سلملة من المقالات دعته " ارتداع المسهام على اليسوعي

(١) انشئت جريدة البشير ، سنة ١٨٧٠ . راجع شيخو ، لويس ، " البشير " ، المشرق ، ج ٣ (١٩٠٠) ص ٧٠٩ .

فان هام (١) .

وكان الدكتور كرنيليوس فان ديك يصرد دائما ، ان كان في كتاباته او في احاديثه ، على ان الترجمة التي قام بها الدكتور عالي سميت للكتاب المقدس كان لا غنى عنها بالنسبة الى اتمام الترجمة (٢) . ويقول الدكتور يعقوب صروف " فالظاهر ان موت عالي سميت قبل ان يتم من الترجمة شيئا كثيرا حول اذهان العموم عن ذكره حتى خيف ان ينسى فضله . وذلك مااء الدكتور فان ديك اكثر مما ساء غيره ، فصار احرص الناس على ذكر اسم عالي سميت قبل اسمه . ولا نتذكر اننا سمعناه مرة يذكر ترجمة التوراة الا قدم فيها اسم عالي سميت بقوله : لما ابتدأ فيها فلان واتممتها انا . واتفق انه

(١) بلغت الاعتراضات التي ردت عليها النشرة الاسبوعية تسع اعتراضات تدل على تمكن كاتبها من اللغات الاصلية التي ترجم عنها الكتاب المقدس . للاطلاع على هذه الانتقادات والرد عليها راجع النشرة الاسبوعية ، العدد ٥١ ، (١٨٧٢ / ١٢ / ١٧) ص ٤٠٢ - ٤٠٣ والصفحات التالية ٤١٢ - ٤١٣ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ ، وفي العدد الاول (١٨٧٣ / ١ / ٧) ص ٣ - ٤ ، ص ١٣ - ١٤ ، ص ٢١ - ٢٢ ، ص ٢٨ - ٢٩ . ومن اجل الترجمة الانجيلية للكتاب المقدس راجع زيدان ، جرجي ، "ترجمات الكتاب المقدس" ، الهلال ، ج ٢ (١٨٩٤) ص ٥٩٤ - ٥٩٨ و

Jessup , PP. 66 - 78

Thompson , John , The Major Arabic Bible , New York , 1956 , PP. 20 - 27 .

" The Arabic Bible of Drs. Eli Smith and Cornelius V. A. Van Dyck" , Journal of American Oriental Society , Vol. XI , (1885) P.285 .

Translation of the Scriptures , وكراس

(٢) . Translation of the Scriptures , P. 27 .

لما اتى امبراطور البرازيل الى سورية سنة ١٨٧٢ قصد الدكتور فان ديك الى مرصد
المدرسة الكلية [الكلية السورية الانجيلية] وقال له على مسمع منا : اني سمعت
بترجمتك الشهيرة للتوراة ، فقاطعه الدكتور فان ديك قائلاً : لعله لم يبلغ جلالتم
اني انا لست مترجمها الوحيد فقد شرع في ذلك المرحوم عالي سميث وانعمت انا ما بقي
بعد موته . (١) .

(١) سرا النجاح ، ص ٢٢٤ .

النشرة الاسبوعية

لم تكن مجلة النشرة الاسبوعية المجلة الاولى التي انشأها المرسلون الاميركان في الديار الشامية بل سبق ان انشأ الدكتور عالي سميث عام ١٨٥٣ مجلة سنوية دعاها مجموع فوائد (١) واستمرت حتى سنة ١٨٥٥ حيث ظهر منها ثلاثة اجزاء ثم احتجبت فبلغ مجموع عدد صفحاتها ١٤٤ صفحة (٢) . وفي مطلع شهر اذار عام ١٨٦٣ انشأ الدكتور كرنيليوس فان ديك نشرة شهرية دعاها اخبار عن انتشار الانجيل في اماكن مختلفة (٣) كانت تطبع في بادى امرها في صفحتين ولم يكد يمضي على صدورها ثلاثة اشهر حتى اخذت ابتداء من شهر حزيران عام ١٨٦٣ تطبع باربعة صفحات ولكن صفحاتها هذه لم تكن تحمل ارقاما ، وابتداء ترقيم صفحاتها اعتبارا من عدد تشرين الاول عام ١٨٦٧ ، واستمرت في الصدور حتى شهر ايار عام ١٨٦٨ (٤) وهي باكورة الصحف الدينية

-
- (١) يذكر دى طرازي انها انشئت سنة ١٨٥١ ثم يعود فيذكر انها احتجبت سنة ١٨٥٥ بعد صدور ثلاثة اجزاء منها ، ويقول : " هي باكورة كل المجلات التي ظهرت باللمان العربي واقدما عهدا على الاطلاق . فكانت مصدرة بتقويم الشهور الشمسية والقمرية ، ومباحثها تدور على الشؤون الدينية والعلمية والتاريخية والجغرافية وسواها من المواضيع المفيدة " ، دى طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج ١ ، ص ٥٣ .
- (٢) الميشنري هيرلد ، ج ٥٣ (١٨٥٧) ص ٢١٤ .
- (٣) وكانت ترسل بانتظام الى حلب ودمشق ، وحمص ، وطرابلس ، واللاذقية ، ومناطق مختلفة في لبنان ، وصيدا ، والناصرية ، والقدس ، والاسكندرية والقاهرة . الميشنري هيرلد ، ج ٥٩ (١٨٦٣) ص ١٣٧ .
- (٤) يذكر دى طرازي خطأ بانها احتجبت في ختام عام ١٨٦٥ . دى طرازي ، ج ١ ، ص ٦٦ .

والمصورة معا في لسان العرب وسائر اللسان الشرقية . وغرضها اذاعة اخبار المرسلين البروتستنت في اقطار العالم وتعميم انتشار الانجيل بين القبائل المختلفة في الشرق الادنى . وكانت رسومها مطبوعة بغاية الاتقان ويؤتى بقوالها محفورة في اميركا^(١) . ويظهر مما نشر فيها من اخبار خلال خمس سنوات ونيف انها كانت نشرة دينية ملتزمة حتى يكاد الباحث لا يجد فيها سوى اخبار عن اعمال المرسلين الانجيليين في مختلف انحاء العالم في المكسيك وافريقية وبلاد العجم والهند واليابان والصين بالاضافة الى ما كان يجري من " اضطهاد " للانجيليين في اسبانية وفرنسة وايطالية .

وفي شهر حزيران عام ١٨٦٨ اصدر الدكتور فان ديك النشرة الشهرية على انقاض اخبار عن انتشار الانجيل في اماكن مختلفة ولكن بحلة جديدة متبنيا نفس السياسة التي كانت متبعة في اختيار الاخبار عن المرسلين الانجيليين مضيفا الى ذلك بعض مقالات اجتماعية اخلاقية باسلوب قصصي لاستخلاص العبرة منها ، ومقالات اخرى غايتها تهذيب النفوس بما تقدمه من ارشاد عن طريق النصائح وضرب الامثال ، واخذت تنشر ايضا مقالات علمية في مختلف الحقول ، وجميع ذلك " بعبارة بسيطة ملائمة لاهل ذلك العصر خاصتهم وعامتهم " (٢) . ويذكر الفيكونت فيليب دى طرازى صاحب كتاب تاريخ الصحافة العربية ايضا انه جرى في عام النشرة الشهرية الاخير (١٨٧٠) من عمرها " بينها وبين مجلة المجمع الفاتيكانى الخاصة بالاباء اليسوعيين جدال يتناول بعض المسائل المختلف عليها بين الكاثوليك والبروتستنت " (٣) ، ولكن لم اعثر ، خلال تصفحي لاعداد هذه النشرة الواحد والثلاثين الصادرة ما بين حزيران ١٨٦٨ و اخر كانون الاول ١٨٧٠ ، على اى جدال من هذا القبيل سوى ما جاء في عدد ايلول ١٨٧٠ من انتقاد لعصمة البابا على اثر اجتماع المجمع المسكوني في رومية في ربيع تلك السنة .

(١) دى طرازى ، ج ١ ، ص ٦٦ .

(٢) المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٣) المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٦٩ .

وفي ١٠ كانون الثاني عام ١٨٢١ خلفتها مجلة النشرة الاسبوعية التي اخذت
تطبع اسبوعيا بينما كانت اخبار عن انتشار الانجيل في اماكن مختلفة والنشرة الشهرية
تطبعان شهريا . وتخلت النشرة الاسبوعية عما كانت تنشره سابقاها من اخبار المرسلين
المنتشرين في العالم واخذت تبث تعاليم المذهب الانجيلي بالاضافة الى السياسة التي
اتبعتها في سنتها الثانية بنشر سلسلة من التواريخ والقصص المتعلقة بالمذهب الانجيلي
كتاريخ الاصلاح لدويناء وقصة بيت شونبرج و كوتا وقصة الفودا او الولد نسين وسلسلة
من المقالات حول " زمان الرسل " و " الوعظ على الجبل " و " اضطهاد المسيحيين الاولين "
و " قاموس ذخائر القديسين " ، ولعل هذا ما دعا مجلة الميشنري هيرلد الى ان تشير
الى ذلك بالادب المسيحي الذي ينشئه الدكتور فان ديك ^(١) . ولم تقتصر النشرة الاسبوعية
على نشر التعاليم الدينية بل كانت تعنى بالمسائل العلمية وبصورة خاصة الفلك وعلم
الحيوان والنبات والطب والجغرافيا والتاريخ ولم تهمل تراجم بعض الرجال المشهورين .
كما انها لم تغفل " الحوادث الجارية " التي خصص لها بابا في كل عدد تقريبا بالاضافة
الى " الامثال والحكم " التي كانت تنشرها ناهيك عن القصص التي كانت تروىها للتعبير عن
فكرة اخلاقية تريد ان يظهر من طرافتها ما يستطيع كل فرد ان يستفيد من الاعتبار بها .
فكانت بذلك جامعة لكل طريف ومفيد ^(٢) بما في ذلك تشجيع المشروعات العلمية المفيدة كتقريب

(١) الميشنري هيرلد ، ج ٦٦ (١٨٢٠) ص ١١ .

(٢) ولعل ذلك يدل على ما عرف به الدكتور فان ديك بانه " كان ذاق عقل جامع " ،
صروف فؤاد ، " يعقوب صروف " ، رسالة العلم ، ج ٢٥ (١٩٥٨) ،
ص ٤٠٢ .

الدكتور فان ديك لكتاب الجغرافيا الذي ألفه سليم الخوري وسليم شحادة (١) ولمجلة المقتطف التي أنشأها الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر (٢) . وقد ترفعت هذه المجلات الثلاث عن المباحكات الدينية ^{والنشرية} ~~والنشرية~~ الرد على الطعن والقدح وتبني سياسة "السكوت الموقر" تجاه خصومها طيلة مدة رئاسة الدكتور فان ديك لتحريرها فكان ترفعها هذا مآثرة في تاريخها . فأننا نجد لها اثنا معالجتها لقضية "عصفاة الباباوات" (٣) تناقشها من الناحية النظرية وترفض الفكرة على أساس عدم صحتها وذلك دون التعرض الى اشخاص الباباوات ، كما نجد انها تصرح علنا انها لم ترد على اعتراضات الاب فان هام اليسوعي للترجمة الانجيلية للكتاب المقدس التي كان ينشرها في جريدة البشير ، ولكن عندما جمع مقالاته هذه في كتاب ردت النشرة الاسبوعية على ذلك بسلسلة من المقالات دعيتها "ارتداع السهام على اليسوعي فان هام" . ولكنها لم ترد على ما انتقده الاب المذكور حول "تاريخ الاصلاح" الذي كانت تنشره النشرة الاسبوعية عن تاريخ نشأة الحركة البروتستانتية بقيادة لوثر في القرن السادس عشر ، حتى عندما جمع الاب المذكور انتقاداته في كتاب سماه الكوكب الواضح في تاريخ الاصلاح (٤) .

(١) النشرة الاسبوعية ، العدد ٢٠ (١٩ / ٥ / ١٨٧٤) ص ١٨٠ ، كتاب

اثار الادهار - قاموس الجغرافية .

(٢) المصدر ذاته ، العدد ٢١ (٢٢ ايار ١٨٧٦) ص ١٦٧ - ١٦٨ ،

والعدد ٢٣ (٥ حزيران ١٨٧٧) ص ١٩٦ .

(٣) النشرة الشهرية (ايلول ١٨٧٠) ص ١ - ٤ .

(٤) الاب فان هام اليسوعي ، الكوكب الواضح في تاريخ الاصلاح (ردا على ما اخترعه خدمة الابروتستانت) ، بيروت ، مطبعة المرسلين اليسوعيين .

١٨٧٦ .

ولعل هذه السياسة التي كان يتبعها الدكتور كرنيليوس فان ديك في تحرير النشرة الاسبوعية لم ترق لزملائه في ^٢الارسالية السورية " مما دعاهم الى ان يذكروا في مقدمة العدد الاول من النشرة الاسبوعية الذي ظهر بتاريخ ١ كانون الثاني عام ١٨٨٠ ، اثر تعيين القس وليم ادي رئيسا لتحريرها ، ما يلي : " من اوضح الامور اننا لا نستغني عن جريدة دينية فلا نكتفي بجرائد العلوم كالجنان و المقتطف ولا بجرائد السياسة والتجارة كالجنة و لسان الحال ولا بجرائد اولاد مدرسة الاحد كجريدة كوكب الصبح ، فيقتضي ان يكون لنا جريدة غايتها افادة الناس في الامور الدينية . نعم ان الكتاب المقدس ومواعظ الكنيسة تفيدنا في هذا الشأن ولكن نحتاج ايضا الى ما يرافقنا في اصلاح شأن بيوتنا واعمالنا اليومية " (١) . والجدير بالذكر هنا ان اسم الدكتور فان ديك لم يظهر على اى من هذه المجلات الثلاث طيلة مدة رئاسته لتحريرها ستعشر سنة (٢) .

(١) النشرة الاسبوعية ، العدد ١ (كانون الثاني ١٨٨٠) ص ١ .

(٢) وقع الدكتور كرنيليوس فان ديك اسمه على مقالتين فقط ، اولاهما تقرير لكتاب سليم الخوري عن الجغرافيا ، والثانية تقرير المقتطف . راجع اعلاه ص ٨٥ ، هامش ١ و ٢ .

وقد وضع الدكتور خات دليح عدداً من

الكتب الدينية هـ هي :

١ - اصول الايمان المسيحي ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، لا ت . ٠ ٨٠ ص .

كتاب للتعالم المسيحية يشتمل على ١٠٧ اسئلة تتناول مختلف المواضيع الدينية ، واجوبة عليها مستقاة من الكتاب المقدس . نسوق المثال التالي عليها :
"س- ما هي غاية الانسان العظمى ؟ ان غاية الانسان العظمى هي ان يعبد الله ويتمتع به الى الابد " (١) وللدلالة على صحة الجواب يستشهد ، في هذه الحالة ، بما ورد في رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل كورنثيوس : " لانكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في اجسادكم " (٢)

٢ - موعظة الافتخار بالصليب ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٤ ، ١٥ ص .

بنى الدكتور فان ديك موعظته هذه التي القاها في جمعية شمس البر على قول بولس الرسول الى اهل غلاطية : " واما من جهتي فحاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع " (٣) ويذكر ان جميع المعارف الدينية والعقلية هي ليست جوهرية ان لم نعتمد على الافتخار بالصليب ويخلص الى النتيجة التالية : " انه يمكن للانسان ان يتعلم اشياء كثيرة من الكتب المقدسة مثل تواريخها وسني حوادثها كما يتعلم تاريخ المصريين

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، لا ت . ٠ ص ٣ .

(٢) رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل كورنثيوس ، الاصحاح ٦ العدد ٢ .

(٣) غلاطية ١٤ : ٦ .

ولعل الدكتور فان ديك بترجمته لهذا الكتاب كان ينفذ رغبة كان قد ابداهها
الدكتور عالي سميت في تقرير ارسله الى المجمع الاميركي لهندوبي البعثات التبشيرية
في بوسطن تمنى فيه ان يصبح للانجيليين في سوريا ادبا مسيحيا مثل كتاب تاريخ
الاصلاح لدوبينيا (١) .

يتضمن هذا الكتاب حالة اوربا قبل عصر الاصلاح وسيرة مارتن لوتر واعماله
وخطبه وترجمته للكتاب المقدس الى اللغة الالمانية . وفي عام ١٩١٣ لخص الشاعر
ابراهيم الحوراني هذا الكتاب وطبعته مطبعة الاميركان بجزء واحد .

٤ - البيان في قاعدة الايمان ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٧ ، ٢٣٩ ص .

ترجم الدكتور فان ديك كتاب البيان في قاعدة الايمان (٢) واخذ ينشره تباعا
في مجلة النشرة الاسبوعية خلال سنتي ١٨٧٥ و ١٨٧٦ . ان الغاية الظاهرة من
نشر هذا الكتاب هي وجوب التشديد على التمسك بكلام الله وتوضيح عدم عصمة الكنيسة
في تفسير الكتاب المقدس وانها ليست بقاض معصوم في امور الايمان (٣) ، والتشديد
ايضا على ان ليس كل اعتقاد حقيقة واقعية ، فاذا " اكل انسان سما ظانا انه طعام
صحيح لا يخلصه فكره هذا من الموت بالسم . . . وهكذا اذا زعم انسان بانه في

(١) الميشنري هيرلد ، ج ٤٠ (١٨٤٤) ص ٢٧٢ .

(٢) The Rule of Faith

(٣) فان ديك ، كرنيليوس ، البيان في قاعدة الايمان ، بيروت ، مطبعة الاميركان ،
١٨٧٧ ، ص ١٧٢ .

الطريق المؤدية الى السماء وهو في الطريق المؤدية الى جهنم فمهما ثبت فكره بانه ذاهب نحو السماء يصاب اخيرا بخيبة امل لا توصف ، انه شارد ، ضال ، هالك . (١) ثم يتطرق الى ذكر كون صدق الكتاب المقدس لا يعتمد على قبول المسيحيين او رفض الكافرين ، فيقول : " ان الحق هو الحق ان قبلناه او رفضناه فان الشمس لا تزال تضيء وان كان الاعشى لا يراها . والارض تدور على محورها وان كان الجاهل لا يصدق ذلك وموجود اله يقاص الاشرار وان كانوا لا يؤمنون به ولا يخافون منه . والكتاب المقدس هو الصادق ولكن كان البعض يكذبونه ويجدون على اسم الله القدوس الذي انزله ، ورفض الكافرين اياه لا يجعله كاذبا كما ان قبول المسيحيين اياه لا يجعله صادقا ، وصدقه لا يتوقف على معاملة الناس اياه . (٢) .

٥ - قصة بيت شونبرج وكوتا (٣) ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٨٥ ، ٧٠٠ ص .

بدأت النشرة الاسبوعية الصادرة بتاريخ ١٣ ايار عام ١٨٧٣ ، وكان الدكتور فان ديك رئيسا لتحريرها وقتئذ ، بنشر ترجمة لقصة بيت شونبرج وكوتا واستمرت في ذلك حتى سنة ١٨٧٥ (٤) . وفي عام ١٨٨٥ طبعت هذه القصة وذكر انها من ترجمة الدكتور فان ديك .

(١) المصدر ذاته ، ص ٣ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٤ .

(٣) Charles, E. R., Chnionicles of the Schonberg-Gotta Family, New York, Dodd, 1864 .

(٤) نشرت في ١٠٦ اعداد من اعداد النشرة الاسبوعية وكان الانتهاء من نشرها في العدد ٢٠ (١٨ ايار ١٨٧٥) ص ١٥٨ .

والقصة مبنية على يوميات احدى الاسر الالمانية التي عاصرت حركة لوثر ، وهي تصور عمله وتأثيره . وكانت تلك الاسرة " قد تربت في الكنيسة البابوية مؤمنة بكل تعاليمها الصحيحة والفاسدة وتتبعها في شكوكها وايمانها من درجة الى اخرى حتى ثبتت على الاساس المتين وتمسكت بالعروة الوثقى " (١) . وجعلت مؤلفة هذه القصة الكلام في افواه اعضاء تلك الاسرة موافقا للمتكلم ، فالابنة غير المتعلمة تتكلم بكلام بسيط سطحي بخلاف ابن المدرسة الذي يتكلم بكلام متزن وعميق . ويقول الدكتور فان ديك : " وقد استحسننا ترجمة هذه القصة الى العربية لموافقتها حال هذه البلاد في هذه الايام ولتكون على نوع ما موضحة لحال العامة في عصر الاصلاح الذي طبع تاريخه . واقتضى هذا التنبيه لئلا يلحظ علينا من جهة بساطة اللفظ والكلام في اول القصة لان المستفتح الكلام ابنة بسيطة فلا بد من كون كلامها بسيطا وعندما يتكلم الشاب ابن المدرسة يتغير النفس حسب حال المتكلم ويلاحظ ايضا ان المتكلمين يظهرون احيانا افكارا وعقائد غير صحيحة وذاك للظلام الذي كانوا فيه وخرجوا منه بعد حين " (٢) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، قصة بيت شونبرج وكوتا ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٨٥ ، ص ٤ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٤ .

٦ - كشف الاباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت ، مطبعة الاميركان ،
طبعة رابعة ، ١٨٨٩ ، ٤٦٠ ص .

ان هذا الكتاب مبني على جملة مأخوذة من سفر الخروج هذا نصها :
" لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما ، مما في السماء من فوق ، وما في الارض من
تحت ، وما في الماء من تحت . ولا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك ،
اله غيور ، افتقد ذنوب الاباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي ، واصنع
احسانا الى الوف من محبي وحافظي وصاياي " (١) .

يشجب الدكتور فان ديك في بدء كتابه هذا عبادة الصور والتماثيل ويرى
بانها تتنافى مع ابسط البراهين العقلية : " اذا اعتبرنا سمو شأن العقل البشري
وامتداد قواه ومعرفته الطبيعية بالله فضلا عن معرفته الادبية الناتجة عن النظر
الى اعماله تعالى نظن ان سقوطه في عبادة صنعة الياي امر مستحيل وانه ليس
بممكن له ان ينحني امام صورة او حجر منقوش " (٢) . ويتحدث عن تاريخ استعمال
الصور والتماثيل في العبادة منذ القدم الى ان وصلت الى المسيحية معتبرا ادخالها
الى الكنائس " والسجود لها هو الامر الوحيد الذي اخذته النصرانية الكليريكية من

(١) سفر الخروج ٢٠ : ٤ - ٦ .

(٢) فان ديك ، كرنيليوس ، كشف الاباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت ،
مطبعة الاميركان ، طبعة رابعة ، ١٨٨٩ ، ص ٥ .

المذاهب الوثنية " (١) . وختم كتابه بالدعاء الى الله تعالى " ان ينير عقول الجميع ويهديهم الى طاعة وصاياه الواضحة الصريحة فيطهرون المعابد من الاصنام كما طهر يوشيا الهيكل من رجاساته " (٢) .

٧ - ابن حور (٣) ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٦ . ص ٥٠٠ .

كان مؤلف هذا الكتاب ، الجنرال ليوولس ، سفيراً للولايات المتحدة الاميركية في الاسكندرية من سنة ١٨٨١ - ١٨٨٥ . وكان ملحداً منكراً للديانة المسيحية ، وتلبية لاقتراح صديقه روبرت انكرسول ، الملحد الشهير ، راح يجمع مواد عن العصر الذي عاش فيه السيد المسيح لينفي كونه قد عاش في ذلك العصر . وبعد ان قضى بضع سنين في التفتيش وجمع كل ما يطلبه من كل مصدر وصل اليه بدأ بتأليف الكتاب . ويقول المؤلف في مقدمة القصة ولكنني : " بعد ان سطرت اربعة فصول اقتنعت ان يسوع المسيح هو شخص حقيقي ومعلم من الوجهة التاريخية كسقراط وافلاطون وقبصر وغيرهم من القدماء " . شرعت في تأليف كتاب يثبت ان ديانة يسوع المسيح ليست سوى خرافة وجنون ولكن بحثي قادني اولا الى الاعتقاد ان يسوع المسيح رجل حقيقي لا وهمي ثم الى الاعتقاد انه مخلص فتبعته " (٤) .

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٧ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٤٦ .

(٣) Wallace, Leo, Ben Hur , New York, 1890 .

(٤) فان ديك ، كرنيليوس ، ابن حور ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٦ ،
و ص ٣ - ٤ .

تتناول القصة حياة شاب يهودي ، عاش في القرن الاول للميلاد ، حكم عليه بالاشغال الشاقة لانه فج راس احد الرومانيين الحكام ، وكان الحكم يقضي بان يعمل كرقيق يجذف على ظهر مركب روماني . واثناء احدى الرحلات انكسر المركب واستطاع هذا الشاب ان ^{ينفذ} يخلص قائدا رومانيا من الغرق ونتيجة لذلك تبناه القائد واعتقه . والقصة تتحدث عن علاقة الرومان باليهود في زمن السيد المسيح ، وتشتمل على حوادث ورد ذكرها في العهد الجديد .

وذكر الدكتور يعقوب ^ص اثنا تأريخه لسيرة الدكتور فان ديك في عدد المقتطف لشهر كانون الثاني عام ١٨٩٦ ، ان لديه " رواية دينية بديعة ترجمها [فان ديك] حديثا عن اللغة الانكليزية ثم وافته المنية قبل طبعها ، وكان قد طلب اليها ان تتولى طبعها فارسلت اليها بعد وفاته وستطبع وتشرقريبا " (١) .

وجوابا على عدد من الاسئلة وجهتها مجلة الهلال عام ١٩٢٧ الى بعض الادباء والعلماء ، من بينها سؤال حول الكتب التي طالعوها في شبابهم وافادتهم وكان لها اثر في حياتهم ذكر الاستاذ جبر ضومط ، استاذ اللغة العربية في الكلية السورية الانجيلية من سنة ١٨٩٢ - ١٩٢٥ (٢) ، والاستاذ منصور جرداق ، المدير السابق لمرصد الجامعة الاميركية في بيروت ، ان قصة ابن حورهي من بين الكتب التي افادته والتي ينصح الشباب بقراءتها (٣) .

-
- (١) " الدكتور كرنيليوس فان ديك " ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ١ .
(٢) سنة ١٩٢٢ تغير اسمها الى " الجامعة الاميركية في بيروت " .
(٣) جرداق ، منصور ، " استفتا الهلال " ، الهلال ، ج ٣٥ (١٩٢٧) ص ٢٧٦ . وضومط ، جبر ، " استفتا الهلال " ، الهلال ، ج ٣٥ (١٩٢٧) ص ٦٨٣ .

٨ - وهناك اشارة الى كتاب ديني اخر من تأليف الدكتور فان ديك يدعى السهم الطيار والفخ القرار (١) ، ذكر فيه ان الكرم تحتاج الى السهم الطيار والفخ القرار لتوقيتها من الثعالب الصغار . وان الدكتور فان ديك اراد هنا بالثعالب جميع العيوب : كالحسد ، والكسل ، والخساسة ، والاسراف ، وسوء الخلق ، وقساوة الطبع ، والمزاج ، ومحبة المجد العالي ، والغرور ، والافتخار بشرف الحساب والنسب او احتقار من نظنه دوننا (٢) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، السهم الطيار والفخ القرار ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٨٢ ، ص ١٢ .

(٢) بارودي ، اسكندر ، حياة الدكتور كرنيليوس فان ديك ، بعبداء ، المطبعة العثمانية ، ١٩٠٠ ، ص ٢٧٢ . لم استطع العثور على هذا الكتاب .

ايمان الدكتور فان ديك الديني

كان خوف الله نصب عيني الدكتور كرنيليوس فان ديك " والنظر الى عظمة الخالق دليله في ارضاده الفلكية واشغاله الطبية ومواعظه الدينية " (١) كما كان تقيا راسخ العقيدة الدينية عن اقتناع وروية ، ثقة بما يرجى وايقانا بأمر لا ترى (٢) ، لا عن تسليم وسذاجة . ومن اثنى ما اوصى به قوله لنجله ادوار اثناء زيارة هذا الاخير لوالده عام ١٨٩٤ : " احذر ان يخدعك احد فيسلبك اعتقادك في مبادئ الديانة المسيحية فانها الركن الوحيد الذى يمكننا الاعتماد عليه في مصائبنا وامراضنا وشيخوختنا ، اما ما وراء تلك المبادئ مما هو موضوع اختلاف اللاهوتيين فكله ابهام وظلمة " (٣) .

ويذكر الدكتور اسكندر بارودى ، احد تلاميذه ، بان اخر عظة قدمها الدكتور فان ديك في المدرسة السورية الانجيلية كان موضوعها " التطبيق بين العلم الصحيح والدين الحقيقي بناء على كون كليهما من الله فلا يمكن ان يتناقضا

-
- (١) صروف ، يعقوب ، " تمثالا الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات " ، الكلية ، ج ٤ (نيسان ١٩١٣) ص ١٤٢ .
- (٢) تعريف بولس الرسول للايمان بانه " الثقة بما يرجى والايمان بامور لا ترى " ، الرسالة الى العبرانيين ، الاصحاح ١١ العدد ١ .
- (٣) زيدان ، جرجي ، " الدكتور كرنيليوس فان ديك " ، الهلال ، ج ٤ ، (١٨٩٥) ص ٤٨ .

ما زالا صادقين" (١) ويضيف بانه كان يعلم الطلاب بان "الاسرار التي تتعلق بالخالق والمخلوق والنفس واصل الموجودات ونهايتها التي يعجز الانسان عن ادراكها لا يعلمها الا الله والمؤمن عليه الايقان بنصوص كتابه القائل ان المعلنات لنا ولبنينا واما الاسرار فللرب الهنا" (٢) . وكان يعتقد ان العلم الحقيقي والدين الصحيح صنوان يعضد احدهما الاخر ، واما ما يخال من التناقض بينهما ، "فليس بواقع بل هو من قصر الافهام عن ادراك ما بينهما من العلائق لانه ما دام الكتاب الموحى به من الله والعلم الحقيقي منه تعالى فلا يمكن ان يتناقضا" (٣) .

ويوضح لنا الدكتور فان ديك رأيه فيما يجب على رجل الدين ان يقوم به من واجبات وما على الرعية ان تقدمه تجاه رجال الدين ، وذلك اثناء تروءسه لحفلة سيامة اسعد داود زعرب قسيسا في كنيسة بيروت الانجيلية بتاريخ ٢٥ اذار ١٨٩٤ ، فيقول : "ايها الاخوة الاعزاء . ارعوني اذانا صاغية . قد سمعتم واجبات الراعي نحو رعيته (٤) فانا الان اذكركم بواجبات الرعية نحو راعيها . فكما ان على الراعي واجبات مهمة نحو رعيته ان يسهر عليها ويقوم بجميع الفروض الدينية ، وهكذا عليكم انتم واجبات ليست

(١) بارودي ، اسكندر ، حياة كرنيليوس فان ديك ، بعددا ، المطبعة العثمانية ، ١٩٠٠ ، ص ٨٩ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٣) بارودي ، ص ٩٠ .

(٤) اسم خطبة القاها القس هنري جسب في الاحتفال بسيامة اسعد داود زعرب قسيسا .

اقل اهمية بعضها روحية وبعضها زمنية ولا سبيل لكم ان تطرحوها . فاولا يجب ان تحبوه وتوقروه وتحترموه غاية الاحترام وتقدموا له الطاعة بقدر ما يقدم هو طاعة للمسيح ، ولا ترشوا عليه ماء باردا من وقت الى اخر لئلا يبرد ويفتر . ثم عليكم واجبات اخرى وهي ان تقدموا له جميع لوازم الحياة الارضية ولا تدعوه يهتم بشي منها ليتفرغ الى العمل الذي سيم لاجله ، لانه كما قال المثل " اذا كانت الثياب بالية ، وقفة الخبز خالية ، تبرد الغيرة وتفسد السيرة " . ثم التمس منكم جميعا ان تتضرعوا الى الله ليثبت هذه الكنيسة الانجيلية الوطنية فتتم وتقوى وتعتد . والله يبارك عملكم هذا ويكلله بالنجاح " (١) .

واذا جاز لي في هذا المجال ان اورد ما ذكره الدكتور قسطنطين زريق عن ايمان مؤسسي الجامعة الاميركية في بيروت حيث يقول : " ان مؤسسي هذه الجامعة ما كانوا ليستطيعوا يوما ان يعملوا ما عملوه ، او ان ينجزوا ما انجزوه من انشاء وبناء وتأليف في مختلف حقول العلم وخلق جيل صالح من اهل البلاد لو لم يكونوا اصحاب عقيدة وايمان " (٢) ، وبما ان الدكتور كرنيليوس فان ديك ساهم مساهمة فعالة خلال ١٢ عاما في ارساء هذا التراث الخير على قواعد متينة بالاضافة الى ما قام به من جليل الاعمال الاخرى ، لا يسعني هنا الا ان استعير هذا الوصف وانكر بان الدكتور كرنيليوس فان ديك ما كان ليستطيع يوما ان يعمل ما عمل ، او ينجز ما انجز لو لم يكن صاحب عقيدة وايمان .

(١) " كنيسة بيروت الانجيليتان " ، النشرة الاسبوعية ، العدد ١٤٢٠ ،

(نيسان ١٨٩٠) ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) زريق ، قسطنطين ، " حقائق باقية " ، الابحاث ، ج ١٣ (حزيران ١٩٦٠)

ص ٢١٤ - ٢١٥ .

الفصل الرابع

نشاط الدكتور فان ديك التعليمي

ينقسم نشاط الدكتور كرنيليوس فان ديك التعليمي الى ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٦ حين درس اللغة الانكليزية والكتاب المقدس في دير القمر وعيتات وعبيه ، والمرحلة الثانية من ٩ تشرين الثاني عام ١٨٤٦ حتى نهاية السنة الدراسية ١٨٤٩ - ١٨٥٠ ، حين جدد نظام مدرسة عبيه فاصبحت بمثابة مدرسة ثانوية ، والمرحلة الثالثة من خريف عام ١٨٦٢ حتى اخر كانون الاول عام ١٨٨٢ ، وهي الفترة التي عمل بها استاذاً في الكلية السورية الانجيلية .

لقد سبقت الاشارة الى ان نشاط المرسلين الاميركان ، بما في ذلك النشاط التعليمي ، اقتصر في بادئ امرهم على بيروت وذلك اثر صدور امر الامير بشير الشهابي الكبير عام ١٨٢٣ الى المجتمعين منهم في بلدة عينطورة بمغادرة البلدة والعودة الى بيروت . واستمر هذا الوضع حتى اواخر حكم ابراهيم باشا المصري للديار الشامية ، عندما اعز المجمع الاميركي لهندوبي البعثات التبشيرية سنة ١٨٤٠ الى " الارسالية السورية " ، على اثر وصول جماعة جدد من المرسلين الاميركان الى بيروت كان الدكتور فان ديك احدهم ، ان تهتم اهتماما خاصا بالطائفة الدرزية (١) الامر الذي شجع هذه الارسالية على تلبية طلب رؤساء ومشايخ الطائفة المذكورة لفتح مدارس في مناطقهم من اجل تعليم ابنائهم (٢) . فأنشأت مدرسة في دير القمر في صيف عام

(١) الميشنري هيرلد ، ج ٣٧ (١٨٤١) ص ٦ .

(٢) المصدر ذاته ، ج ٣٨ (١٨٤٢) ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

١٨٤١ لتعليم ابناؤه اعيان الدروز وعينت الدكتور سميت والدكتور فان ديك والمرسل ولكوت للتعليم فيها ، ولكن لم يكتب لهذه المدرسة الحياة طويلا اذ اضطر المشرفون عليها الى اغلاق ابوابها بسبب الحوادث بين الموارنة والدروز عام ١٨٤١ (١) . وفي عام ١٨٤٢ نقل الى عيتات .

وكان الدكتور فان ديك خلال عمله في قرية عيتات يعلم ابناؤه هذه القرية اللغة الانكليزية والكتاب المقدس لمدة لا تتجاوز السنة . وعندما نقل الى عبيه عام ١٨٤٣ فتح فيها مدرسة وراح يعلم ابناؤها ويعظ اهلها (٢) ثم التحق بمركز عبيه ، الذي كان قد انشئ حديثا ، كل من الدكتور طمسن والمرسل هوايتن وفتح هو "لا" الثلاثة مدارس اخرى في بعض احياء عبيه وضواحيها بلغ عددها ثعاني مدارس كانوا يدرسون فيها اللغة الانكليزية والكتاب المقدس خارج اوقات الوعظ (٣) .

(١) لم تمر حادثة فتح هذه المدرسة الاولى في جبل لبنان دون ايقاظ روح المنافسة عند الرهبنة اليسوعية فلقد وصل ثلاثة من هذه الرهبنة الى بيروت عام ١٨٤١ قادمين من فرنسا لتعليم ابناؤه الطائفة المارونية .

الميشنري هيرلد ، ج ٣٧ (١٨٤١) ص ٢٧٤ .

(٢) "مذكرات الدكتور فان ديك" ، ص ٢٧٥ .

(٣) واثرا فتتاح مدرسة في عبيه عام ١٨٤٣ ارسلت الرهبنة اليسوعية راهبا ايطاليا

لتعليم ابناؤه عبيه اللغتين العربية والايطالية . وكان هذا الراهب يتذمر

بان المرسلين الاميركان يغفرون طلاب مدرسته بل لالتحاق بمدرستهم .

الميشنري هيرلد ، ج ٤٠ (١٨٤٤) ص ٢٠٥ .

مدرسة عبية العالية

وفي سنة ١٨٤٦ عينت * الارشالية السورية * الدكتور كرنيليوس فان ديك مديرا
لمدرسة عبية كما عينت ايضا المعلم بطرس البستاني مساعدا له . فجدد الاثنان معا
نظام المدرسة ورتبها ترتيبا حسنا حيث قسما دروسها على نحو جديد يشمل دراسة
اربع سنوات لاجتياز صفوفها الاربعة . وهذه الصفوف تأسست تدريجا واحدا بعد
الآخر . وكان يدرس في الصف الاول : الحساب والتاريخ والجغرافيا وصرف اللغة العربية
والكتاب المقدس ^(١) ، والجبر والهندسة ونحو اللغة العربية والعروض والكتاب
المقدس في الصف الثاني ، والفلك او علم الهيئة وعلم المثلثات وفن قياس المساحة
(Mensuration) والخطابة واللغة الانكليزية والكتاب المقدس في الصف
الثالث ^(٢) ، واللغة الانكليزية والالقاء (Declamation) والكيمياء والطبيعات
(Physics) والمنطق والكتاب المقدس في الصف الرابع ^(٣) ، وقرر منهاج
المدرسة الجديد ان تكون اللغة العربية لغة التدريس الرسمية على ان تدرس اللغة
الانكليزية كاحدى مواد التدريس في السنتين الاخيرتين الثالثة والرابعة ، وكانت
العطلة السنوية ثمانية اسابيع تعطى على دفعتين ، الاولى تشمل اربعة اسابيع في
شهر نيسان ، والثانية الاسابيع الاربعة الاخرى في شهر تشرين الاول ^(٤) .

-
- (١) الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٢) ص ٨٣ .
(٢) المصدر ذاته ، ج ٤٦ (١٨٥٠) ص ٢٦٢ .
(٣) المصدر ذاته ، ج ٤٧ (١٨٥١) ص ٢٠٠ .
(٤) الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٢) ص ٨٣ .

التحق بهذه المدرسة عند افتتاحها في ٩ تشرين الثاني عام ١٨٤٦ ثلاثة طلاب فقط ثم انضم اليهم ستة اخرون بعد مرور ستة ايام على افتتاحها ، وهكذا دخل الصف الاول تسعة طلاب سبعة منهم كانوا في القسم الداخلي يأكلون وينامون في المدرسة ، وكان الطالبان الاخران في القسم الخارجي يحضران الدروس فقط (١) .

كان المعلم بطرس البستاني ، في السنة الاولى من تجديد نظام مدرسة عبيه ، يعلم ، في الساعات الاولى من البرنامج المخصصة للتدريس ، مادتي الحساب والقواعد العربية ، بينما كان الدكتور فان ديك يعلم ، في الساعات التالية ، مادتي الجغرافيا والكتاب المقدس ، واما " تعليم اللغات فقد خصص للطلاب المتفوقين الذين يتم اختيارهم لدراستها لكي يصبحوا مترجمين " (٢) وفي شباط عام ١٨٤٧ اضيف الى مواد تدريس الصف الاول السابقة مادة التاريخ العام التي اخذ يعلمها الدكتور فان ديك ، كما كلف الطلاب بكتابة " الانشاء " مرتين ثم عدل عن اعطاء فروض الانشاء كي يفسح المجال امام الطلاب لاكتساب المزيد من المعلومات عن المواضيع العامة (٣) . وقد اعفي ثلاثة طلاب ، من الصف الاول ، من دراسة القواعد العربية ، لضعفهم ولانساج المجال امامهم لاستيعاب الدروس الاخرى (٤) . وذكر الدكتور فان ديك في اول تقرير له عن حالة التعليم في السنة الاولى من حياة مدرسة عبيه بان هناك تقدما مطردا في تدريس جميع المواد (٥) .

-
- (١) طالبان من كل من بيروت وحاصبيا وعبيه وواحد من قرية اسعد شدياق [لحدث] وواحد من قرية قرب حاصبيا . الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٨٤ ، ولم يذكر شي عن الطالب التاسع .
- (٢) الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٨٣ .
- (٣) المصدر ذاته ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٢٧٣ .
- (٤) كانت تتراوح اعمار الطلاب بين ١٢ سنة و ٣٠ سنة . الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٨٣ .
- (٥) الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٢٧٣ .

وفي ٣٠ اذار عام ١٨٤٧ جرى امتحان الصف الاول بحضور اعضاء "الارسالية السورية" وبعض المواطنين والمرسل السكوتلندي كراهام (Graham) (١) . وكتب الدكتور فان ديك يقول عن نتيجة هذا الامتحان ، الاول من نوعه الذي جرى في الديار الشامية ، ما يلي : "استطيع ان اقول ، بكل اخلاص ، ان نتيجة امتحان الصف الاول مشرفة ومرضية كنتيجة معظم صفوف مدارسنا في اميركا " (٢) ، و اضاف بان الطريقة التي اتبعها مع زميله المعلم بطرس البستاني في جعل الطلاب يتقيدون بقوانين المدرسة ومذاكرة دروسهم بانتظام لم تتعد كونها عبارة عن "اسداء نصيحة ملؤها المحبة والعطف" وفي بعض الاحيان كانت تقتصر على توجيه "انذار" (٣) . وذكر في تقرير اخر انه لا يوجد في المدرسة تمييز بين طلابها فلا فرق بين غني او فقير ، او بين طالب من طائفة واخر من طائفة اخرى ، فجميع طلابها متساوون تماما ان كان على مقاعد الدراسة او في باحة اللعب او في قاعة الطعام او في المهاجع (٤) .

-
- (١) كان مركز هذا المرسل في دمشق .
(٢) الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٢٧٣ .
(٣) "Warning" ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٣ .
(٤) المصدر ذاته ، ج ٤٦ (١٨٥٠) ص ٢٦١ .

بقي المعلم بطرس البستاني يقوم بمهمة التدريس في مدرسة عبيه حتى نهاية العام الدراسي ١٨٤٧ - ١٨٤٨ حين نقل الى مركز بيروت لمساعدة الدكتور عالي سميت بترجمة الكتاب المقدس، فعينت "الارسلية السورية" المعلم مخائيل عرمان ، احد طلاب مدرسة الدكتور طمسن في بيروت ، خلفا له للتدريس في عبيه . كما بقي الدكتور فان ديك مشرفا على ادارة المدرسة والتدريس بها حتى نهاية العام الدراسي ١٨٤٩ - ١٨٥٠ حين نقل الى مركز التبشير في صيدا وضواحيها وعينت "الارسلية السورية" القس سيمون كلهون خلفا له لادارة مدرسة عبيه (١) . وكان قد تخرج في نهاية السنة الرابعة من عمله في عبيه اربعة طلاب من اصل تسعة طلاب كانوا قد التحقوا في السنة الاولى . وتذكر الميشنري هيرلد ان عدد الطلاب في مدرسة عبيه بلغ في السنة الرابعة تسعة عشر طالبا (٢) مقسمين على النحو التالي : اربعة في الصف الاول ، وخمسة في الصف الثاني واربعة في الصف الثالث ، وستة في الصف الرابع (٣) ، وبأن الدروس لا تزال تتلى على الطلاب بعد ان يحضرها الاستاذ المكلف بتدريسها وذلك لعدم وجود كتب مدرسية باللغة العربية .

-
- (١) الميشنري هيرلد ، ج ٤٧ (١٨٥١) ص
(٢) الميشنري هيرلد ، ج ٤٦ (١٨٥٠) ص ٢٦٢ .
(٣) عند فتح مدرسة عبيه ابوابها في ٣١ تشرين الاول عام ١٨٤٩ التحق اربعة طلاب بالصف الرابع : انجيلي من حاصبيا ، وكاثوليكي من عين زحلنا ، وماروني من كفرشيم ، وارثوذكسي من الحدث ، ورسب اثنان من الصف الثالث . الميشنري هيرلد ، ج ٤٦ (١٨٥٠) ص ٢٦٢ .

ولعبت المنافسة دورها بين المرسلين الاميركان والرهبنة اليسوعية اثر فتح
الاميركان لمدرسة عبيه عام ١٨٤٦ ، ففي عام ١٨٤٧ جعل ابا^١ الرهبنة اليسوعية
الدار ، التي كانوا قد ابتاعوها في غزير عام ١٨٤٤ وجعلوها ديرا لهم ، " مدرسة
داخلية نشروا فيها لواء الدين والاداب في ديارنا الشرقية " (١) . واصبحت المنافسة
على انشاء المدارس بينهما مألوفة في الديار الشامية حتى غدت هدفا لكثير من الطوائف
كان بطلها الدكتور كرنيليوس فان ديك . فكان اذا ما سار لانشاء مدرسة في بلدة قال
" اني ذاهب لانشي " مدرستين " (٢) لاقتناعه بان ابا^٢ الرهبنة اليسوعية لا يتركونه
ينفرد بالتدريس في تلك البلدة فيكون بذلك قد سعى بصورة غير مباشرة الى انشاء مدرسة
ثانية (٣) .

-
- (١) باخوس ، نجيب ، " غزير " ، المشرق ، ج ٣ (١٩٠٠) ص ٢١٢ .
(٢) زيدان ، جرجي ، " تاريخ النهضة العلمية الاخيرة في مصر والشام " ،
الهلال ، ج ٩ (١٩٠١) ص ٢٣٧ .
(٣) يذكر الدكتور نبيه فارس هذه الحادثة بقوله : " ويروى لنا المبشر الاميركي
الشهير الدكتور كرنيليوس فان ديك ٠٠٠ انه ذات يوم بينما كان يركب
بغلة متجها نحو صيدا حياها احد معارفه اللبنانيين وسأله عن وجهته
فأجاب : " انا ذاهب الى صيدا لفتح اربع مدارس " . فقال الرجل وقد
جحظت عيناه تعجبا ، واخذت منه الدهشة كل مأخذ : " انا اعلم
ايها الطبيب شدة شغفك بالتربية والتعليم ، ولكن اليست اربع مدارس
اكثر مما تتحمله مدينة واحدة ؟ " . بلى " اجاب فان ديك ، ثم اردف
" ولكن حالما افتتح مدرسة للبنين واخرى للبنات سيقتفي الجزويت اثرى
ويفتحون مدرسة للبنين واخرى للبنات ايضا ، وبذلك اكون السبب في
فتح المدارس الاربع " . فارس ، نبيه ، " اميركا والنهضة العربية
الحديثة " ، الابحاث ، ج ١١ (ايلول ١٩٥٨) ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

ولا بد هنا من الإشارة الى ان دور الدكتور كرنيليوس فان ديك في انشاء المدارس كان دور المنفذ النشط لاوامر المجمع الاميركي لهندوبي البعثات التبشيرية و" للارسالية السورية " فكان يقدم ، حيث كان غيره يحجم ، على انشاء المدارس في مختلف المناطق التي خدم فيها رغبة في نشر المعرفة بين الاهلين بحماهم من يوء من بعظيم فائدة العمل الذي يقوم به وليس كمن يتلقى اوامر ينفذها مكرها مترددا . وربما طلب منه فتح مدرسة في احدى المناطق ففتح عددا من المدارس بالاضافة الى تلك المدرسة . ففي عام ١٨٤٨ نرى انه يوجد بجوار مدرسة عبيه خمس مدارس : في كفرمتى وعيناب وعيتات وعرمون وعين عنوب ، وفي كل من هذه المدارس يوجد استاذ يعلم اللغة العربية وجميعها مزدهرة يشرف عليها الدكتور كرنيليوس فان ديك (١) . وكان معدل حضور الطلاب المنتظم لهذه المدارس الخمس يبلغ مئة وثلاثة وثمانين طالبا ، اكثرهم من الطائفة الدرزية (٢) ، وكانت الغاية من انشائها اعداد الطلاب لدخول مدرسة عبيه في المستقبل .

ان القيمة الفعلية لما قام به الدكتور كرنيليوس فان ديك من نشاط تعليمي قبل التحاقه عام ١٨٦٢ بالكلية السورية الانجيلية هي في انها قد اتاحت له مجالا واسعا طيلة سبعة وعشرين عاما لاعداد نفسه لما سيقوم به من عمل باهر في الكلية :

(١) الميشنري هيرلد ، ج ٤٤ (١٨٤٨) ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٠١ .

اولا — لقد اتقن اللغة العربية مما جعل تلميذه الدكتور يعقوب صروف يقول " لم ينطق بلساننا اجنبي افصح من الدكتور فاندريك " (١) . ثانيا — علم الكيمياء والطبيعيات والجبر والهندسة وعلم المثلثات والفلك والجغرافيا ، وترجم او الف ، في هذه المواضيع ، الكتب اللازمة لتعليمها . ثالثا — درس جميع هذه العلوم اثنا تدرسه لها . يذكر الشاعر ابراهيم الحوراني ان الدكتور فان ديك انبأه " بلفظه انه حصل سائر العلوم لنفسه بمجرد المطالعة والتأمل " (٢) .

الكلية السورية الانجيلية

رأى المرسلون الاميركان ان حاجة الديار الشامية الى مؤسسة علمية تدرس فيها العلوم العالية امر لا مñas منه ولذلك بذلوا قصارى جهدهم لكي يتم هذا الامر الجليل على ايديهم لا على ايدي الرهبنة اليسوعية (٣) .

يحدثنا القس دانيال بلس ، اول رئيس للكلية السورية الانجيلية ، في مذكراته بان موضوع التعليم العالي في سورية كان مدار حديث بينه وبين الدكتور وليم طمسن . وبالرغم من ذلك فقد كان اقتراح طمسن ، اثنا اجتماع المرسلين الاميركان المنعقد في بيروت بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٨٦٢ ، ان يكون هو ، بلس ، رئيسا للكلية مفاجئة له

(١) " تمثالا الدكتورين فان ديك وورثبات " ، ص ١٤١ .

(٢) الحوراني ، ابراهيم ، " الدكتور كرنيليوس فان ديك " ، النشرة الاسبوعية ، العدد ١٥٥٦ (٢٣ تشرين الثاني ١٨٩٥) ص ٣٧٧ .

(٣) Bliss, Daniel , Reminiscences of Daniel Bliss, New York, Revell Co., 1920, P.P. 167 - 168 .

لانهما اثناء ذلك الحديث لم يتطرقا ابدا الى ذكر اسمه ومؤهلاته (١) . فطلب مهلة يوم او يومين ليستشير زوجه بالامر ، وعندما اعلن بعدئذ عن قبوله القيام بهذه المهمة عينت "الارسالية السورية" لجنة مؤلفة منه ومن الدكتور طمسن لكتابة تقرير عن هذا المشروع . ونشرت مجلة الميشنري هيرلد برنامجا وصلها من "الارسالية السورية" جاء فيه ان مشروع التعليم العالي الذي تقرر تنفيذه في سورية يهدف الى غايتين رئيسيتين اولاهما تمكين النشء الصاعد من المواطنين من تحصيل ثقافة ادبية وعلمية ومهنية في البلاد على قدر ما تقتضيه متطلبات المجتمع ، وثانيهما جعل هذه المؤسسة محلية لابناء البلاد ومستقلة تدعم ذاتها بذاتها (٢) . ويضيف البرنامج في مكان اخر انه يجب الحرص على الا يفقد الطلاب رابطتهم القومية لاكتساب ادواق وعادات اجنبية ، بل يجب ان يخرجوا من الكلية مزودين بثقافة جيدة تؤهلهم للاندماج مع اخوانهم للقيام بواجباتهم في الحياة (٣) ، كما شدد البرنامج على ان يكون الاعتماد على اساتذة ذوي مقدرة عالية ونشاط واندفاع لا على ادوات باهظة الثمن .

(١) المصدر ذاته ، ص ١٦٦ .

(٢) " First , to enable native youth to obtain, in the country, the literary , scientific, and professional education which the exigencies of the community demand , and second , to make the institution indigenous , self governing , self sustaining".

الميشنري هيرلد ، ج ٥٩ (١٨٦٣) ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) برنامج تأسيس الكلية السورية الانجيلية الموجود في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ١ .

سافر القس دانيال بلس الى الولايات المتحدة الاميركية بتاريخ ١٤ آب عام ١٨٦٢ لجمع التبرعات وهناك القى ٢٢٩ خطابا (١) واثناء عودته الى بيروت بعد ان جمع المبلغ المطلوب جمعه ، عرج على بريطانيا لجمع المزيد من التبرعات بسبب هبوط سعر الدولار الاميركي نتيجة للحرب الاهلية الناشبة ان ذاك في الولايات المتحدة الاميركية .

وفي الثالث من كانون الاول عام ١٨٦٦ فتحت الكلية السورية الانجيلية ابوابها في بيروت (٢) للطلاب فدخلها ستة عشر طالبا وكانت اللغة العربية هي لغة التعليم فيها كما عين لها مجلس ائمة مركزه في نيويورك . ولبعد المسافة

(١) Bliss, P. 175

(٢) كان الدكتور وليم طمسن قد ذكر في احدى رسائله ان مكان الكلية الجديدة يجب ان يكون في بيروت .

" It must be in Beirut, or , for the present nowhere I can present this enterprise as the one with which, if I had the means , I would link my name and memory to be perpetuated in all time , for whatever other race is to fade away and disappear , the Arab neverwill" .

وردت هذه الرسالة في نبذة كتبها الدكتور وليم كراهام عن تاريخ الكلية السورية الانجيلية موجودة في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية ، ص ١٤٠ .

وصعوبة المواصلات في ذلك الوقت عين للمدرسة مجلس مدراء مؤلف من ١٨ شخصا من المرسلين الاميركان المنتشرين في الديار الشامية والقنصلين الاميركي والبريطاني المقيمين في بيروت بالاضافة الى بعض التجار البريطانيين^(١) ، وكان الدكتور كرنيليوس فان ديك من بين اعضاء مجلس المدراء الاول .

في خريف عام ١٨٦٧ اضيف الى الكلية السورية الانجيلية القسم الطبي والتحق به ١٤ طالبا نظاميا . وكان الدكتور يوحنا ورتبات^(٢) يدرس الصف الاول التشرية والفيسولوجيا اى علم وظائف الاعضاء ، بينما كان الدكتور فان ديك^(٣) ، الذي عاد مؤخرا من الولايات المتحدة الاميركية اثر انتهاء تنحيه طباعة الكتاب المقدس ، يلقي ثلاث محاضرات في الاسبوع عن النبات والكيمياء يتخللها توضيحات بالرسوم عن النبات

(١) Bliss , P. I66 .

(٢) احتج الدكتور وليم طمسن اثناء اجتماع مجلس المدراء على اعتراض بعض الاعضاء على تعيين الدكتور ورتبات في الكلية لكونه مواطنا سوريا وليس اميركيا .

Jessup .P. 303

(٣) ذكر الدكتور يعقوب صروف انه لما وصل الدكتور فان ديك الى بيروت عام ١٨٦٧ " باشر تأسيس المدرسة الكلية الطبية مع صديقه الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات " ووضعا وحدهما نظاما لدروسها وشرعا في التعليم من ساعتها لا يحاسبان على اتعاب ولا ينتظران من احد تبجيلا لقدرهما ومدحا لاسميهما .
سر النجاح ، ص ٢٢٠ ، اعلام المقتطف ، ص ١٨٢ .

وتجارب مخبرية في الكيمياء (١) . وورد في تقرير القس دانيال بلس المقدم الى مجلس المدراس عام ١٨٦٩ ان الدكتور فان ديك يعلم الكيمياء فقط بعد ان اخذ الدكتور جورج بوست الذي التحق بالقسم الطبي في اوائل السنة الدراسية ١٨٦٨ - ١٨٦٩ ، على عاتقه تعليم النبات (٢) ، كما ورد ان الدكتور فان ديك اضاف عددا كبيرا من ادوات الكيمياء الغالية الثمن بدون مقابل (٣) " ولم يكن في المدرسة حينئذ من كل ادوات الكيمياء الا قضيب من زجاج وقنينة عتيقة فانفق من ماله مئتي ليرة انكليزية على ما يلزم من الادوات (٤) . وبقي يدرس الكيمياء " ست سنوات متواليات وينفق على لوازم التدريس

(١) Annual Reports, P. 2

(٢) ذكر الدكتور يعقوب صروف بان لجنة الكلية السورية الانجيلية انتدبت فان ديك

وبوست وورثيات لانشاء القسم الطبي فاجتمع " هؤلاء الثلاثة واقتسموا العلوم الطبية كلها لقلّة عدد التلامذة في السنين الاولى فاستقل الدكتور فان ديك بتعليم الكيمياء والباثولوجية والتشخيص الطبيعى والدكتور ورتبات بتعليم التشريح والفيسولوجيا والدكتور بوست بتعليم النبات والمواد الطبية والجراحة . وقرنوا كلهم التعليم العلمى بالتعليم العملي في كل العلوم التي علموها اى انهم كانوا يفرضون على التلامذة العمل بما يتعلمونه " صروف ، يعقوب ، " الدكتور جورج بوست " ، المقتطف ، ج ٣٥ ، (١٩٠٩) ص ١٠٤١ ، اعلام المقتطف ، ص ٢٣٩ . وهذا القول يتعارض مع ما جاء في الهامش الثالث على صفحة ١١٠ .

(٣) ولما تولى استاذ الكيمياء (الدكتور ادون لويس) اشغاله اعتزل الدكتور فان ديك عنها وترك للمدرسة كل ما انفق عليها ولم يأخذ مقابلها الا مائة جنيه " اعلام المقتطف ، ص ١٨٣ .

(٤) سر النجاح ، ص ٢٢٠ .

من جيبه . وجاء استاذ الكيمياء [الدكتور ادون لويس] وبقي سنتين من الزمان يدرس العربية والدكتور فان ديك يدرس مكانه مجاناً حبا بصالح المدرسة وخيرا بنا البلاد (١) والف كتابا في الكيمياء كان يلقيه على الطلاب " ثم توسع فيه وطبعه على نفقته وهو يعلم انه لا يسترجع نفقات طبعه قبل مائة (٢) .

وفي ٦ شباط عام ١٨٦٨ قدم الدكتور فان ديك تقريراً لرئيس الكلية السورية الانجيلية وعمدتها تحدث فيه عن سعيه لدى القس ادمز (Adams) من كنيسة نيويورك لانشاء مستشفى لأمراض العين ، وذكر ان القس المذكور ارسل له ١٢٠٠ دولار اميركي لهذه الغاية ووعده بارسال المزيد من الدراهم كلما دعت الحاجة (٣) . و اضاف في تقريره انه مزعج على انشاء مستشفى باسم Brown Ophthalmic Hospital ووضعه تحت اشراف عمدة الكلية السورية الانجيلية وانه سيبدل قصارى جهده في مساندة هذا المشروع ويساعد في ادارته بقدر ما يمنحه الله تعالى من صحة وقوة للقيام بذلك (٤) . وفي تقرير القس دانيال بلس بتاريخ ١٨٧٠ المقدم الى مجلس المدراء ذكر ان عمدة الكلية قبلت اقتراح الدكتور فان ديك المتعلق بانشاء المستشفى واتخذت قراراً بتقديم شكرها له للجهود الجبارة التي قام بها لانشاء هذا المستشفى (٥) ، وورد في هذا التقرير ان الدكتور فان ديك قدم في اجتماع عمدة المدرسة نموذج عريضة

(١) المقتطف ، ج ١٩ (١٨٩٥) ص ٨٨٢ ، و اعلام المقتطف ، ص ١٨٣ .

(٢) Annual Reports , P. 7, 13 and 21 و سر النجاح ، ص ٢٢٠ .

(٣) Annual Reports , P. 9 .

(٤) Annual Reports , P. 9 .

(٥) المصدر ذاته ، ص ١٥ .

ينوى ارسالها الى والي سورية يلتبس فيها الاعتراف بالشهادة الطبية التي ستعطيها الكلية لاول صف دخل القسم الطبي عام ١٨٦٧ والذي سيتخرج في نهاية السنة الدراسية ١٨٧٠ - ١٨٧١ ، واعلن الدكتور فان ديك في اجتماع العمدة ان السيد جونسون (J. Johnson) ، قنصل الولايات المتحدة الاميركية في بيروت ، وعد بدعم هذا الطلب (١) . وذكر القس دانيال بلس في تقريره انه يسره ان يخبر مجلس المدراء ان الدكتور فان ديك اصبح قادرا على تخصيص كل وقته للعمل في الكلية (٢) ، بينما نرى ان الدكتور فان ديك يذكر في رسالته الى الميشنري هيرلد انه من السهولة بمكان على الذين التحقوا حديثا بالارسالية ان ينسحبوا منها ولكن الامر يختلف بالنسبة له وللدكتور طمسن والقس كلهم الذين قضاوا في خدمتها ٣٠ و ٣٨ و ٢٦ سنة على التوالي . وذكر انه عندما سئل ان يترك الارسالية لينضم الى الكلية اجاب بالرفض لانه يريد ان يبقى في خدمتها حتى اخر رفق من حياته . ثم قبل بالانضمام الى الكلية لان العمل هو ذاته (٣) .

(١) المصدر ذاته ، ص ١١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٤ .

(٣) الميشنري هيرلد ، ج ٦٦ (١٨٧٠) ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

ونظرا لاحتياج القسم الطبي الى مستشفى لكي يتمرن فيه الطلاب سعت الكلية السورية الانجيلية عام ١٨٧١ للتفاوض مع ادارة مستشفى ماري يوحنا البروسي والاتفاق معها من اجل ذلك وكان الدكتور فان ديك هو المفاوض باسم الكلية (١) . وفي عام ١٨٧٢ نراه يدرس الطب التشخيصي واللاهوت (٢) والفلك " وذلك ان المدرسة الملكية السورية الانجيلية لم يكن عندها مال يقوم بنفقة استاذ لهذا العلم فتبرع بتدريسه مجانا وألف له كتابا مسهبا وطبعه على نفقته ٠٠٠ ولم يكن في المدرسة آلات فلكية يعتد بها فما لبثت ان شرعت في بناء مرصدها حتى ابتاع له آلات بسبعمئة جنيه من ماله الخاص واثاث وفرش فيه على نفقته (٣) .

وساترك المجال هنا لخمسة من الطلاب الذين درسوا عليه في الكلية السورية الانجيلية لان يرسموا لنا صورة واضحة عن نشاطه التعليمي فيها . يقول الدكتور يعقوب صروف ، الذي تخرج عام ١٨٧٠ وهو من خريجي اول صف في القسم العلمي ، " ولم يكن في يد التلامذة كتاب يطالعون فيه ، فجعل فان ديك يلقي العلم علينا خطبا مبتدئا بالتجارب الكيميائية ومستطردا من الجزئيات الى الكليات على اسلوب يقرب هذا العلم من

(١) . Annual Reports , P. 20 .

(٢) لسان الحال ، العدد ٢٧٧ (٥ تموز ١٨٨٠) ص ١ .

(٣) سر النجاح ، ص ٢٢٠ .

الانهام ويرسخ حقائقه في الازهان وقد مر علينا الان نحو ثلاثين سنة [كتبت هذه النبذة عام ١٨٩٥] ولا تزال نذكر اكثر ما كان يلقيه علينا من درر الفوائد لحسن الاسلوب الذي القاها به . . . وكان اسلوبه في تعليم الفلك مثل اسلوبه في تعليم الكيمياء والباثولوجيا مبنيا على العمل والملاحظة حتى يجد الطالب فيه لذة قلما يجدها في درس العلوم العويصة كهذا العلم^(١) ، ويقول في مكان اخر "من من اخواني الذين كانوا في هذه المدرسة لما كنت فيها تلميذا ومدرسا لا يتذكر الدكتور فان ديك في مرصده او في المستشفى وفي حلقة التدريس او دار الطباعة وفي مكتبته او حديقة وعلى منبر الوعظ او دة الخطابة - حياة كلها همة ونشاط وعمل نافع وخير عظيم"^(٢) .

ويقول الدكتور سليم موصللي^(٣) عن الدكتور فان ديك "عرفته كمعلم عندما

-
- (١) صروف ، يعقوب ، "الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، المقتطف ، ج ١١ (١٨٩٥) و اعلام المقتطف ، ص ١٨٢ - ١٨٣ . لم تذكر هذه النبذة في كتاب سرى النجاح ، ولقد ذكرت ان الدكتور يعقوب صروف هو الذي كتبها لانه دخل الى الكلية عام ١٨٦٦ ونعلم ان الدكتور فان ديك طبع كتابه اصول الكيمياء عام ١٨٦٩ ، بالاضافة الى ان الدكتور فارس نمر دخل الكلية عام ١٨٧٠ حيث كان كتاب فان ديك في الكيمياء قد طبع .
- (٢) "تمثالا المرحومين الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات" ، ص ١٤١ .
- (٣) تخرج الدكتور سليم الموصللي من الكلية السورية الانجيلية عام ١٨٧٥ من القسم العلمي حاملا شهادة بكالوريوس علوم ثم دخل القسم الطبي ودرس ثلاث سنوات وفي السنة الرابعة التحق بجامعة نيويورك وتخرج منها عام ١٨٨٠ بامتياز .
- "بشارة" ، المقتطف ، ج ٤ (آب ١٨٨٠) ص ٣٠٩ .

دخلت القسم العلمي للكلية الاميركية ٠٠٠ كان ماهرا مدققا دائبا في اعماله لا يعرف الكلال ولا الملل ٠ ما جال في خاطره فكرة الا وسعى لاجراجها الى حيز العمل وما صادفته فرصة الا انتهزها او عرضت له وسيلة الا وتوسل بها ذلك حبا بالكلية واهتمامه بتقدمها ونجاح تلامذتها ٠٠٠٠ كان استاذنا فاندريك يلفننا الدرس بطريقة تساعد على التفهم وتجلب الارتياح لما يتخللها من نكات لطيفة ونوادير طريفة ، وكان طويل البال خفيف الروح لين الجانب وفي نفس الوقت شديدا لا يتغاضى عن كسل او تقصير ولا يعفو عن زلل" (١) . ويقول الدكتور اسكندر بارودي (٢) عن فان ديك " وكان في تعليمه متين التحقيق متأنيا في التقرير ، حسن الفكرة ، حافظا للمسائل ، صحيح النقل ، جامعا بين العلم القديمة والحديثة ، ذاكرة التجارب الماضية ، مطلععا وراويا الاكتشافات الحاضرة ٠ كثير الاحسان للطلبة معلما ناصحا وابا صالحا ، يشجع الاقويا

(١) موصلي ، سليم ، "الحكيم كرنيليوس فاندريك" ، الكلية ، ج ١٩ (تشرين الثاني ١٩٣٢) ص ٢ - ٣ .

(٢) تخرج من القسم العلمي عام ١٨٧٥ ودخل القسم الطبي بعد ان درس في الدائرة الابتدائية ثلاثة اعوام وكان من المفروض ان يتخرج عام ١٨٨٣ ولكنه كان من جملة الطلاب الذين طردوا في ذلك العام بسبب انتصارهم للدكتور ادون لويس ٠ وذهب الى الاستانة فاجتاز الامتحان الطبي وعاد يحمل رتبة طبيب ثم اصبح رئيسا لتحرير مجلة الطبيب عام ١٨٩٠ .

ويرق للضعفاء ويشفق على البلدا ٠٠٠ فقد كان وهو في المدرسة الكلية منهما على بث العلم بينهم سالكا سبيل الحق مراقبا الله والعمل الصالح ، عالما حقيقة هذه الدنيا ونسبتها الى الآخرة مجتهدا في اسباب الفضيلة والتقوى معتصما بأرقى مطالب الدين القويم (١) .

ويقول داود قريان (٢) عنه : " اطلق على فاندك لقب الحكيم وكان يعرف به في دائرة المدرسة . فاذا قيل جاء الحكيم فهم ان الجائي (كذا) فاندك لا سواء . وكان حب التلامذة له يقرب من العبادة بل كان في عيونهم معبودا بشريا فاذا جلسوا امامه على مقاعد الطب شعروا بانهم امام رجل من اعظم الرجال يحبهم ويحب بلادهم وقد وقف نفسه لخدمتهم ، فابدوا له كل احترام وتوقير في جلوسهم ووقوفهم وكلامهم وسكوتهم ٠٠٠٠ وكان يوقفنا تحت القبة الزرقاء ليلة بعد ليلة ساعات متوالية يدلنا على الابراج ومجاميع النجوم والمشهور من الثوابت . وسبحان من خصه بتلك الذاكرة العجيبة فانه كان يعرف النجوم المعروفة عند الفلكيين كلها باسمائها العربية ومواقعها في كل فصل وشهر من السنة ويروى لنا عنها من الاقاصيص ما لا تحويه الا ذاكرته ٠٠٠ وكان رياضيا ماهرا ويحضر تلاميذه على درس الرياضيات والتعمق فيها . وترغبا لهم في اتقانها كان يعين لها جائزتين : جائزة اولى وقدرها ثلاث ليرات ، وجائزة ثانية وقدرها ليرتان تعطى الاولى للمجلي في حلبة السباق في الرياضيات والثانية للمصلي الثاني .

(١) بارودي ، اسكندر ، حياة كرنيليوس فان ديك ، بعبداء ، المطبعة العثمانية ، ١٩٠٠ ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٢) تخرج من القسم العلمي عام ١٨٧٩ واصبح رئيسا لتحرير مجلة الكلية عام ١٩١٠ .

وكان باب السباق مفتوحا لكل من اراد من طلبة القسم العلمي ، وكان يعين مثل هاتين الجائزتين للمبارين في حلبة الخطابة في حفلة خصوصية * (١) .

ويقول جرجي زيدان (٢) ان الدكتور كرنيليوس فان ديك كان اشهر اطباء

الكلية السورية الانجيلية " واقربهم صلة بالناس واكثرهم مودة لاهل البلاد ٠٠٠ وكان التلامذة يتعشقون فاندك ويتغنون بمناقبه وحسناته ولطفه ٠ وكان العامة يعتقدون ان فاندك هو مؤسس المدرسة الكلية حتى سماها بعضهم مدرسة فاندك وهو لم يقل ذلك ولكن شهرته غلبت شهرة رفقاءه * (٣) .

وفي ١٨ كانون الاول عام ١٨٨٢ اثر عمل هذا دأبه دام ستة عشر عاما ، قدم الدكتور كرنيليوس فان ديك استقالته من الكلية السورية الانجيلية احتجاجا على السياسة التي كان يتبعها كل من القسم دانيال بلس رئيس الكلية والدكتور جورج بوست في ادارة شؤون الكلية (٤) . ولم يذكر الامور التي كان يختلف معها عليها ، ويظهر انها تلخص بما يلي :

(١) قريان ، داود ، " الكلية في ايام تلمذتنا - نحن وفاندك " ، الكلية ،

ج ٢ (شباط ١٩١١) ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) طرد جرجي زيدان من الكلية السورية الانجيلية مع الطلاب الذين طردوا

بسبب انتصارهم للدكتور ادوين لويس . وفي عام ١٨٩٢ انشئ " مجلة الهلال " .

(٣) زيدان ، جرجي ، " تاريخ اول ثورة مدرسية في العالم العربي - صفحات

من مذكرات المرحوم مؤسس الهلال " ، الهلال ، ج ٣٣ (١٩٢٥) ص ٢٧١ . سيشار اليها بـ " مذكرات زيدان " .

(٤) رسالة الدكتور فان ديك الى مجلس الامناء ، الموجودة في ارشيف مكتبة

الجامعة الاميركية في بيروت . و . Annual Reports, P. 73 .

اولا - كان لا يوافقهما على قرارهما بعدم ترقية كل من يعقوب صروف وفارس نمر الى رتبة مساعد استاذ وزيادة راتبهما الامر الذى دعا الدكتور دافيد ستيفرات ضودج (D. S. Dodge) ، سكرتير مجلس الامناء حينئذ ، الى القول انه يجب انقاذ الدكتور فان ديك ، " المعروف بعلمه وتقواه في جميع انحاء العالم " ، من توريط نفسه بالوقوع بالمشاكل " (١) ، وذلك تعليقا على اقتراح الدكتور فان ديك بعقد اجتماع لعمدة الكلية لبحث مسألة زيادة معاش كل من صروف ونمر .

ثانيا - كان الدكتور فان ديك " حرا الفكر والقول لا يبالي ان يصرح بما يتحاشى رفاقه وغيرهم من جماعة القسسان ان يصرحوا به مبالغة في التظاهر بالتقوى فقد كان شديد التمسك بجوهريات الدين المسيحي لا يبالي باطرافه وقشوره اذا خالفت قواعد العلم . فاذا ظهر مذهب علمي يخالف بظواهره تلك القشور فانه كان يحترمه وينظر فيه نظر العالم كمذهب الارتقاء وغيره من مذاهب الفلاسفة الطبيعيين " (٢) ، ولذلك كان يدافع عن الدكتور ادون لويس الذى كان " شابا حرا الفكر والتصرف لا يرى التظاهر بالدينيات لازما مع انه من شروط تلك المدرسة الكلية السورية الانجيلية .

(١) رسالة د . من . ضودج الى د . بلس بتاريخ ٢١ آب ١٨٨٢ ، ص ١ .

D. S. Dodge to D. Bliss , Watch Hill , August 21 , 1882 , P. I

(٢) " مذكرات زيدان " ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

فكان لا يرى مانعا من ان يتناول الخمر على المائدة ولا ان يغيب عن الصلاة احيانا .
فكان من حيث الحرية اقرب الى الدكتور فاندريك مع تفاوتهما في السن . فكانت العمدة
اذا انتقدت عملا من اعمال لويس نصره فاندريك^(١) كما وقف بجانبه ودافع عنه في ما
رمي به اثر القائه خطاب حفلة تخرج طلاب الكلية السورية الانجيلية بتاريخ ١٩ تموز
عام ١٨٨٢ عندما ذكر دارون ومذهبه في سياق حديثه عن العلم والمعرفة والحكمة ،
بينما اعتبر الدكتور جورج بوست ان الاراء التي وردت في الخطاب تشكل خطرا على عقول
الطلاب^(٢) . وكان قد ورد في النشرة الاسبوعية ، اثناء رئاسة الدكتور فان ديك
لتحريرها ، عند حديثها عن الكلية السورية الانجيلية بان الاساتذة الانجيليين
" يقولون لتلاميذهم امتحنوا الاشياء كلها " وازادت " فالذى لا تلقى ديانته اقل فحص
الاجدر به تركها والتمسك بغيرها " ^(٣) .

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٧٢ .

(٢) رسالة D. S. Dodge to D. Bliss, Weatogue, Sept. 23 , 1882 , P. 3

الموجودة في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية .

(٣) " الكلية السورية الانجيلية " ، النشرة الاسبوعية ، العدد ٣٨ (١٧ ايلول

١٨٧٢) ص ٢٠٢ .

ثالثا - لم يوافق عمدة المدرسة ومجلس المدراء على طرد الطلاب الذين انتصروا للدكتور ادون لويس * وكان التلامذة يحبون لويس ويحترمونهم وخصوصا لان فانديك يحبه ويقره * وكانوا يكرهون بوسط او على الاقل لا يحبونه لحدة مزاجه وتطاوله على بعضهم بالكلام والتهديد ٠٠٠ فانحاز تلامذة الطب الى جانب فانديك ولويس واجمعوا على اقامة الحجة ومطالبة المدرسة بحقوق لهم عليها ومن جملتها ان يكون الدكتور لويس استاذ الكيمياء فيها ٠٠٠ وكانوا جميعا يفعلون ذلك انتصارا للويس وعملا بما يرضي الدكتور فانديك * (١) . وارىد ان اوكد هنا ان لا علاقة لاستقالته بتغيير لغة التدريس بالكلية الى الانكليزية (٢) .

ولاهمية حادثة طرد الطلاب من الكلية السورية الانجيلية عام ١٨٨٢ ولكونها السبب المباشر الذى دعا الدكتور فان ديك الى تقديم استقالته من الكلية ، يجدر بنا تخصيص قسم من هذا البحث لها .

(١) "مذكرات زيدان" ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٢) ذكر القس دانيال بلس في تقريره الى مجلس المدراء ان عمدة الكلية ، والدكتور فان ديك احد اعضاؤها ، وافقت بالاجماع ، في احد اجتماعاتها خلال السنة الدراسية ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ، على تغيير لغة التدريس الى الانكليزية اعتبارا من السنة الدراسية ١٨٧٩ - ١٨٨٠ .

حادثة طرد طلاب الكلية السورية الانجيلية عام ١٨٨٢

القي الدكتور ادون لويس ، استاذ الكيمياء والجيولوجيا في الكلية السورية الانجيلية ، بتاريخ ١٩ تموز ١٨٨٢ خطابا في حفلة تخريج طلاب الكلية عنوانه " المعرفة والعلم والحكمة " (١) حث فيه الخريجين "على اكثر من احراز المعارف" (٢) وبعد ان برهن " ان مجرد المعرفة ليس هو العلم " (٣) قال علي " ان ابين لكم انهم رجال العلم وكيف يمكنكم ان تعملوا عملهم وتحذوا حذوهم ، وان ابين لكم ايضا حدود العلم والوسائط التي بهاتتجاوزون هذه الحدود الى ما هو اعلى من العلم حتى تصيروا رجالا مستكملين صفات الانسانية " (٤) . فاستشهد اولا بالسر تشارلس ليل الانكليزي الذي صنف كتابا عام ١٨٢٣ وضع فيه اساس علم الجيولوجيا " فأصبح هذا الاساس اليوم [١٨٨٢] اولى من الاوليات " (٥) منتصرا بذلك على من كانت عقولهم " مشغلة بآراء سقيمة عقيمة من اشهرها اعتقادهم ان الارض لم توجد الا منذ بضعة الوف من السنين " (٦) ، ثم بعد ذلك بخمس وعشرين سنة " قام دارون ، الطبيعى الشهير ، والقي على الملأ كتابه المعروف بأصل الانواع و اشار فيه بأننا

-
- (١) لويس ، ادون ، " المعرفة والعلم والحكمة " ، المقتطف ، ج ٧ (آ ب ١٨٨٢) ص ١٥٨ - ١٦٢ .
- (٢) المصدر ذاته ، ص ١٦٥ . ولويس ، أ ، " المذهب الداروني " ، المقتطف ، ج ٧ (تشرين الاول ١٨٨٢) ص ٢٨٧ .
- (٣) " المعرفة والعلم والحكمة " ص ١٥٩ .
- (٤) المصدر ذاته ، ص ١٦١ .
- (٥) المصدر ذاته ، ص ١٦١ .
- (٦) المصدر ذاته ، ص ١٦٢ .

إذا امعنا النظر في الاسباب العاملة اليوم في المخلوقات الحية من حيوان ونبات تيسر لنا ان نعرف الاسباب التي سببت على توالي الاجيال التباين العظيم والتشكل العجيب الذي نشاهده اليوم بين الحيوانات والنباتات . فجرى على المبدأ الذي جرى عليه ليل قبله ولم تكن اشارته هذه حدسا مجردا ولده الخيال بل نتيجة اتعاب كثيرة استغرقت عشرين سنة جمع فيها الحوادث واعمل النظر فيها لعله يجد الاسباب التي طلب وجودها . ثم اشار بما اشار اعتمادا على درسه الكثير وفحصه الدقيق الطويل . ولكم تعلمون كم لقي مذهبه من الخصوم والمقاومين وكيف تلاعب به الشراح ولونه المفسرون كل ذلك لانه يأول (كذا) الى ابطال بعض الاراء التي تمسك بها الناس تمسكا شديدا كأنها بعض دينهم . واما من جهة مناسبة هذا المذهب لتعليل الحوادث وكفاءته لتبيين اسباب كل المسببات التي يطلب تعليلها به فلا يمكن ان نحكم الان حكما باتا ان لا يزال يوجد امور كثيرة تحتاج الى التحقيق والاثبات والفحص والتمحيص قبل القطع في الحكم عليها . ولكن سواء كان هذا المذهب يفي بكل ما يطلب منه اولا يفي فلا ريب في انه مبني على اساس علمي وطيد ، وانه رقى عقولا كثيرة وكشف الغطاء عن حقائق عديدة . ولذلك ذكرته لكم مثالا على تحول المعرفة الى العلم بالامعان الطويل والفكر الدقيق . فقد ظن غيركم انه اذا ثبت هذا المذهب تنحط عظمة الانسان ، واما نحن فمالنا ولمثل هذه الظنون لانه ان كان هذا المذهب غير صحيح فلا خوف منه لان العلم يبطله وان كان صحيحا فلا يحط الانسان من علورتيته العقلية ولا يعريه من طبيعته الروحية بته ^(١) ثم نصح الخريجين قائلا " فلا تخافوا من الحقائق ولا تظنوا ان

(١) "المعرفة والعلم والحكمة" ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

الذين يحاولون فتح مغاليق الطبيعة طلبا للوقوف على الحق اليقين الذي فيها ،
يأتونكم بما يناقض الحق " (١) . وبرهن بعدئذ " ان العلم ليس الحكمة " (٢) وانتهى خطابه
بما يلي " فلكي ما تقدم فاذهبوا بسلام متذكرين اني انما لخصت لكم ما تعلمتموه في
هذه المدرسة بالتفصيل ، لخصت لكم ما المعرفة واين تنتهي ، وما العلم واين
ينتهي ، وان الحكمة الحقيقية انما هي الحكمة التي تنزل علينا من فوق . ولا تنسوا
وانتم تخوضون بحر هذه الحياة ان تفكروا في من انتم وما يجب عليكم عمله بعد ان
تدرستم على العلم وما يجب ان تكونوا بعد ان اعلن الله لكم نفسه . واعلموا انكم انما
ابتدأتم الان عملكم وتهذيبكم والذي يتولى تهذيبكم هو الله فان شئتم نلتم اسمى المنى
وان شئتم لبثتم على ما انتم او تأخرتم " (٣)
وقرظ الشيخ ابراهيم الحوراني (٤) على صفحات مجلة النشرة الاسبوعية ،

(١) " المعرفة والعلم والحكمة " ، ص ١٦٣ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٦٥ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٦٢ .

(٤) ابراهيم الحوراني هو صاحب سلسلة المقالات التي وردت في النشرة الاسبوعية
تحت عنوان " الرد اليقين على اباطيل داروين " وهي تتضمن رده على مناظرة
الدكتور شبلي الشميل من مؤيدي مذهب داروين .

الناطق بلسان "الارسالية السورية" هذه الخطاب بقوله "تلا جناب الدكتور ادون لويس خطبة رائعة وجه الكلام فيها الى الذين حصلوا على الشهادات وقتئذ فجاءت مملوءة بالفوائد والمبادئ العلمية وبموافقة المسائل والاكتشافات العلمية الحديثة للمبادئ الدينية وملائمة افعال خالق العالمين في الطبيعة لا قوله في صفح الوحي وبين فيها اجل بيان الفرق بين المعرفة والعلم والفرق بين العلم والحكمة . فنثني على همة الدكتور الموما اليه خيرثناء" (١) . ولكن خطاب الدكتور لويس هذا لم يرق للدكتور جيمس دنيس (James Dennis) ، رئيس مدرسة اللاهوت ، فبعث برسالة الى منشئي المقتطف جاء فيه ان خطاب الدكتور لويس "يشتمل على امور كثيرة حرية بالاعتبار والمدح" (٢) ولكن هناك "فقرة تشير الى مستر دارون ومذهبه . . . اذا كنت اصبت مراد حضرة الخطيب فقد لاح لي انه ذكر مستر دارون كمثال لرجال العلم وذكر مذهبهم على اسلوب يظهر منه انها تستحق الاعتبار ولم يحاول اظهار فسادها ولا كونها محسوبة عند كثيرين من اكبر علماء عصرنا سخيفة وخالية من الدليل" (٣) ، وازاف "فانذهل البعض من ذلك كل الانذهال وانا نفسي سمعت كثيرين من افضل العلماء والفهماء السوريين والاجانب يستغربونه

-
- (١) الحوراني ، ابراهيم ، "المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت" ،
النشرة الاسبوعية ، العدد ٣٠ (٢٤ تموز ١٨٨٢) ص ٢٣٨ .
(٢) انس ، جيمس ، "المذهب الداروني" ، المقتطف ، ج ٧ (ايلول ١٨٨٢) ،
ص ٢٣٣ . ذيل رسالته بما يلي : جيمس انس الاميركاني .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٢٣٣ .

ويأسفون على صدوره في ذلك المقام" (١) . وذكر ان غرضه ليس المناظرة في هذه
المباحث بل ان يبين عدم استحسانه " للمجاهرة بمثل ذلك على الاسلوب الذي جرى
عليه ذلك العالم الشهير امام شبان سورية " (٢) . واخذ يستشهد باقوال بعض الحكماء
على فساد مذهب دارون الذي اقرب بنفسه " بكونه لا يؤمن بالوحي " (٣) وانه كافر
" يرفض الكتاب المقدس ولا يعتقد بالآخرة ، وغاية ابحائه العلمية من قبيل الديانة انما
هي نفي المسيح من كل دائرة الطبيعة والعلم " (٤) . ورد الدكتور لويس على هذا
الانتقاد بقوله انه لم يخطر له ان احدا يخطئ فهم مراده كما قد اخطأه " من قد
تكلم علي بانتقاد خطبتي في العدد الماضي من جريدتكما " (٥) ، وقال انه يريد ان
يذكر حضرة المنتقد " ان ديانة الانسان هي بينه وبين خالقه " (٦) . ورفض الفكرة
القائلة بان غاية ابحاث دارون هي نفي المسيح بقوله " فاجترى " ان اقول عليها اني
لم اجد في كتاب من كتب دارون ادنى دليل على ان هذه كانت غاية ابحائه " (٧)

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٢٣٣ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٣٣ .
(٣) انس ، " المذهب الداروني " ، ص ٢٣٣ .
(٤) المصدر ذاته ، ص ٢٣٣ .
(٥) لويس ، " المذهب الداروني " ، ص ٢٨٧ .
(٦) المصدر ذاته ، ص ٢٨٨ .
(٧) المصدر ذاته ، ص ٢٨٨ .

وانهى رده قائلا " فاني اعتبر ان بين الدين والعلم فرقا واضحا وعندى ان الانسان قد يكون عالما عظيما ولا يكون مؤمنا مسيحيا . فأقبل والحالة هذه علمه واعلمه وارفض اعتقاده " (١) .

ويظهر من رسائل الدكتور دانيال ستيوارت ضودج المرسلة الى القس دانيال بلس ، رئيس الكلية السورية الانجيلية ، الموجودة في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ، ان الرسائل من بيروت اخذت ترد الى مجلس الامناء في نيويورك منها المؤيد للدكتور لويس ومنها المعارض ولذلك اقترح المستروليم بوث (William Booth) ، رئيس مجلس الامناء وقتئذ ، تأليف لجنة لدراسة الخطاب وارسال تقرير الى مجلس الامناء للنظر فيه (٢) . وفي رسالة اخرى ذكر الدكتور ضودج ان مستر بوث يعتقد ان النظرية الدارونية التي يؤمن بها الدكتور لويس ليست من النوع القوي الذي نخشاه (٣) وفي رسالة تالية ذكر ان الدكتور لويس سئل ان يرسل الى مجلس الامناء رأيه حول خطاب التخريج (٤) . وكان الدكتور ضودج اثنا ذلك يخبر القس دانيال بلس ان يحث كل من الدكتور جورج بوست والدكتور جيمس دنيس كي يكتب الى والده لاعطاء والده ،

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) D.S.Dodge to D. Bliss, Watch Hill , Aug. 21 , 1882 , P. 4 .

(٣) D.S.Dodge to D. Bliss, New York , Sept. 27 , 1882 , P. 1 .

(٤) D.S.Dodge to D. Bliss, New York , Oct. 14 , 1882 , P. 2 .

عضو مجلس الامناء ، فكرة عن الخطاب (١) . وفي رسالة تالية ذكر الدكتور ضودج ان شهادة القس دانيال بلس والدكتور جورج بوست ووجهة نظر بعض الاخوان الزملاء تكفي في هذه الحالة (٢) . وعند وصول رسالة الدكتور لويس الى مجلس الامناء علق المستر بوث على ذلك بقوله " ان اصدقاءنا في سورية يسيئون فهم بعضهم البعض " (٣) وكان الدكتور لويس قد ذكر في رسالته كيف انه حدد نظرية دارون موضحا انها " لا تستطيع ان تشرح وجود الروح " (٤) ، ووصف الدكتور ضودج رسالة لويس بانها تؤكّد بلا شك " الاراء التي ندين بها والتي نتخلى لو انها علمت " (٥) . وكان الدكتور لويس

D.S.Dodge to D. Bliss , Tarrytown , Sept. 2 , 1882 , P. 2 . (١)

D.S.Dodge to D. Bliss , Weatogue , Oct. 26, 1882 , P. 4 . (٢)

D.S.Dodge to D. Bliss , New York , Nov. 16 , 1882 , P. 1 . (٣)

" Could not explain the existence of the soul" D.S.Dodge to D.Bliss, (٤)
New York, Nov. 16 , 1882 , P. 2 .

The letter was the most positive earnest and unquestioning assertion (٥)
of just the views we all maintain and wish to have taught".

D.S.Dodge to D.Bliss , Nov. 16 , 1882 , P. 2 .

قد بعث بكتاب استقالته من الكلية السورية الانجيلية مع رسالته هذه . وذكر الدكتور ضودج ، قبل انعقاد جلسة مجلس الامناء للنظر في استقالة الدكتور لويس ، ان الاستقالة ستقبل (١) . وعقد مجلس الامناء جلسته بتاريخ ٣١ تشرين الثاني عام ١٨٨٢ فاقترح الدكتور الفرد دنيس والد الدكتور جيمس دنيس ، قبول استقالة الدكتور لويس وثنى على الاقتراح الدكتور الفرد بوست والد جورج بوست فقبلت الاستقالة بالاجماع (٢) . وفي الاول من كانون الاول عام ١٨٨٢ ارسلت برقية الى القس دانيال بلس يقبل استقالة لويس فاعلن ذلك يوم السبت في الثاني منه وفي اليوم التالي رفض كل الطلاب تقريبا الاشتراك بترنيم الترانيم الدينية اثناء صلاة يوم الاحد (٣) . وبم الاثنين في الرابع من كانون الاول بعث طلاب القسم الطبي وطلاب صفى المنتهين والمدرسين في القسم العلمي برسالة الى عمدة الكلية يعتذرون بها عن عدم تمكنهم من الحضور الى قاعات التسميع بسبب اضطراب افكارهم وتأثرهم في داخلهم "بنا" على استعفاء استاذنا الموقر [الدكتور لويس] . . . ولثلا يتوهم باننا عصاة اقتضى اعلام حضراتكم جميعا راجين العذر" (٤) . واجمع هو "لا الطلاب على الاحتجاج " فانقطعوا عن المدرسة من يوم الاثنين ٤ ديسمبر - وهم ٤٥ شابا - واجتمعوا اجتماعهم الاول في احدى قاعات

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٣ .
(٢) محضر جلسة مجلس الامناء . نسخة مصورة بحوزة الدكتور انطوان زحلان ، رئيس دائرة الفيزياء حاليا في الجامعة الاميركية في بيروت .
(٣) Annual Reports, P. 69 .
(٤) هذه الرسالة موجودة في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت .

المستشفى البروسياني [مستشفى ماري يوحنا البروسي] وكلهم من اهل الدراية وقد تعودوا الاجتماع في المدرسة نفسها او في جمعية شمس البر وبعضهم في جمعية الماسون فساعدهم ذلك على التكاتف والانتظام في اعمالهم ومناقشاتهم^(١) ودار البحث على الاتحاد وفي جلسة تالية وضعوا صيغة يمين اقسموا عليها واحدا واحدا هذا نصها : "اقسم بالله ويشرفني في ان احافظ على العهد التي قررناها في هذه الجلسة وعلى الثبات الى النهاية مع الجمهور"^(٢) . ويذكر جرجي زيدان الذي كان رئيسا للجلسة بان محور الحديث كان "الاحتجاج على خروج الدكتور لويس من المدرسة قبل نهاية السنة والاستفهام عن ينوب عنه"^(٣) وارسلوا رسالة بهذا المعنى الى عمدة المدرسة^(٤) فاجابت عليها بتعليق اعلان بتاريخ ٦ كانون الاول هذا نصه : "قد شاهد اساتذة المدرسة بكل اسف اصرار تلامذة الطب على غيابهم عن دروسهم فلم يبق لهم الا ان ننصحهم نصحا اخيرا فاذا لم ينتصحو هذه المرة وقعوا تحت طائلة القصاص المدرسي"^(٥) وذكر زيدان ان الطلاب "اغتنموا هذه الفرصة فطلبوا

(١) "مذكرات زيدان" ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٧٤ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢٧٤ .

(٤) يقول القس دانيال بلس الذي استلم الرسالة ان ظلامة الطلاب كانت مقتصرة

على الاحتجاج على استقالة الدكتور لويس فقط . Annual Reports, P. 69

(٥) "مذكرات زيدان" ، ص ٣٧٣ .

تقوية للاحتجاج امورا اخرى كانوا صابرين عليها ^(١) من هذه الامور ان المكتب الطبي السلطاني في الاستانة كان قد اعلم الكلية ان امتحان طلاب الطب سيكون اعتبارا من تلك السنة باللغة التركية او الفرنسية ولا يقبل بالعربية ، اللغة التي كانوا يدرسون فيها العلوم بالكلية . فكان ان اضافوا ذلك الى احتجاجهم السابق وسألوا عمدة الكلية عما فعلت من اجل امتحانهم بالاستانة واذا ما كانت دبرت امر علم الكيمياء الآلية والجيولوجيا والتشريح المكرسكوبي والتمرن على الجراحة العملية المطلوبة من طلاب الطب في امتحان الاستانة ، هذه العلوم التي لم تكن الكلية تدرسها ، وطالبوا الغاء "الفحص المدقق" الذي يجرى لطلاب الطب اذا لم تصبح شهادة الطب التي تعطيها الكلية "رسمية مقبولة عند حكومتنا" ^(٢) . وفي رسالة تالية ذكروا ان عمدة الكلية اوجبت فصل الدكتور لويس "بتهمة تقديم الخمر على مائدة دعي اليها بعض الافرنج ... وبتهمة تصريحه بكفر دارون بخطبته الاخيرة ، وهذا لا يسلم به كل من يفهم خطابه ويعرف تصرفه اللائق وقدرته الصالحة وتقواه" ^(٣) . فاجابتهم العمدة انها تدرس مسألة امتحان الكلية وانها اجتهدت غاية الاجتهاد من اجل امتحان الاستانة "ولا نزال نجاهد في هذا الامر وهو غاية ما يمكنكم ان تطلبوه منا" ^(٤) وفيما يتعلق بفصل

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٧٣ .

(٢) الرسالة الاصلية موجودة في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت .
انظرا ايضا "مذكرات زيدان" ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

Annual Reports , PP. 70 - 71

(٣) هذه الرسالة موجودة في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت .

(٤) "مذكرات زيدان" ، ص ٣٧٦ .

الدكتور لويس ذكر الجواب ان العمدة تسلم بما للطلاب من الحق في ان تشعرهم العمدة بذلك ولكنها لا ترى كيف يخولهم ذلك " حقا للغياب عن دروسكم كما فعلتم هذين اليومين الاخيرين ونرجو ان تتحقوا ما عندنا من المحبة الابوية " (١) . وتكلفت لجنة من الطلاب للاتصال بعمدة الكلية وكان جرجي زيدان واحدا منها فذكر زيدان ان العمدة قالت انها تجيب الطلاب شفويا " على يد الاستاذ يعقوب صروف بصورة غير رسمية " . فسألناه فقال انه لم يكلف بذلك ولكنه يقول من عند نفسه انه يشير علينا ان نرجع الى صفوفنا مؤقتا بينما تجتمع العمدة العليا [مجلس المدراء] من انحاء سوريا وتنظر في قضيتنا (٢) ، وبلغوا العمدة عودتهم الى الصفوف مؤقتا ريثما يروا حكم مجلس المدراء . وفي ١٣ كانون الاول بعث الطلاب برسالة الى مجلس المدراء تساءلوا فيها اذا ما كان يحق لعمدة الكلية " ان تفصل استاذنا قبل نهاية السنة التي هو فيها بدون ان تكون قد عينت بدله " (٣) ، وطالبوا النظر بمطالبهم وانصافهم . وفي ١٦ منه ، وهو اليوم الذي اجتمع فيه مجلس المدراء ، قرر الطلاب استئناف مطالبهم الى مجلس المدراء فكتبت نسخة من الرسائل التي كانوا قد ارسلوها الى العمدة واجوبة العمدة عليها حسب تسلسلها التاريخي على ورق بارشمن طويل (٤) وقرروا ايضا " ان يذيلوا ذلك الاستئناف بالشكوى من الدكتور بوسط بدعوى انه سبب هذه المشاكل - حملهم على ذلك ما بلغهم من سعيه الحثيث لدى اعضاء العمدة العليا الاتين من الخارج ليقنعهم

(١) المصدر ذاته ، ص ٣٧٦ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥١٨ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٥١٨ - ٥١٩ .

(٤) النسخة الاصلية موجودة في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت .

ان التلامذة متمردون ويوجه افكارهم الى اساءة الظن بهم فقررت الاكثرية ان تقدم الشكوى منه (١) . وكان الدكتور كرنيليوس فان ديك هو المكلف بقراءة شكوى الطلاب ضد الدكتور جورج بوست في اجتماع مجلس المدرسا لسهولة قراءة العربية عليه ولكن " لم يتل سطرين حتى نهض احد الحضور وطلب اسكاته لان موضوعها طعن شخصي " (٢) فجرى التصويت على ذلك فكانت الاكثرية الا تقرأ فشق ذلك على الدكتور فاندك وبعض المنصفين لانهم " قضاة يجب عليهم سماع القضية المرفوعة اليهم " (٣) واتخذ مجلس المدرسا قرارا ان ترسل الشكوى الى عمدة الكلية للنظر فيها " فلما رأى الدكتور فاندك ذلك اعترض على القرار وطلب ان تعين العمدة [العمدة هنا مجلس المدرسا] لجنة تنظر في مطالب التلامذة وتفحص ما يقولونه فاذا كانوا مخطئين حكموا عليهم والا انصفوهم . فلم يصغ احد الى قوله . وعلم ان العمدة [عمدة الكلية] ستقرر طرد التلامذة من المدرسة ولا تقبل منهم الا من يسحب اسمه ويرد شكواه ، فاعترض على ذلك وقال انه ان اصررت على هذا القرار فلا يرضى هو ان يكون من جملة الحاكمين ذلك الحكم الجائر . وخرج من الجلسة غضبا وقد شاهده [زيدان] وهو يركب عرته والغضب باد على محياه (٤) . وفي ١٨ كانون الاول علفت عمدة الكلية في ممر البناية العلمية (كوليچ هول) اعلانا يقضي بتوقف جميع الطلاب الذين " قدموا تحريرا غير لائق بشأن بعض الاساتيد في ١٦ كانون الاول " عن الحضور الى الكلية والمستشفى شهرا " ولا يعاد منهم حينئذ الا من استرد اسمه من ذلك التحرير وظهر الطاعة لقوانين المدرسة " (٥) . ويظهر ان ١٥ طالبا من اصل ٢٨ كانوا قد وقعوا رسالة الاحتجاج

(١) " مذكرات زيدان " ، ص ٥١٩ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥٢٠ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٥٢٠ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٥٢٠ .

(٥) المصدر ذاته ، ص ٥٢٠ .

ضد الدكتور بوست ابوا ان يستردوا اسماءهم فطردوا من الكلية (١) .
وفي ١٨ كانون الاول ايضا قدم كل من الدكتور كرنيليوس فان ديك ونجله الدكتور
وليم فان ديك استقالته من الكلية السورية الانجيلية هذه الاستقالة التي دعت منشئي
المقتطف الى القول : " لقد اعتاد قراء المقتطف الكرام ان يروا اسم هذه المدرسة
[الكلية السورية الانجيلية] مقرونا ببشائر النجاح وترقي ابنا الوطن في العلوم
والمعارف ، واستعدادهم لخدمة ابنا بلادهم الا ان صرف الزمان قد اكرهتنا على
تسويد وجه القرطاس بذكر الرزية التي رزئت بها هذه المدرسة الشهيرة الا وهي
استعفاء ثلاثة من الذين يدرسون فيها احدهم العالم العامل الذي ذاع صيته في
الاقطار الدكتور كرنيليوس فان ديك استاذ الباثولوجيا ومدير المرصد الفلكي والمنيورولوجي
فيها ، وسبقه العلامة الدكتور ادون لويس استاذ الكيمياء والطبيعيات ، وعقبه نجله
الشهير الدكتور وليم فان ديك مدرس المواد الطبية والحيوان والهيجين ، فبارحوها
كشمس توارت يصحبها بدران (٢) .

(١) يذكر بنروز ان ١٥ طالبا طردوا من الكلية اثر هذه الحادثة .
Penrose ,S. , That They May Have Life , ~~New York~~ , Princeton
University Press , 1941 , P. 44 .

(٢) " المدرسة الكلية الطبية " ، المقتطف ، ج ٧ (كانون الثاني ١٨٨٣) ص ٣٧١ .

وكان الدكتور دافيد ستيوارت ضودج قد كتب رسالة الى القس دانيال بلس ، رئيس الكلية ، في الاول من شهر كانون الاول عام ١٨٨٢ اثر قبول مجلس الامناء استقالة الدكتور لويس ، علق فيها على الاحداث الجارية في الكلية قرر فيها الاحتمالات المتوقعة كردود فعل منتظرة . ففي حال استقالة الدكتور فان ديك ، الذي يظهر انه بموقفه المؤيد للدكتور لويس " قد فقد ثانية تفكيره العلمي المتزن " ، فان الكلية تستطيع ان تتحمل ذلك كما انها تستطيع ان تستمر وتمضي قدما في مهمتها اذا ما حذا حذوه الدكاترة يوحنا ورتبات ووليم فان ديك ورتشارد بريكستوك (١)

وفي العاشر من شهر تموز عام ١٨٨٣ قدم القس دانيال بلس تقريرا عن حادثة طرد الطلاب الى مجلس المدرء ذكر فيه ان العام الدراسي ١٨٨٢ - ١٨٨٣ سيذكر ولمدة طويلة كعام عصيان وثورة في تاريخ الكلية . ووجه اللوم الى الدكتور كرنيليوس فان ديك على ملاحظتين كان قد ابداهما لبعض الطلاب اثناء اختلافهم بالرأى مع عمدة الكلية : اولاهما انه كان على الدكتور لويس الا يستقيل من منصبه الى ان تنهي الصفوف الحالية دراستها ، هذه الملاحظة التي ساعدت الطلاب على تقديم طلبهم غير المعقول بان تضمن عمدة الكلية بقاء الدكتور لويس حتى نهاية سنوات الدراسة الاربع . والملاحظة

D.S.Dodge to D. Bliss , New York , Dec. I , 1882 , P. 2 .

(١)

وذكر ايضا ان المستر وليم بوث ، رئيس مجلس الامناء ، اقترح ان تغلق الكلية ابوابها سنة ريثما يزول هذا السوء التفاهم الذي كان سببه الدكتور لويس .

الثانية ، انه رد على بعض الطلاب الذين قالوا له " سمعنا باننا سنطرد من الكلية " بقوله " اذا طردتم من اجل هذه القضية فسأعلمكم في بيتي " ولكن عمدة الكلية لم تصدق ان مثل هذه الملاحظة تصدر عن الدكتور فان ديك الا حينما ايد ذلك بنفسه (١) . وذكر القس دانيال بلس ايضا ان الدكتور كرنيليوس فان ديك ونجله والدكتور لويس تولوا تدريس الطلاب المطرودين ، وان اعلانا قد نشر في احدى الجرائد اليومية عن افتتاح مستشفى (او مستوصف) تحت رعاية وطنية يساهم الدكتور فان ديك في ادارته . غير ان هذا المستشفى اغلق ابوابه بعد اسبوعين او ثلاثة ، وانتهت دراسة اولئك الطلاب بعد اجتيازهم امتحانا اعطوا بنتيجته شهادات قبل سفر الدكتور لويس الى الولايات المتحدة الاميركية في الاول من شهر ايار (٢) . ويذكر الاستاذ منصور جرداق ان هؤلاء الطلاب الذين درسهم الدكتور فان ديك بصورة شخصية " سافروا الى الاستانة وتقدموا للامتحانات في المكتب الطبي الشاهاني (اسوة برفاقهم الذين نالوا الشهادة الطبية من الكلية) ، واجتازوها بنجاح باهر وحصلوا على الشهادات الحكومية القانونية مع لقب بك ، مثل الدكتور اسكندر بك البارودي ، باقل من ثلاثة اشهر بين ان رفاقهم اقتضى لهم اكثر من سنة للحصول على الشهادة المذكورة " (٣) .

(١) Annual Reports , P. 22 .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) جرداق ، منصور ، " اول ثورة مدرسية في العالم العربي " ، اوراق لبنانية ، ج ٢ (١٩٥٦) ص ٤٨٥ يوجد في ارشيف مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت نسخة عن شهادة اعطيت الى الصيدلي اسبريدون رزق الله ، احد موقعي رسالة الاحتجاج ضد الدكتور بوست ، ظهر عليها اسم الدكتور كرنيليوس فان ديك فقط ومؤرخة في ٤ نيسان عام ١٨٨٢ .

وفي الحادى عشر من نيسان عام ١٩١٣ اثناء الاحتفال برفع الستار عن تمثالي
الدكتورين كرنيليوس فان ديك ويوحنا ورتبات في باحة الكلية السورية الانجيلية المقدمين
من قبل خريجي الكلية ، ذكر الدكتور هارفي بورتر (Harvey Porter) ، رئيس
الكلية بالنيابة انه " لما استقال المرحوم الدكتور فاندريك من منصبه كاستاذ في المدرسة
الكلية سنة ١٨٨٣ استاء لذلك عدد من تلامذته وخصوصا في صف المنتهين في الدائرة
الطبية فخرجوا من المدرسة واكملوا دروسهم في غير الكلية ونالوا شهاداتهم من
المكتب الطبي في الاستانة " (١) واعلن بمناسبة ذلك الاحتفال ان عمدة الكلية قررت
" ان تظم اسما اولئك الطلبة الى اسما رفقاتهم مخرجي سنة ١٨٨٣ بحيث يصبحون
من الان فصاعدا في عداد مخرجي الدائرة الطبية في المدرسة الكلية " (٢) . وهكذا
بعد مرور ثلاثين سنة على هذه الحادثة اسدل الستار عليها باعادة الاعتبار الى
الطلاب المطرودين .

-
- (١) " تمثالا المرحومين الدكتور فاندريك وورتاب " ، ص ١٤٤ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ١٤٤ . شمل القرار الدكاترة : اسكندر بارودى ، وجرجي
باز ، وسليم جريدني ، وباخوس حكيم ، وابراهيم الصليبي ، وحبيب كحيل ،
وابراهيم مطر ، وانطون نوفل ، وفؤاد شهاب ، وابراهيم ثابت ، كما شمل
الصيدليين : انطونيوس منسى ، واسبريدون رزق الله . ~~والشكر~~ في القسم
الانكليزي من مجلة الكلية ذكر الدكتور بورتر ان القرار يشمل ايضا الصيدلي
جرجي طرابلسي ، المصدر ذاته (القسم الانكليزي) ص ١٦٣ .

الفصل الخامس نشاط الدكتور فان ديك العلمي

ينقسم نشاط الدكتور فان ديك العلمي الى ثلاثة اقسام : ١ - نشاطه في حقل التآليف والترجمة ٢٠ - خطبه ومقالاته العلمية ٣٠ - تشجيعه الدائم لمختلف النشاطات العلمية .

١ - نشاطه في حقل التآليف والترجمة :

يتناول هذا النشاط تأليف وترجمة الكتب المدرسية العلمية - الثانوية منها والجامعية . لقد تقدم في فصل النشاط التعليمي ان الدكتور فان ديك جدد ، بناً على اوامر المجمع ^{الاميركي} الوطني لمدوبي البعثات التبشيرية و "الرسالية السورية" ، مع زميله المعلم بطرس البستاني ، نظام مدرسة عبيه ، ولكن الكتب المدرسية باللغة العربية ، اللغة الرسمية للتعليم في المدرسة ، كانت قليلة وبصورة خاصة تلك التي تعالج المواد الجديدة التي اخذت تعلمها هذه المدرسة . وهذه المهمة ، على صعوبتها ، لم تكن لتقف حائلاً دون عملاقين من جبابرة الهم كالدكتور فان ديك والمعلم بطرس البستاني ، اللذين احببا اللبالي معا " في الدرس والمطالعة والتآليف " (١) لتأمين هذه الحاجة الماسة . ولقد واجه الدكتور فان ديك ، اثر انضمامه عام ١٨٦٧ الى عمدة الكلية السورية الانجيلية هذه المشكلة نفسها ، وهي عدم وجود الكتب التعليمية للمواد التي كانت تدرس في الكلية ، فتصدى لها بما عرف عنه من غيرة وعمد الى تأليف الكتب اللازمة ، مسهما بذلك اسهاماً فعالاً في حل هذه المشكلة .

(١) البستاني ، سليم ، دائرة المعارف ، ج ٧ ، ص ٥٩٣ .

والجدير بالذكر ان الدكتور فان ديك شدد في اخر تقرير كتبه عن حالة مدرسة عبيه العلمية ، على الاستمرار في اتباع اللغة العربية كلغة للتدريس في المدرسة وذلك محافظة على شعور الطلاب الوطني . وكان يرجو ان يشجع اسلوب التعليم باللغة العربية عطف الطلاب على ابنا شعبهم ويؤهلهم للقيام باعمال ذات فائدة لبلادهم (١) ، كما اقترح المثابرة على تعليم مختلف الفروع العلمية بالاضافة الى العلوم الدينية ، والاطلاع على " كنوز اللغة الانكليزية " لان المدرسة بذلك تكون قد زودت طلابها بجميع الوسائل الضرورية لاكتساب " ثقافة تامة " تؤهلهم " لانارة الآخرين " (٢) . ولعل ايمانه بجديوى هذا العمل الجبار زاد حماسه لتحمل عبء القيام بتنفيذه .

ولذلك نرى ان الدكتور فان ديك عمد الى اعداد الكتب المدرسية الثانية فكانت : اولاً — الكتب التي املاها على طلاب مدرسة عبيه والتي طبعت فيما بعد وهي : كتاب المرأة الوضية في الكرة الارضية ، ١٨٥١ (في الجغرافيا) ، و كتاب الروضة الزهرية في الاصول الجبرية ، ١٨٥٣ (في الجبر) ، و كتاب في الاصول الهندسية ، ١٨٥٧ (في الهندسة) ، و كتاب محيط الدائرة في علمي العروض والقافية ، ١٨٥٧ ، (في اوزان الشعر العربي)

ثانياً — الكتب التمهيدية العامة المبسطة التي بدأ بتأليفها عام ١٨٨٦ بعد ان كثر انشاء المدارس في الديار الشامية وواجهت هذه المدارس الحديثة صعوبات جمة في تدريس الطلاب منها " جهل الطلاب التام لكل انواع المعارف ٠٠٠ فلو وجدت بين ايادى معلمي المدارس البسيطة في القرى والضياع كتب تعينهم على تعليم الصغار مبادئ العلوم واصولها باختصار والوضوح لكان ذلك واسطة لازالة بعض هذه

(١) الميشنرى هيرلد ، ج ٤٦ (١٨٥٠) ص ٣٦٢ .
(٢) المصدر ذاته ، ج ٤٦ (١٨٥٠) ص ٣٦٢ .

الصعوبات وكان التلاميذ يدخلون المدارس العالية على استعداد ، اى بعد الاطلاع على اصول العلوم فتهون عليهم دروسهم ، وتقصردتها وترفع عن المعلمين مشقة كبيرة فضلا عن افادة كثيرين غير مقتدرين على دخول مدرسة عالية . فخطر ببالي [فان ديك] ان احاول سد هذا العوز وان اقدم لاهل اللغة العربية عدة كتيبات كل كتيب حاو اصول علم من العلوم على كيفية تمكن معلمي المدارس البسيطة من استخدامه في تعليم الصغار . وقد سميته كتاب النقش في الحجر مراعاة للمثل القائل : العلم في الصغر كالنقش في الحجر^(١) وتشتمل سلسلة النقش في الحجر هذه على ثمانية اجزاء تمثل اول محاولة لتبسيط اصول العلوم في اللغة العربية ، وهي :

- | | | |
|----------------|------------------------------------|--------------|
| الجزء الاول - | كتاب عام استفاحي في الطبيعة والعلم | طبع عام ١٨٨٦ |
| الجزء الثاني - | كتاب في علم الكيمياء | طبع عام ١٨٨٦ |
| الجزء الثالث - | كتاب في الطبيعيات | طبع عام ١٨٨٦ |
| الجزء الرابع - | كتاب في الجغرافية الطبيعية | طبع عام ١٨٨٧ |
| الجزء الخامس - | كتاب في الجيولوجية اى طبقات الصخور | طبع عام ١٨٨٧ |
| الجزء السادس - | كتاب في علم الهيئة | طبع عام ١٨٨٨ |
| الجزء السابع - | كتاب في علم النبات | طبع عام ١٨٨٨ |
| الجزء الثامن - | كتاب في علم المنطق | طبع عام ١٨٨٩ |

اما الكتب الجامعية فتشمل : اصول الكيمياء ، ١٨٦٩ (في الكيمياء) ،
ورسالة في الجدري والحصبة للرازي ، ١٨٧٢ ، وكتاب اصول التشخيص الطبيعى ،
١٨٧٤ ، واصول الباثولوجية الداخلية الخاصة ، ١٨٧٨ (كتب في الطب) ،
وكتاب في اللواغز دماى الانساب ، ١٨٧٣ (في الرياضيات) ، واصول علم الهيئة ،
١٨٧٤ ، وارواء الظما من محاسن القبة الزرقاء ، ١٨٩٣ (كتابان في الفلك) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، كتاب النقش في الحجر ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ج ١ ، ١٨٨٦ ، ص ٤ .

يجدر بنا هنا ، قبلولوج في التحدث عن هذه الكتب ، ان نقف هنيهة عند طريقة الدكتور فان ديك بالترجمة ورأيه بالترجمات السابقة الصادرة عن مطبعة بولاق منذ تأسيسها عام ١٨٢٢ الى عام ١٨٤٩ . لقد ارسل مقالة الى مجلة الجمعية الاميركية الشرقية (Journal of the American Oriental Society) انتقد فيها ، في اثناء حديثه عن الكتب الطبية والعلمية الاخرى التي طبعتها مطبعة بولاق ، الطريقة التي اتبعت في ترجمة هذه الكتب . ولقد ذكر ان مترجمي هذه الكتب لم يبذلوا الجهد الكافي للتنقيب عن التعابير العربية المناسبة للكلمات التقنية الواردة في النصوص الاجنبية ، وبصورة خاصة فيما يتعلق بالاسماء الطبية . ويسلم الدكتور فان ديك ان هناك ، نتيجة للتقدم العلمي الذي حصل في الغرب ، اصطلاحات علمية ليست موجودة في اللغة العربية مما يستدعي تعريبها ، اى نقل الكلمات الاجنبية الى العربية كما هي ، ولكن امر هو "لا" المترجمين يختلف اذ عرّبوا معظم الكلمات الاجنبية رغم وجود مرادفات عربية لها ، وفي معظم الاحيان تختلف هذه الكلمات المعربة عن الاصل فيضيع اصلها وتكون بذلك كشجرة الزيتون الواردة في القرآن الكريم " لا شرقية ولا غربية " (١) .

ونستنتج من ذلك ان الدكتور فان ديك كان يرى ضرورة اتباع المترجم للقاعدتين التاليتين : ١ - ضرورة التنقيب عن المرادفات العربية للنص الاجنبي التي قد تكون موجودة في المصادر العلمية العربية . ٢ - في حال تعذر وجود هذه

Van Dyck, C.V.A, " On the present condition of the Medical profession in Syria" . Journal of the American Oriental Society, Vol. I (1849)P.570 . Henceforth cited " Medical profession in Syria" .

(١)

المرادفات يعتمد المترجم اما الى التعريب واما الى وضع اصطلاح جديد لها . والتعريب في عرّفه لا يضير اللغة العربية بل هو مصدر حيوية لها . ويضرب مثالا على ذلك ، في خطبة القاها في الجمعية العلمية السورية قبل عام ١٨٥٢ ، ذكر فيها ان المترجمين في زمن الخلفاء العباسيين اقتبسوا العديد من الكلمات الاجنبية ، فيقول : " انه في ادخال العلوم الحديثة في اللغة العربية صعوبات من عدم وجود اصطلاحات مناسبة لها . ولا يعد ذلك نقصا او خللا في اللغة ذاتها وانما قد حصل من عدم الاعتناء بها ومن تقدم جميع الفنون واهمال اللغة . فنضطر الان الى ادخال الفاظ غريبة فيها مأخوذة من لغات اخرى غالبا من اليونانية . ولما اذا نشمئز من ذلك اذ نرى القداماء في زمان الخلفاء بني العباس عند ترجمتهم كتب اليونانيين الى العربية ادخلوا الفاظا كثيرة من اليونانية اذ وافقهم ذلك مثل : هيولي واخيون وارخون وافيافا وهلم جرا ، ومن الفارسية : كبولاد وياذنجان وراتينج ورهنامج وسباندج . ويوجد ايضا بعض كلمات من التركية والعبرانية والسريانية ، ومن هذه الاخيرة قد ادخل وزن فعل لم يوجد في العربية مثل شقلب وشلهب ، وزن شفعل ، من قلب ولهب . وهذا لا يعد فسادا في اللغة بل منفعة لها فتتسع وتقوى اذا امكنها ان تضم الى ذاتها محاسن بقية اللغات واصطلاحاتها . " (١)

وسنرى اثناء استعراضنا لكتبه مدى التزامه هذه القواعد .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، " لذات العلم وفوائده " ، اعمال الجمعية السورية ،

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٢ ، ص ٩ - ١٠ .

١ - كتاب المرأة الوضية في الكرة الارضية ، بيروت مطبعة الاميركان ، ١٨٥١ ، ص ٥٠٢ .

الفالدكتور فان ديك كتاب المرأة الوضية في الكرة الارضية اثنا تدريسه لمادة الجغرافيا في مدرسة عبيه . ويذكر انه وضع هذا الكتاب " في علم رسم الارض " الذي يبحث فيه عن هيئة الارض واقسام سطحها وانواع اهلها وحواصلها " تنويرا للبصائر وتنزيها للخواطر " (١) ، وانه ينقسم الى قسمين " الاول - جغرافية طبيعية ، والثاني - جغرافية وصفية . اما الاول فمداره سطح الارض وما عليه وكرة الهواء المحيطة به بدون التفات الى اقسام الارض السياسية . اما الثاني فيعتبر البلدان والممالك ونسبة بعض اقسام سطح الارض الى بعض " (٢) ويعود فينبه القارى الى انه في كتابه هذا لا يفصل بين هذين القسمين فصلا تاما بل انه يذكر " بعض متعلقات الجغرافية الطبيعية اولا والبعض الاخر يذكر مع متعلقات الجغرافية الوصفية " (٣) .

ان قسم الجغرافية الطبيعية يحتوى على سبعة فصول : في حقيقة هذا العلم وبعض اصطلاحاته ، واليابسة واقسامها ، والماء واقسامه ، والهواء والرياح ، والاقاليم وتفریق الحيوان والنبات حسب الاقاليم ، والاحكام [انواع الحكم] والاديان ، وانواع البشر ولغاتهم . ويتبع في هذا القسم طريقة تحديد او بالاحرى تعريف الاصطلاحات التي سترد في الكتاب ، كخطوط الطول والعرض ، والقارة ، والاقليم ، والراس (٤) واللسان (٥) ، والبرزخ والجبل والسهل ، وجبل النار والبركان ،

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، المرأة الوضية في الكرة الارضية ، بيروت ، ١٨٥١ ، ص ٢ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٤) عرف الراس بما يلي : " حرف من جبل او من ارض مرتفعة داخل البحر " .
المرأة الوضية ، ص ١١ .

(٥) عرف اللسان بما يلي : " حرف من ارض سهلة داخل في البحر " . المصدر ذاته ، ص ١١ .

والبحر المحيط او الاوقيانوس ، والبحيرة والترعة ، والبوغاز ، والخليج ، والنهر ، والبحر ٠٠٠ الخ . فيقول مثلاً في تعريف الاقليم : " الاقليم لفظة يونانية معربة معناها حرارة الهواء " في اقسام الارض المختلفة . وفي الاصطلاح [اى الاصطلاح الجغرافي] هي عبارة عن كل ما يتعلق بهوا محل ما تتأثر به الحواس او الصحة كالحرارة والرطوبة وضغط الهواء ، ونقاوته ومخالطته بابخرة مرضية ، وصفاته وغلبة الانواء فيه وما يشبه ذلك مما يؤثر في الانسان عقلاً وجسداً " . (١)

ويحتوى قسم الجغرافية الوصفية على تسعة وثلاثين فصلاً : قارة اسيا ، واملاك روسيا في اسيا ، والمملكة العثمانية في اسيا ، وبلاد العرب ، ومملكة ايران ، وبلاد التتر ، وهندستان ، والهند الصينية ، ومملكة الصين ، وجزائر اسيا ، وقارة اوروا ، والولاية البريطانية ، وبلاد اسوج ونروج ، وبلاد المسكوب ، وولاية فرنسا ، ومملكة بلجيوم وهولاندا ، وجرمانيا ودينمارك ، ومملكة بروسيا ، ومملكة اوستريا ، وبلاد السويس ، والمملكة العثمانية في اوروا ، ومملكة اليونان ، ومملكة ايطاليا ، واسبانيا وبرتوكال وجزائر اوروا ، وقارة افريقية ، وقارة اميركا ، واميركا الجنوبية ، واوستراليا وجزائر البحر المحيط . ويظهر انه اعتمد في معلوماته عن القارتين الاسيوية والافريقية على جغرافي العرب كالاخطرى وياقوت الحموى اللذين كثيراً ما استشهد بهما واستعمل الاسماء التي كانا يستعملانها ، كبلاد النوبة وتيه بني اسرائيل والابلة . وعندما كان يخشى الالتباس في فهم الكلمة العربية المستعملة قديماً كان يضع مرادفها الشائع مثل قوله البحر المحيط او الاوقيانوس ، وبحر الروم او البحر المتوسط . واما بالنسبة للاسماء الاجنبية فقد عرّبها كنهر الميسيسيبي ، وجبال الالب ، واحياناً كان يقول " جرمانيا ويقال لها المانيا " .

وعند إعادة طبع الكتاب عام ١٨٢٠ صحح الدكتور فان ديك بعض المعلومات الواردة في الطبعة الاولى " لكي توافق الاكتشافات الجديدة في هذا العلم " (١) مثل ذكره ان اختلاف لون البحر " متوقف على اسباب محلية وعلى كثرة الحبيبين المكروسكوبي الذي هو علة فصفورية البحرايض (٢) التي ورد في الطبعة الاولى على انه " متوقف على اسباب محلية " (٣) . و اضاف اليه " بعض الشرح لاجل اتمام الفائدة " (٤) كقص السفن الانكليزية عام ~~١٨٤٦~~^{١٨٤٦} لبيروت وصيدا وعكا ، والتقدم الذي جرى في مدينة بيروت .

واهدى الدكتور فان ديك كتابه هذا في طبعته الثالثة " الى الشيخ الجليل ، ندى الفضل العالم العلامة الرياضي والطبيب النطاسي جناب الدكتور ميخائيل مشاقه ، اقرارا بفضله العميم ، واشترائه قلبا وعلا مع كل من خدم المعارف في البلاد الشرقية " (٥) .

-
- (١) فان ديك ، كرنيليوس ، المرآة الوضية في الكرة الارضية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، طبعة ثانية ، ١٨٢٠ ، ص ٢ .
- (٢) المصدر ذاته ، ص ٢١ .
- (٣) المرآة الوضية ، الطبعة الاولى ، ص ٢٠ .
- (٤) المرآة الوضية ، الطبعة الثانية ، ص ٢ .
- (٥) فان ديك ، كرنيليوس ، المرآة الوضية في الكرة الارضية ، المطبعة الادبية ، طبعة ثالثة ، ١٨٨٦ ، ص ٢ . وصف المرسل هوايتن الدكتور ميخائيل مشاقه بانه ذو اخلاق عالية ومن اذكي الوطنيين وبانه كاتب قدير وافضل طبيب وطني . الميشنري هيرلد ، ج ٤٨ (١٨٥٢) ص ٢٧١ . واعتبرته النشرة الاسبوعية " لوثر الشرق " . النشرة الاسبوعية ، العدد ٣٠ (٢٨ تموز ١٨٨٨) ص ٢٣٦ - ٢٣٩ .

٢ - كتاب الروضة الزهرية في الاصول الجبرية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ،
١٨٥٣ ، ٢٥١ ص .

يذكر الدكتور فان ديك في مقدمة كتابه الروضة الزهرية في الاصول الجبرية
ان كتابه هذا هو في علم " الجبر الحسابي " وانه قد علق عليه ما املاه على طلاب
مدرسة عبيه " سالكا فيه مسلك بعض العلماء الفرنسيين والانكليزيين " (١) ، وذكر
ان علم الجبر هو من " التعاليم المحضة المختصة بالكميات المجردة عن المواد " (٢)
التي لها " منزلة على سائر العلوم من حيث وضوح قواعدها وقوة براهينها ، حتى
ضرب بها المثل في الايضاح والتبيين ومن حيث كثرة استعمالها ولزومها في المصالح
والعلوم كافة . وايضا لسبب تأثيرها في القوى العقلية بتقويتها وتوسيعها . فان
درسها يدرب العقل على الاتجاه بكل قواه نحو امر ما وعلى انحصاره في موضوع ما
بدون ان يتشتت . ويمنح حذاقة عظيمة في الكشف عن فساد او سفسطة في برهان
او قضية . ولذلك تكون معرفتها مفيدة جدا لكل واحد ولو كان غير مفتقر الى
ممارستها " (٣) ويعود فيعرف علم الجبر بانه " علم يبحث فيه عن نسب الكميات
باستعمال احرف واشارات اخر " (٤) ، ويذكر انه يمتاز عن علم الحساب لكون " مسائله
اعم ولانه تستعمل فيه الاحرف الهجائية عوض الاعداد ، كبيرة كانت ام صغيرة .
وايضا لانه تستعمل فيه كميات مجهولة كانها معلومة . فالاحرف التي تنوب عن
كميات عددية في الجبر ليس لها قيمة في ذاتها ولكن تفرض لها قيمة معلومة في كل
مسئلة على مقتضى شروطها . وقد تكون تلك القيمة معلومة وقد تكون مجهولة كما
سترى . فان كانت معلومة يوضع عوضها حرف من حروف الهجاء الاول كالالف والباء

(١) فان ديك ، الروضة الزهرية في الاصول الجبرية ، بيروت ، مطبعة

الاميركان ، ١٨٥٣ ، ص ٢ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٣ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٣ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٣ .

والتاء وما يليها ، وان كانت مجهولة يستعمل عوضها الحروف الاخيرة كالكاف واللام والميم وما يليها . (١) .

يحتوى هذا الكتاب على خمسة وعشرين فصلا : الاشارات الجبرية والكميات السلبية والاوليات ، والجمع ، والطرح ، والضرب ، والقسمة ، والكسور ، والمعادلات من الدرجة الاولى وهي البسيطة ، والترقية والقوات ، والجدور والتجذير ، وحل المعادلات بالترقية والتجذير ، ومعادلات ممتزجة من الدرجة الثانية ، والمسائل المشتتة على مجهولين فاكثر ، والتناسب والنسبة ، والتغيير والنسبة العمومية ، والسلسلة الحسابية والهندسية ، والغير المتناهيات ونظير الغير المتناهي ، والقسمة على المركب وفي العاد الاكبر ، في ترقية الكميات الثنائية وسطها ، في تجذير الكميات المركبة ، والسرد الغير المتناهي ، والمعادلات التامة من الدرجة الثالثة ، وحل المعادلات من كل درجة بالاستقراء ، والمسائل الغير المحدودة وهي المسئلة ، واستعمال الجبر في مسائل الهندسة ، وتعديل المنحنيات بواسطة الجبر . وطريقته في عرض هذه المعلومات كانت بان يذكر القاعدة ويقدم عليها الامثلة لتوضيحها . ثم يعطي عليها اعمالا كفروض لحلها قد تصل في بعض الاحيان الى ٦١ عملا .

لا شك ان الدكتور فان ديك بحث عن المرادفات العلمية في الكتب العلمية العربية واردها في كتابه هذا ، فاستعماله لهذه التعابير اكبر دليل على المجهود البالغ الذي بذله في هذا المضمار ، بالاضافة الى اننا نرى انه حاول ان يجد الكلمات العربية لبعض التعابير لتمييزها عن معنى اخر ، فمثلا نرى انه استعمل لفظة

"الجذر العالى" (Square root) لتمييزها عن المربع (Square) ولكن خشية الالتباس قال "الجذر العالى او المربع او الثانى" (١) عند ايرادها للمرة الاولى ثم اخذ يكررها "الجذر العالى" فقط . واستعمل ايضا التعابير التالية "الاعداد الشفعية" ليعبر عن الاعداد المزدوجة ، و "الاعداد الوترية" للاعداد المفردة ، كما انه استعمل "الاولية" و "الاوليات" للبديهية والبديهيات ، و "الخط العرضي" للخط الافقى .

(١) المصدر ذاته ، ص ٥٩ .

٣ - الاصول الهندسية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٢ ، ٣١٢ ص .

يذكر الدكتور فان ديك ان اشهر مؤلفات " الفيلسوف اقليدس " هو كتاب الاصول الهندسية " ولم يزل الى ايامنا هذه افضل ما صنف في هذا الفن . غير انه قد دخل عليها بعض التغييرات والنقائص على تعادى الاجيال . وقد رجعها الى اصلها المعلم سمسون الاسكوتسي ثم اضاف اليها بعض المعلمين عدة قضايا لكي تصير بذلك اكثر مناسبة لحال التعاليم في هذا العصر . واحسن نسخها واكثرها فائدة النسخة التي اعتنى بها المعلم بلايغار الاسكوتسي وهي المعول عليها في هذه الترجمة " (١) ويحدثنا عن الغاية من ترجمة هذا الكتاب بقوله : " انني لما رأيت افتقار المدارس في هذه البلاد الى الكتب الهندسية ، التي بها تتم الفائدة المقصودة منها ، اعتنيت بترجمة هذا الكتاب المفيد المشتمل على كتب اقليدس الستة ومضافات اخرى في تربيع الدائرة وهندسة الاجسام واصول قياس المستويات المستوية والكروية . والله المسؤول ان ينفع به الطالبين ويفيد الراغبين ويجعله مخلصا لوجهه الكريم " . (٢)

ويحتوى هذا الكتاب على احد عشر فصلا : ستة منها لكتب اقليدس الستة ، وتربيع الدائرة ، وتقاطع السطوح ، ومقايسة الاجسام ، واصول قياس المثلثات البسيطة ، واصول قياس المثلثات الكروية . ويتبع هنا الاسلوب نفسه الذي اتبعه في الاصول الجبرية اى انه يذكر القاعدة ويقدم عليها الامثلة لتوضيحها ثم يعطي عليها اعمال كفروض لحلها . واورد هنا جميع التعابير العربية القديمة كالزاوية القائمة والزاوية المنفرجة والزاوية الحادة والمثلث المتساوى الاضلاع والمربع

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، الاصول الهندسية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ،

١٨٥٢ ، ص ٣ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

والمستطيل والوتر والمحيط ومركز الدائرة وقطر الدائرة والمعين . ولكنه اضطر ان يعرف بعض الكلمات العربية التي وضعها كالعملية التي عرفها بما يلي " هي قضية حاوية عملا مطلوب اتمامه كقولهم علينا ان نرسم خطا عمودا على اخر " (١) ، و" السابقة " وهي " قضية استعدادية ذكرت قبل اخرى لكي يختصر بها برهان الاخرى " (٢) ، و" الفرع " وهو " نتيجة تستنتج بالاستقامة من قضية اخرى " (٣) و" التعليقة " وهي " قول مبني على قضية سبقته " (٤) . ويظهر انه خشي الالتباس في بعض الكلمات التي استعملها فاضطر ان يردفها بمعنى لها كقوله " ان ننصف خطا اي ان نقسمه الى قسمين متساويين " (٥) .

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٤ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٤ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٤ .
(٤) المصدر ذاته ، ص ٤ .
(٥) المصدر ذاته ، ص ١٢ .

٤ - محيط الدائرة في علمي العروض والقافية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ،
١٨٥٢ ، ١٢٣ ص .

الفالدكتور فان ديك كتاب محيط الدائرة في علمي العروض والقافية اثناء
تدريسه في مدرسة عبيه " وكان الفراغ من تبليغه في شهر شباط من اشهر سنة
١٨٤٩ " (١) ولكنه طبع بعد ثمانى سنوات بمطبعة الاميركان في بيروت عام ١٨٥٢ .
يعرف العروض بانه " علم يبحث فيه عن اوزان الشعر وما يتصرف به فيها .
وقد ذكروا في وجه تسمية هذا العلم بالعروض وجوها اقربها ان العروض اسم لما
يعرض عليه الشيء فنقل الى هذا الفن لانه يعرض عليه الشعر فما وافقه فصحيح وما
خالفه ففاسد . وقال بعضهم انه انما سمي بالعروض لانه الخليل الفه في العروض
وهي مكة فسماء بها تبركا " (٢) . كما عرف القافية بانها " من اخر ساكن في البيت
الى اقرب متحرك يليه ساكن " (٣) . وبعد ان يعدد الابحر الشعرية يذكر بانها
قد جمعت ، ما عدا بحر المتدارك ، في البيتين التاليين :

طويل مديد والبسيط ووافر وكامل اهزاج الارجيز ارملا
سريع انسراح والخفيف مضارع ومقتضب المجتث قرب لتفضلا

ثم يذكر انها تقسم الى خمس دوائر : ١ - دائرة المختلف وتشمل الابحر
التالية : الطويل والمديد والمستطيل والبسيط والممتد ، ٢ - دائرة الموءلف
وتشمل : الوافر والكامل والمتوفر ، ٣ - دائرة المجتلب وتشمل : الهزج والرجز والرمل ،
٤ - دائرة المشتبه وتشمل : السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث ،
. وهناك ثلاثة ابحر غير مستعملة تقع ايضا ضمن هذا الدائرة وهي المتمد والمنسرد

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، محيط الدائرة في علمي العروض والقافية ، بيروت ،

مطبعة الاميركان ، ١٨٥٢ ، ص ١٢٣ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٠٤ .

والمطر د ، هـ - دائرة المتفق وتشمل المتقارب ، وبحر المتدارك الذي استدركه المحدثون . (١)

والكتاب سهل العبارة واضح المعاني . ولا غرو ان يضع هذا الطبيب المستشرق لابناء اللغة العربية كتابا مبسطا في العروض والقوافي وهو الذي اخذ اللغة العربية عن احد اربابها - الشيخ ناصيف . ويذكر الدكتور يعقوب صروف في رسالة بعثها لتقرأ بمناسبة ازالة الستار عن تمثالي الدكتورين فان ديك وورتيات جاء فيها ، انه قد وقع له منذ مدة كتابان من كتب الدكتور فان ديك : الاول قانون ابن سينا . والثاني كتاب " صغير الحجم جدا كأنه صنع ليوضع في الجيب - تذكرة - وهو دفتر بعضه بخطه وبعضه بخط استاذة اليازجي وكله قصائد مشهورة ومقاطع شعرية كتبها ليستظهرها " (٢) فلا يستغرن احد على من احب اللغة العربية وحفظ اشعارها وشواهدا ان يؤلف كتابا في العروض والقوافي .

(١) المصدر ذاته ، ص ٨ - ١٥ .

(٢) تمثالا المرحومين الدكتور فان ديك والدكتور ورتيات " ، ص ١٤١ .

٥ - اصول الكيمياء ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٦٩ ، ص ٤١٢ .

الفالدكتور فان ديك كتاب اصول الكيمياء في اثنا تدرسه هذه المادة في الكلية السورية الانجيلية عندما كانت اللغة العربية هي لغة التدريس فيها . يقسم الكتاب الى اربعة اجزاء : الجزء الاول في القوى الكيماوية اى المواد غير القابلة الوزن ، والثاني في التسمية الكيماوية ، والثالث في كيمياء المواد غير الآلية ، والرابع في كيمياء المواد الآلية .

يبدأ في تعريف المصطلحات الكيماوية والادوات التي تستعمل عند القيام بتنفيذ التجارب المطلوبة من الطالب ثم ينتقل الى وصف الخمسة وستين عنصرا المعروفة الى ذلك الحين مع ذكر خصائصها وكيفية تركيبها . لقد عرب الدكتور فان ديك جميع هذه العناصر باستثناء العناصر التالية التي وضعها بصيغتها العربية : الكبريت ، والفصفور ، والزرنيخ ، والذهب ، والزيبق ، والفضة ، والنحاس ، والمقصدير ، والرصاص ، والحديد ، والتوتيا . (١)

وينبه الطالب على انه قد اضطر الى ذكر بعض القواعد المتعلقة بالحرارة والنور والكهربائية وهي اصلا من صلب علم الطبيعيات وذلك لايضاح بعض الامور المتعلقة بالكيمياء (٢) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، اصول الكيمياء ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٦٩ ، ص ٥٧ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٩ . ولقد نشرت مجلة الجنان بعض مواضيع من هذا الكتاب مثل : "الكربون" في الجزء الاول (١٨٧٠) ص ٧٧ - ٧٩ و ١١٢ - ١١٤ و ١٤٠ - ١٤١ و ١٧٤ - ١٧٥ و ٢٠٨ - ٢١١ .
والزيت الامركاني ج ١ (١٨٧٠) ص ٢٣٧ . و "البتروليوم اى الكاز" ، ج ١ (١٨٧٠) ص ٤٦٨ - ٤٧٠ .

ولا شك ان هذا الكتاب كان مرجعا في الكيمياء ، الامر الذى جعل المقتطف يحيل احد الاسئلة الواردة اليه عن حل الاسماء الاصطلاحية مثل كلوريد وكربونات الى هذا الكتاب حيث يقول : " تجدون تفسير ذلك في كتب الكيمياء انظروا مثلا مبادئ الكيمياء للدكتور فان ديك " (١) .

(١) المقتطف ، ج ١٣ (تشرين الثاني ١٨٨٨) ص ١٤٣ .

٦ - الرازي ، ابوبكر محمد بن زكريا ، كتاب في الجدري والحصبة ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٢ ، ١١٢ ص .

حقق الدكتور فان ديك هذه الرسالة عن " نسخة خط في المكتبة الدوكية في المدينة البندقية " (١) وقارنها على بعض النسخ المطبوعة في اوربا ، وبعد الانتهاء من تحقيق الرسالة اضاف اليها شرحا مفصلا لمرض الجدري . ويقول في المقدمة التي وضعها للكتاب : " ان الشيخ الرازي هو اول من الف كتابا في الجدري والحصبة وكانت طريقة علاجه فيهما استعمال المبردات ووضع العليل في محل مهوى ووقايته باغطية خفيفة لاجل تخفيف الحمى . ثم ترك الاطباء بعد هذه الطريقة واعتمدوا على الادوية الحامية وتثقيب الاغطية بقصد زيادة النفاط زاعمين ان النفاط انما هو فعل الطبيعة لاجل طرح المرض وبهذه الطريقة مات الاكثرون . ثم في هذا القرن عاد الاطباء الماهرون الى طريقة الرازي في علاج هذين المرضين . ولما كانت هذه الرسالة قليلة الوجود استحسنت عمدة الادارة للمدرسة السورية الكلية طبعها حفظا لها من الدثور وامرت باضافة بعض الشروح اليها اصلاحا للخطأ وايضا لما قد يشكل على القراء " (٢) . ثم نقل سيرة الشيخ ابوبكر محمد بن زكريا الرازي عن كتاب تاريخ مختصر الدول لابي الفرج (٣) .

-
- (١) الرازي ، ابوبكر محمد بن زكريا ، كتاب في الجدري والحصبة (تحقيق الدكتور فان ديك) ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٢ ، ص ٢ .
- (٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .
- (٣) طبع كتاب تاريخ مختصر الدول في الكسford عام ١٦٦٣ . انظر سرقيس ، معجم المطبوعات عامود ٣٤٠ .

وكان في تحقيقه يشرح الالفاظ غير المستعملة ويذكر نبذة عن الاشخاص الذين ترد اسماءهم والكتب اليونانية مع ذكر الذين ترجموها الى العربية بالاضافة الى تعليقات من عنده حول الاراء الطبية الواردة في متن الرسالة . مثالا على ذلك ذكر في الهامش عندما ورد " ان جالينوس وصف في المقالة الثانية في قاطاجانس " (١) قوله : " اى كتابه في طبيعة العلاجات ترجمه الى العربية حبيش ابن الحسن الملقب الاسم تلميذ حنين بن اسحق في عصر المتوكل نحو اواخر القرن الثالث " (٢) . وعلق على قول الرازي ان الصبيان والغلمان والفتيان يجب ان يفصدا قائلا : " قد اجمعت اراء الاطباء في هذه الايام على منع الفصد في الجدرى الا نادرا " (٣) . وعند ورود لفظة الطباشير ذكر في الحاشية : " قال ابن سينا هو اصول القنا المحرقة . وقال ابن البيطار هو شي " يوجد في جوف القنا العتيق واجوده ما كان عند العقد . وقيل بل حرقه القنا ومادته . اقول [فان ديك] هو حامض سليسيك مع كلس قليل وبعض المواد النباتية يفرز عند عقد القنا الهندي " (٤) .

وفي المقالة التي اضافها الى هذه الرسالة كتب نبذة تاريخية عن مرض الجدرى بانه لم يعرف عند القدماء وقال ان المؤرخ اليوناني بروكوبيوس ذكر " في تاريخه حروب قبائل الغوثين ان هذه العلة الجدرى ظهرت اولا في سنة ٥٤٤ ب.م . في مدينة بيلوسيوم في بلاد مصر ، وهي مدينة قديمة شهيرة خرائبها باقية بجوار دمياط ، ومن هناك حملت الى القسطنطينية في سنة ٥٦٩ ب.م . وفي هذه السنة نفسها جاء ابرهة الاشرم الحبشي صاحب الفيل لمحاصرة مكة فثار بين اجناده مرض معد الزمه ان

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٩ .
 - (٢) المصدر ذاته ، ص ٩ .
 - (٣) المصدر ذاته ، ص ٢٢ .
 - (٤) المصدر ذاته ، ص ٢٩ .

يترك الحصار • ومن بعض الكتب التي وجدها السائح بروس في بلاد الحبش بيان من صفات هذا المرض انه كان جدريا ، ومن ثم كثر في الشرق • (١) • ثم انتقل الى وصف درجات الجدري الاربع : الاولى - درجة المحاضنة ، والثانية - درجة الهجوم وهي درجة الحمى الاولى ، والثالثة - درجة النفاط ، والرابعة الدرجة الصديدية وهي درجة الحمى الثانية ، وتتدرج بعدئذ الى ذكر انواع الجدري الثلاثة : الجدري الطبيعي والجدري بعد التلقيح والجدري بعد التطعيم المعروف بالجدري البقرى ويسمى الحماق بفتح الحاء اوضحها ، شارحا اعراض كل منها والعلاج الواجب وصفه بعد تشخيص نوع الجدري •

(١) المصدر ذاته ، ص ٧٦ •

٧ — كتاب في اللوغارزيمات اى الانساب ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٣ ،
٣٥٢ ص يضاف اليها ١٥٦ ص جداول .

هو كتاب في اللوغارزيمات اى الانساب وفي مساحة المثلثات المستوية ومساحة
السطوح والاجسام ومساحة الاراضي وسلك الابحر وعبارات لمساحة المثلثات الكروية
بواسطة الانساب .

يبدأ بتعريف المصطلحات اولا ويتدرج الى كيفية استخدام جداول الانساب
ثم ينتقل الى حساب المثلثات اى " التريغونومتريا " فيقول ان مداره " هو النسبة
الكائنة بين اضلاع مثلثات وزواياها . وليس قسم من العلوم التعليمية اكثر اعتبارا منها
لانه على قواعد يسلك النوتي في الابحر العظام ، وعلماء الجغرافيا يعينون مواقع
الاماكن المختلفة على سطح الارض ، وعلماء الهيئة يقيسون ابعاد الاجرام السموية
ومقاديرها وحركاتها فيخبرون سلفا بحدوث كسوف الشمس وخسوف القمر وما يشبه
ذلك " (١) .

وهنا يستعمل الدكتور فان ديك الالفاظ التي كان قد استعملها في كتابه
الروضة الزهرية في الاصول الجبرية و الاصول الهندسية باعتبار ان علم المثلثات
يعتمد كثيرا على الجبر والهندسة واستعمل ايضا الالفاظ العربية التي استعملت
قديمًا في هذا العلم كالجيب ونظير الجيب ، والمماس ونظير المماس ، والقاطع ونظير
القاطع .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، كتاب اللوغارزيمات اى الانساب ، بيروت ، مطبعة
الاميركان ، ١٨٧٣ ، ص ٤٥ .

ويتبع ايضا الطريقة نفسها التي اتبعها في كتابي الجبر والهندسة ان يشرح النظرية ويضرب عليها الشواهد والامثلة ثم يعطي اعمالا عليها كقروض لتبرهن مدى فهم الطالب للنظرية ، وجميع هذه النظريات وبعض الاعمال موضحة بالاشكال والرسوم . وكل ذلك بعبارات بسيطة واضحة ولعل هذه البساطة والوضوح في التعبير عن الامور العلمية جعلت احد مشايخ الازهر يذكر لابنة الدكتور فان ديك بان والدها علمه ، من خلال مؤلفاته ، انه بالامكان كتابة (المواضيع العلمية) بلغة عربية صحيحة القواعد والاصطلاحات وباسلوب بسيط وواضح بحيث يتمكن الجميع من فهمها (١) .

٨ - اصول علم الهيئة ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٤ ، ٢٨٨ ص .

يقول الدكتور فان ديك في مقدمة كتابه اصول علم الهيئة ان "الاسترونومية لفظة يونانية معناها قوانين النجوم ، والعرب يعبرون عنها بعلم الهيئة ، وهو علم موضوعه الاجرام السماوية والارض ، باعتبار كونها من جملة تلك الاجرام بالنسبة الى سائرها . وقد انقسم الى وصفي وطبيعي وعملي . اما الوصفي فهو ذكر ما يحدث في الاجرام المشار اليها من حركات وروى وغيرها مفردة ومجملة . واما الطبيعي فهو ما يبحث به عن علل تلك الحوادث وقواعدها . واما العملي فهو ما يبحث به عن كيفية التوصل الى معرفة القسمين الاولين بالالات والحسابات" (١) وذكر انه في كتابه هذا قد تكلم "اولا في الارض ونسبتها الى ما سواها من الاجرام السماوية ، وثانيا في النظام الشمسي ، وثالثا في النجوم والثوابت" (٢) . ونبه الطالب الى انه "في شرح قواعد هذا العلم لا يمكن برهان كل قضية حالا عند ذكرها كما في الهندسة ، فليتزم المبتدئ ان يأخذ بعض الاشياء بالتسليم ثم بعد تقدمه قليلا يقف على براهينها" (٣) .

يتبع الدكتور فان ديك في هذا الكتاب الطريقة التي كان قد اتبعها في كتبه العلمية الا وهي تعريف ، او تحديد على حد قوله ، المصطلحات التي سترد في متن الكتاب كي يسهل على الطالب مشكلة التباس المعاني ، كما انه يكثر من ايراد الرسوم والاشكال الموضحة للاجرام التي يتحدث عنها مع ذكر نبذة عن تاريخ اكتشاف كل منها .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، اصول علم الهيئة ، بيروت ، مطبعة الاميركان ،

١٨٧٤ ، ص ١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢ .

وهنا ايضا يستعمل الالفاظ العربية للاجرام التي عرفها العرب كعطارد وسهيل والمشتري وزحل والدب الاكبر والدب الاصغر والزهرة والمريخ ، بينما يعرب الاسماء التي اكتشفت اخيرا ولم يعرفها العرب قبلا مثل اورانوس المكتشف عام ١٧٨١^(١) ونبتون المكتشف عام ١٨٤٣^(٢) وفلكان المكتشف عام ١٨٥٩^(٣) وجميع النجيمات الشبيهات بالمسيارات^(٤) ، بالاضافة الى تعريب الآلات المستعملة وقتئذ في الرصد كالسبكروسكوب . ووضع بعض الكلمات كقوله "الدوائر المتسامية" ولعله خشي ان يساء فهمه فاضاف اليها "وهي العارة بسمت الراس"^(٥) ، وكقوله "والقمر يستهل ويبندر وينمحق"^(٦) .

واثناء حديثه عن معادلة سرعة القمر الضرورية لتقويم مواقع القمر يذكر ان هذه المعادلة تنسب الى العالم الدانيماركي تيخوبراهي الذي عاش في القرن السادس عشر كما تنسب ايضا الى ابي الوفاء محمد بن يحيى بن اسمعيل بن العباس البوزجاني الحاسب المشهور الذي عاش في العراق في القرن التاسع^(٧) ، وهي المعادلة الاولى التي علل عنها نيوتن مبدأ الجاذبية^(٨) .

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | المصدر ذاته ، ص ١٩٨ . |
| (٢) | المصدر ذاته ، ص ٢٠٠ - ٢٠٢ . |
| (٣) | المصدر ذاته ، ص ١٦٧ - ١٦٨ . |
| (٤) | المصدر ذاته ، ص ١٨١ - ١٨٤ . |
| (٥) | المصدر ذاته ، ص ٦ . |
| (٦) | المصدر ذاته ، ص ١١٨ . |
| (٧) | ابن خلكان ، <u>وفيات الاعيان</u> ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٤٨ ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ - ١٥٤ . |
| (٨) | <u>اصول علم الهيئة</u> ، ص ١٣٧ . |

٩ - كتاب اصول التشخيص الطبيعى ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٤ ، ص ١٢٨ .

كتاب في الطب ، طبع على نفقة الكلية السورية الانجيلية اثنا تدرى
الدكتور فان ديك فيها ، مخصص لتدرى الطلاب .
يعرف التشخيص الطبيعى بانه " استخدام قواعد الصوت الطبيعى للاكتشاف
عن علة غير منظورة مستترة في جوف من اجواف الجسد والاستعانة على ذلك بالنظر
والجس ايضا " (١) . وكان يتبع اسلوب مقارنة الامور المألوفة لتوضيح المبادئ التى
يريد ان يشرحها فيقول مثلاً : " الاصوات الحاصلة من الطرق على مواد مختلفة تتغير
حسب مرونة تلك المواد . فاذا طرقت على طبل يرن رنة قوية لوجود الهواء المرن في
جوفه ولمرونة كل اقسام الطبل نفسه ، واذا طرقت على برميل فارغ يرن واذا كان
ملاً لا يرن . . . فعلى هذه الكيفية نفسها الاصوات الحاصلة من الطرق على
سطوح اجواف الجسد تختلف حسب اختلاف مرونة جدران الجوف ومرونة ما فيها .
فاذا كان جوف في حالة الصحة رناناً ثم صار اصم عند الطرق عليه يستدل على ان
ما فيه قد خسر مرونته الطبيعى او توسط بينه وبين سطحه مادة غير مرنة مانعة
الرنه . واذا كان قسم اصم في حال الصحة وصار رناناً يستدل على ان مرونته قد
زادت او تكون فيه شيء مرن " (٢) ويذكر ايضا ان هناك طريقة اخرى للاستدلال
على الامراض الداخلية وهى طريقة استماع " السماعه او المسمعه " التى تستعمل
لاستقضاء اصوات الرئتين واصوات القلب " لضرورة حصرها في مساحة ضيقة لاجل
تمييز صوت عن صوت " (٣) . ثم ينتقل الى شرح الطرق الواجب على الطبيب اتباعها
للكشف عن الامراض المختلفة .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، كتاب اصول التشخيص الطبيعى ، بيروت ، مطبعة
الاميركان ، ١٨٧٤ ، ص ١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢٦ .

والجدير بالذكر انه اورد جميع الالفاظ العربية المستعملة لاعضاء الجسم
مما يدل على اطلاعه على كتب الطب العربية ، بالاضافة الى انه اورد بعض
الالفاظ العربية المستعملة لبعض الامراض ، ويظهر انه كان يفضل في بعض الاحيان
تعريب اللفظ الاجنبي على اللفظ العربي ومع ذلك كان يرفق اللفظ العربي باللفظ
المعرب عندما يرد ذلك اللفظ المعرب للمرة الاولى ثم يستغني عنه بعدئذ ، مثال
على ذلك قوله " التهاب البليورا اى داء الجنب " (١) .

(١) المصدر ذاته ، ص

- (١) ١٠ - اصول الباثولوجية الداخلية - اى مبادئ الطب البشرى النظرى والعملى ،
بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٧ ، ١٠٥٥ ص .

ترجم الدكتور فان ديك هذا الكتاب الى العربية اثنا تدرسه مادة
الباثولوجية لطلاب الطب في الكلية السورية الانجيلية . وقد وصفته مجلة الطبيب
التي كان يرأس تحريرها الدكتور جورج بوست بانه كتاب حاو على جميع مبادئ
الباثولوجية (٢) . وقرظه المقتطف بما يلي " كتاب لجنا ب الدكتور كرنيليوس فان ديك ،
اتم تأليفه وطبعه في هذا الاثنا ، وهو كصاحبه خلاصة من بحر الفوائد يتضمن مبادئ
الطب البشرى ، النظرى والعملى ، مع ذكر ما جد من العلاجات والاراء الطبية الى
حين طبعه وقد نشرنا مقالات متعددة منه وهو تحت الطبع " (٣) .

لقد عرب الدكتور فان ديك في هذا الكتاب جميع الالفاظ الاجنبية التي لم
يعرفها العرب . واما فيما يتعلق باحيائه للكلمات العربية فاورد هنا ما قاله الدكتور
يعقوب صروف حول اطلاعه على قانون ابن سينا : " وقع لي [يعقوب صروف] منذ مدة

(١) Roberts , F.T., Theory and Practice of Medicine .

(٢) " اصول الباثولوجية " ، الطبيب (١٨٨١) ص ٥١ . ونشرت مجلة الطبيب
نبذة عن " الهيريميا الملتحمة " مأخوذة من كتاب الدكتور فان ديك
هذا . المصدر ذاته ، ص ٢ - ٤ .

(٣) " اصول الباثولوجية الداخلية " ، المقتطف ، ج ٣ (١٨٧٨) ص ١٣٦ .
والمقالات المذكورة التي نشرت في المقتطف هي " الديدان وعلاجها "
المقتطف ، ج ٢ (١٨٧٧) ص ٢٦٨ - ٢٧٠ ، ج ٣ (١٨٧٨)
ص ١٠ - ١٣ . ثم نشر المقتطف مقالة " الكلب " مأخوذة من كتاب
الباثولوجية . المقتطف ، ج ٤ (١٨٨٠) ص ١٢٣ - ١٢٤ .

كتابان من كتبه [فان ديك] أحدهما كبير ضخم دقيق الحرف - قانون ابن سينا المطبوع في رومية العظمى منذ ٣٢٠ سنة (١) - فحسبت انني وقعت على كنز ثمين وجعلت اقلبه واذا الدكتور فان ديك قد قلبه بل درسه قبلي ، وابقى فيه اثار علمه وتدقيقه بما ترجمه فيه من الكلمات الطبية بما يرادفها في اللاتينية او اليونانية (٢) .

(١) طبع كتاب القانون عام ١٥٩٣ .

(٢) "تمثالا المرحومين الدكتور فاند يك والدكتور ورتبات" ، ص ١٤١ . وذكر الكتاب الثاني اعلاه ص ١٥٢ .

١١ - النشر في الحجر - الجزء الاول - في الطبيعة والعلم ، بيروت ، المطبعة
الادبية ، ١٨٨٦ ، ١٢٨ ص .

وصف الدكتور فان ديك كتابه هذا بانه جزء استفتاحي " حار قضايا عامة ،
معرفتها ضرورية في كل علم ، فيقتضي للطالب ان يدركها ويحفظها قبل الشروع
بدرس العلوم الخاصة على حدتها . وهو كاساس للاجزاء التابعة . واذا ادرك
المطالع ما في هذا الجزء وحفظه تسهلت عليه امور كثيرة ستأتي في الاجزاء
اللاحقة " (١) .

قسم هذا الجزء الى ثلاثة اقسام : ١ - كلام عام في الطبيعة والعلم .
ويتناول : الحواس ، والسبب والمسبب ، والتعليل ، ونواميس الطبيعة ، والشرائع
البشرية . ٢ - الاشياء الهيولية او المادية والاجسام الحية . يتناول : الاجسام
غير الآلية او عديمة الحياة اى المعدنية ، والثقل والوزن ، والقوة الجاذبة ،
والجزم والكثافة ، والحرارة ، والحيوان والنبات . ٣ - الاشياء غير المادية ،
كالظواهر العقلية او الذهنية والبسيخولوجيا .

يحدد الاسلوب العلمي بما يلي : التعقل العلمي له طريقتان الاولى ما
سمي الاستقراء وهو ان توضع قواعد عامة مبنية على ملاحظة افراد شتى ، مثاله
اذا لاحظنا ان حجر المغنطيس يجذب قطعة من الحديد اذا قرب اليها وامتحنا
ذلك في عدة قطع حديد فوجدنا ان كل قطعة حديد ادنيت الى المغنطيس
جذبها ، نضع هذه القاعدة العامة ان المغنطيس يجذب الحديد حيثما وجد .
ونحسب هذه القاعدة عامة وصحيحة مع اننا لم نمتحن الا القليل من كل الحديد

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في الطبيعة والعلم ، بيروت ، المطبعة الادبية ،
١٨٨٦ ، ص ٥ - ٦ .

الموجود في الدنيا . اما الطريقة الثانية للتعقل العلمي فهي قلب الاولى وسميت استنتاجا . مثاله اذا قربت قطعة حديد الى حجر ف جذبها نستنتج ان ذلك الحجر حجر مغناطيس " (١) . واذا ما اتبعت هذه الاساليب على حقيقتها تتوسع بذلك دائرة معرفة الانسان التي بها يوسع دائرة سلطانه على الامور الطبيعية " ولكنه ما دام على جهله الطبيعي تقوى عليه الطبيعة " (٢) .

ووصف المقتطف هذا الكتاب بانه " تأليف رجل قد حوى في صدره اكثر العلم وجارى تقدم المعارف طول زمانه ، وقضى العمر في اختبار طرق الدرس والتدريس ولف من الكتب عديدا وعرف ما يلزم لاعانة المعلم والتسهيل على الطالب " (٣) . ونصح المقتطف ابنا الشرق عموما ان لا تخلو مكتبة لاحدهم من هذا الكتاب النادر المثال ، كما نصح ارباب المدارس " ان يعولوا عليه في مدارسهم اذا راموا تحقيق فوائد غرس مبادئ العلوم المقررة في عقول التلامذة وتربيتهم على البحث عن الامور من وجهها العلمي " (٤) . ونصح ايضا ناظر المعارف المصرية اعتماد المدارس المصرية على هذا الكتاب ، " ولما كان هذا الكتاب قد روعي فيه حال الطلبة ودرجة عقلمهم ومدة تعليمهم طبقا للائحة الجديدة التي نظمها حضرة العالمين الفاهلين سعادة عبد الرحمن باشا رشدي ناظر المعارف المصرية وسعادة يعقوب باشا ارتين وكيله ، فيا حبذا لو ان سعادتهما يجعلان اعتماد المدارس المصرية عليه فانه خير ما يفي بطلبهما " (٥) .

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٢٧ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ١٤ - ١٥ .
(٣) " النقش في الحجر - الجزء الاول " ، المقتطف ، ج ١٠ (١٨٨٦) ص ٦٣٧ .
(٤) المصدر ذاته ، ص ٦٣٧ .
(٥) المصدر ذاته ، ص ٦٣٧ . راجع ايضا تقرير سليم عخوري لهذا الكتاب .
المقتطف ، ج ١٠ (١٨٨٦) ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

١٢ - النقش في الحجر - الجزء الثاني - في علم الكيمياء ، بيروت ، المطبعة
الادبية ، ١٨٨٦ ، ١٤٢ ص .

قدم الدكتور فان ديك هذا الجزء من سلسلة النقش في الحجر* الى الشاب
الذكي البارع عزتلو السيد حسن ابن السيد عبد القادر ابن الحاج عبد الله بيهم .
وذلك ليس لان عملي هذا شي* يذكر في شكر بل اعتبارا لما بذله جنابه من الجهد
والعناء في خدمة المعارف واذاعتها بين الشباب الشرقيين* (١) .
شرح في الفصل الاول الفرق بين المواد البسيطة ، المولفة من عنصر
واحد ، والمواد المركبة ، المولفة من اكثر من عنصر ، وضرب عليها امثلة مألوقة
يسهل على الطالب تنفيذ جميع التجارب التي اوردها . كما شرح كيمياء الهواء والماء
والتراب واللهيب وتدرج من ذلك الى البحث عن اشهر العناصر التي قسمها : الى
معدنية : كالحديد والالومنيوم والكلسيوم والتوتيا والزنك والقصدير والتلك والرصاص
والزئبق والفضة والذهب ، وغير المعدنية : كالكسجين والهيدروجين والنيروجين
والكربون والكبريت والفسفور والسليكون ، مضيغا الى ذلك طرق استحضارها ، وقواعد
التركيب الكيماوية العامة . وقد كتب بلغة بسيطة خالية من التعقيد .
وناشد المقتطف معلمي المدارس اعتماد هذا الجزء* اذاعة لمنافعه في
البلاذ وترغيبا لتلاميذهم في العلوم الطبيعية وتعليمهم ما لم يبق لهم غنى عنه في
هذا الزمان* (٢) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في علم الكيمياء ، بيروت ، المطبعة الادبية ،

١٨٨٦ ، ص ٤ .

(٢) "الجزء الثاني من النقش في الحجر" ، المقتطف ، ج ١١ (١٨٨٦) ص ٦٢ .

١٢ - النقش في الحجر - الجزء الثالث - في الطبيعيات ، بيروت ، المطبعة
الادبية ، ١٨٨٦ ، ١٣٦ ص .

كتاب حسن التأليف سوا كان في بساطة تعبيره او وضوح معانيه ، يتضمن
شرح عمليات مألوفة وايراد رسوم كثيرة رغبة في زيادة الايضاح وتتميم الفائدة .
يحدد عمل عالم الطبيعيات بانه يبحث عن حال الاجسام فيما يتعلق بحركتها
وسكونها " فلا يهمه كون الماء وسائر المواد والاجسام مركبة او بسيطة بل انما
يبحث عن احوالها وفعالها وخصائصها من حيثية كونها ساكنة او متحركة " (١)
ويضرب مثلاً على ذلك كون القنبلة الساكنة لا تؤذى بينما اذا اطلقتها من مدفع
" تكتسب سرعة عظيمة تهدم وتخرّب ما تصيبه . . . مع ان مادتها في الحالتين هي
هي لم تتغير بل تغيرت حالتها فقط " (٢) ، وتغير حالات المواد هو عمل الطبيعي .
يعالج هذا الجزء : فعل الجاذبية ، واحوال الهيليوم الثلاثة بين جامد
وسائل وغازي مع ذكر خصائصها ، والاجسام المتحركة ، والاجسام المرتجة ، والحرارة ،
والنور ، والمواد الكهربائية ، ويتخلل ذلك شرح كيفية استعمال الادوات الضرورية
لاجراء التجارب اللازمة كالبارومتر والترمومتر وغيرهما .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في الطبيعيات ، بيروت ، المطبعة الادبية ،
١٨٨٦ ، ص ٣ .

(٢) المصدر ذاته .

١٤ - النقش في الحجر - الجزء الرابع - في الجغرافية الطبيعية ، بيروت ،
المطبعة الادبية ، ١٨٨٢ ، ١٠٢ ص .

دعا الدكتور فان ديك ، في مقدمة هذا الجزء ، الطلاب الى الاستقصاء عن الطريقة التي يسلكها سبحانه وتعالى في اعماله الكلية والجزئية ، و اضاف انه " من عادة الناس في التعليل عن امور الطبيعة ان يتصوروا تصورات عقلية وتخيلية ثم يستخدمون تلك التصورات للتعليل عن الامور الطبيعية مثل تصور بعضهم وقوف الارض على قرن الثور ثم عللوا عن الزلازل بنقل الثور الارض من قرن الى قرن " (١) وقال ايضا من الناس " من يلاحظ ملاحظة غير كاملة ويبني عليها رايًا كمن راي الذباب يخرج من مزلة فحكم ان الذباب يتكون من الزيل وكلتا الطريقتين فاسدة تؤدى الى الخطأ ولا تؤدى الى الصواب " (٢) ثم يدل الطالب على الطريقة الواجب اتباعها الا وهي ان يلاحظ " ما يحدث ملاحظة تامة مدققة ، ومن الملاحظات الصحيحة ، والامتحانات المدققة ، والتعقل الصحيح ، يستدل على الحقيقة " (٣) .

والكتاب يحتوى على خلاصة ما يجب ان يعرف من الجغرافيا الطبيعية : عن هيئة الارض وايامها وفصولها ، والهوا المحيط بالكرة الارضية وحرارته ورياحه ، وبخار الجو وما يتكون منه من الندى والضباب والسحاب ، والمياه الجارية والراكدة على سطح الارض وتحت سطحها كالينابيع والجداول والانهار والبحيرات والبحار .

" والذي يتصفح هذا الجزء يجد فيه من الحقائق والاحكام الكلية والقواعد المقررة ما لا يصدق ان مؤلفا صغيرا مثله يحتويه " (٤) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في الجغرافية الطبيعية ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٢ ، ص ٥ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٦ .

(٤) " الجزء الرابع من النقش في الحجر " ، المقتطف ، ج ١١ (١٨٨٦) ص ٦٤٠ .

١٥ - النقش في الحجر - الجزء الخامس - الجيولوجية اى طبقات الصخور ،
المطبعة الادبية ، ١٨٨٢ ، ١٢٣ ص .

قدم الدكتور فان ديك هذا الجزء " الى حضرة الشيخ الجليل العالم
الحرير صاحب السماحة محمود افندي حمزه مفتي الانام في دمشق الشام مقدمة
الاحترام لشخصه والمقام " . (١) وقد افرد هذا الجزء لعلم الجيولوجية .
و " الجيولوجية لفظة مؤلفة من كلمتين يونانيتين معناهما الكلام عن الارض وهي حسب
معناها اللغوى دالة على كل ما يستطاع معرفته من جهة الادوار الغابرة ولم تزل
تتوالى عليها في عصرنا . واما في الاصطلاح فقد انحصر معناها في ما يتعلق بالطبقات
الحجرية او الصخرية التي تألفت الارض منها " . (٢) ولم يطبع قبله في اللغة العربية
كتاب في هذا العلم . وهو على غاية الوضوح في التمثيل والبساطة في التعبير وقد
ضمنه موجز زبدة هذا العلم فوضح سبب تقسيم الصخور الى مائية ونارية وابان
كيفية تحول المائية الى رسوبية والية وكيفية تكون النارية من متبلورة وحطامية . ثم
انتقل الى الكلام عن قشرة الارض وما في جوفها والى كل ما يطرأ عليها من ارتفاع
وانخفاض وما يتبعه من تكوين الجبال والودى موضحا ذلك بامثال وشواهد قارنا
اياها بالاشكال والشواهد لجلال المعنى . وختم الكتاب في بيان اوجه الشبه بين
طبقات الصخور في قشرة الارض والتاريخ البشرى في الاخبار والاثار والنقوش . فيقول :
اذا قصد مؤرخ ان يكتب تاريخ قوم بشرع في اول الامر بجمع كل ما يستطيع ان يكشفه
من اخبارهم فيراجع المكاتب ويتصفح الاخبار ويقلب دفاتر الدول واوراقها ويجول في

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، الجيولوجية اى طبقات الصخور ، المطبعة الادبية ،
١٨٨٢ ، ص ٢ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٤ .

البلاد من موضع الى اخر يفتش على الاثار ويقايا ونقوش وابنية وكتابات لعله يهتدى الى امر من امور القوم الذي شرع بتاريخهم ١٠٠٠٠ ان للارض نفسها تاريخا كما ان للشعوب الذين عاشوا عليها تاريخا . وشأن الجيولوجي كشأن المؤرخ بل هو مؤرخ الارض ؛ اصلها والتقلبات والتغيرات التي اعترتها واسبابها وتعلق بعضها ببعض ونتائجها وعواقبها . (١) .

(١) المصدر ذاته ، ص ١١٦ — ١١٧ .

١٦ - النقش في الحجر - الجزء السادس - في علم الهيئة ، بيروت ، المطبعة
الادبية ، ١٨٨٨ ، ١٢٢ ص .

وصف الدكتور فان ديك كتابه هذا بأنه " يقرب الاقصى بلفظ موجز " (١)
وقدمه " الى حضرات الاجلاء عمدة مدرسة كفتين من اهالي طرابلس الفياح " ،
شكرا على ما بذلوه من الجهد في تسهيل وسائل المعارف لابناء الوطن " (٢) .
ويحتوى على زبدة علم الفلك مفصلة في عشرين فصلا ومرتبة في مئة واثنين وعشرين
بندا . يتناول الكلام عن حركتي الارض اليومية والسنوية وما ينتج عنهما من ليل
ونهار وفصول السنة الاربعة ، وعن القمر وحركاته والخسوف والكسوف ، وعن
السيارات التي تدور حول الشمس وذوات الانساب والشمس والنجوم الثابتة .
وينصح الطالب " ان يدقق النظر في كل قضية على حدتها ولا ينتقل من موضوع الى
آخر حتى يدرك الاول جيدا غير انه يلتزم باخذ بعض الامور بالتسليم في اول الامر
لانها لا تتوضح في ابتداء الحال حتى بعد ايضاح غيرها " (٣) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في علم الهيئة ، بيروت ، المطبعة الادبية ،
١٨٨٨ ، ص ١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٣ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٦ .

١٢ - النقش في الحجر - الجزء السابع - في علم النبات - بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٨ ، ١٣٢ ص .

كتاب غاية في بساطة التعبير موضح بالصور والرسم جامع لاشهر الحقائق

عن النبات واقوال عامة في الفرق بين الحيوان والنبات . يقسم النبات الى سنوي وحولي ومعمّر ، والاقاليم التي ينبت ويعيش فيها ، وما يلزم لنموه من الهواء والحرارة والنور والتراب . كما يقسمه الى ذى زهر وعديم الزهر . وخصص فصلا للنبات العريان البزير مثل السرو والصنوبر والارز واشباهها من ذوات الكوز . وختم الكتاب بفصل ضمنه بعض الاشكال الموضحة لوظائف اعضاء النبات .

ولقد ذكر الدكتور فان ديك ان معرفة اسماء النبات وانواعه امر حسن

مرغوب فيه ، ولكن ليس كل شيء ، كما ان معرفة جميع اسماء الافراد في البلاد لا تعني انها تجعل صاحبها معلما في تشرح الجسد الانساني ، وان معرفة عنوان كل كتاب في مكتبة عامة لا تعني ان صاحبها اصبح خبيرا بما حوته تلك الاسفار (١) وقال : " ان معرفة اسماء النجوم ليست هي علم الهيئة ، ومعرفة اسماء الحيوان ليست هي علم الزولوجية ومعرفة اسماء النباتات ليست هي علم البوتانية ، فلا تزعم ان مجرد معرفة الفاظ ، علم . اذا عرفت للجمل خمس مئة اسم فما هو الا جمل ، ما زاد ولا نقص ، ولا دخل عقلك بتلك الاسماء الكثيرة فكر جديد مطلقا . ازل اذا من عقلك في اول الامر هذا الوهم الشنيع " . (٢)

وقدم هذا الجزء من سلسلة النقش في الحجر الى ادارة جريدة المقتطف

الاغرو وهو الجريدة الاولى العلمية التي انشئت في العصر الحديث وان كثرت بعده الجرائد العلمية ، فهو بسبق حائز تفضيلا ، لان الفضل للمقدم (٣) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في علم النبات ، بيروت ، المطبعة الادبية ،

١٨٨٨ ، ص ٤ - ٥ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢ .

١٨ - النقش في الحجر - الجزء الثامن - في علم المنطق ، بيروت ، المطبعة
الادبية ، ١٨٨٩ ، ص ١١٢ .

يستشهد الدكتور فان ديك في مقدمة هذا الجزء بتعريف الجرجاني للمنطق
كما يذكر القول التالي للغزالي ، " لو قال قائل : اربعة اكثر من عشرة ، وانا
ابرهن ذلك باحالة هذه العصاة حية ثم فعل وتحولت العصاة حية . لكنت
اندهش من حيلة العامل ولكني كنت ابقى على يقيني بان اربعة اقل من عشرة " (١) .
ثم يذكر ان المسبق في العصر الحديث والعصور المقبلة هو " للعقل لا لضخامة
الجسد " (٢) .

يحدد غرض علم المنطق بانه لارشاد " قوى العقل في البحث عن الحق
واظهاره للآخرين ، وموضوعاته كيفية زيادة كل انواع المعرفة من مجرد تصور
اوضح الامور الخارجية الى اكتساب اعلى الحقائق واقصى النظريات بطريقة البرهان
والقياس " (٣) ويرد على الذين يخشون " من التضلع في هذا العلم وهما بناء على
انه يحرر العقل من الاضاليل والخرافات حتى قال المستمسكون بها من تمنطق فقد
تزندق ، اما العاقل فيجيب قائلا اذا كانت الزندقة خلو العقل من الاوهام فحيذا
تلك الزندقة " (٤) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في علم المنطق ، بيروت ، المطبعة الادبية ،

١٨٨٩ ، ص ٤ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٥ - ٦ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٥ .

يتضمن هذا الكتاب المواضيع التالية : في التصور والفكر ، والفكر الاستدلالي
او الاستنتاجي ، واحكام الطرفين ، والتعريف والمعرف والمعرف ، والقضية واحكامها
وتناقضها ، والبينه البديهية ، والتمييز بين القياس الادبي والقياس البياني ،
والاستقراء ، واجراء القياس واحكامه ، والسفسطات وهي المغالطات في القياس ،
والنظام ، والحرص والتجريد والائتلاف . وقد ذكر ان ائتلاف الافكار يتألف من اربعة
اصول : " الاول - المشابهة . مثالها ان هيئة شخص او صوته او حركاته تذكرنا
بآخر ، ومنظر يذكركنا بمنظر آخر ، وحادثة او قول يذكركنا باخر لسبب المشابهة او
المناسبة التي نراها بينهما " .

" الثاني - المضادة او المخالفة . فان الم الجوع يذكرنا بلذة الطعام
والبرد يذكرنا بالحرارة والظلام بالنور والجور بالعدل والبخل بالكرم وهلم جرا .
" الثالث - المقارنة في الوقت او المكان . فان ذكر حادثة قد اصابتنا في
وقت ما تذكرنا بظروفها وزمانها ورفاقنا فيها وحاسياتنا عند وقوعها مسرة كانت او
محزنة ، وزيارة محل قد زرناء قبل ، تفكرنا بظروف الزيارة الاخرى .
" الرابع - العلاقة بين العلة والمعلول او بين المقدمة ونتيجتها . فان
النظر الى الجرح يذكرنا بالجراحة والنظر الى مصاب يذكرنا بالمصيبة وكل فكر من
هذه الافكار مؤلف افكارا اخر كثيرة فيكون الفكر الواحد سببا لافكار كثيرة مختلفة ،
وبين الائتلاف والذكر تعلق لازم لانه لو ما كان الفكر الواحد يحدث افكارا لما كان
ممكنا ترجيح فكر بعد ذهابه " (١) .

(١) المصدر ذاته ، ص ١١٢ . ولقد انتهى الشيخ ابراهيم الحوراني مقالته
الموسومة بـ " خزانة الشاعر " بملخص لتعريف الائتلاف نقلا عن فان ديك .
الحوراني ، ابراهيم ، " خزانة الشاعر " ، النشرة الاسبوعية ، العدد
٢٤٧٤ (حزيران ١٩١٣) ص ٢٠٣ .

وذكر المقتطف ان البعض قد يظن ان اللغة العربية " في غنى عن المؤلفات الحديثة في علم المنطق لان مؤلفات العرب في هذا العلم كثيرة بين مختصر ومطول . ولكن من درس كتب المنطق العربية ودرسها لغيره ثم اطلع على الكتب الافرنجية البسيطة الموضوعة لصغار الطلبة رأى بين هذه وتلك فرقا بينا في سهولة العبارة وقرب المأخذ ولذلك تحرى استاذنا الفاضل فان ديك وضع كتاب صغير في فن المنطق " (١) .

(١) " النقش في الحجر - الجزء الثامن - في المنطق " ، المقتطف ، ج ١٣ ،
(١٨٨٩) ص ٨٤٤ .

١٩ - كتاب اروا' الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، بيروت ، مطبعة الاميركان ،

١٨٩٣ ، ٢٣٩ ص .

قال الدكتور فان ديك فيما يتعلق بالكتب التي استعان بها في تأليف كتاب

اروا' الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، " انني استعنت في هذا المؤلف بكتاب دائرة

اشباح سماوية للادميرال سميث وكتاب اشباح سماوية للنظارات الاعتيادية للنفس

وب وكتاب تخطيط السماء لاليهوبرت ، وهو حداد اميركاني ، وكتاب اسما' النجوم

للاستاذ ايدلر في اللغة الجرمانية وكتاب القمر لادموند نيمس وخرائط القمر

للورمان وخرائط القمر الكبيرة للاستاذ شميدت ، مدير مرصد اثينا سابقا ، وكتاب

قائمة النجوم المزدوجة لكلد هيل وقائمة السدام لسريوحنا هرشل وكتاب جدول

مواقع الكواكب الثوابت لالغ بيك وبعض الاجزاء من عبد الرحمن الصدي وكتاب القزويني

في الصور واسما' الكواكب وغير ذلك من المؤلفات القديمة " (١) . ويذكر ايضا انه

اعتمد فيما يتعلق بقائمة الاجرام السماوية الثابتة على قائمة الجمعية البريطانية

المتضمنة ٨٣٧٧ نجما والمحولة الى سنة ١٨٥٠ ، والى قائمة مرصد واشنطن

المتضمنة ١٠٦٥٨ نجما محولة الى سنة ١٨٦٠ وقوائم بعض المراصد الاخرى (٢) .

وكان يورد بعد وصفه لكل كوكب ما ورد عنه في الاساطير الامر الذي دعا الدكتور

يعقوب صروفان يقول عن الكتاب " فجا' جامعا بين الحقائق العلمية والاخبار

الفلكية " (٣) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، كتاب اروا' الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ،

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٩٣ ، ص ١٤ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٢ .

(٣) " الدكتور كرنيليوس فان ديك " ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ١ .

وضع ديباجة في اول الكتاب ذكر فيها نبذة تاريخية عن احيا العلوم الرياضية عند العرب حين شرع الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور — ٧٥٣ — ٧٧٤م — " باستخدام علماء مترجمين ترجموا كتباً يونانية وسريانية وهندية الى العربية واقتدى به خلفاؤه ولا سيما هرون الرشيد وابنه المأمون ومن ثم اخذ علم الهيئة يتقدم بين المسلمين وسائر الطوائف الشرقية " (١) . ويعدد العلماء الذين اشتهروا بين العرب بعلم الفلك مبتدئاً ببني موسى بن شاكر الثلاثة محمد واحمد والحسين (٢) ، وابو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني الحاسب النجم الذي اثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة ٢٩٩ هـ (٣) ، وابو الحسن ثابت بن قرة الذي انكر عليه بعض اهل مذهبه اشياء في المذهب فرافعوه الى رئيسهم فانكر عليه مقالته ومنعه من دخول الهيكل (٤) وهنا علق الدكتور فان ديك بما يلي : " قلت لما ادى رصده وعلمه وتحقيقاته الى مخالفة بعض اقوال رؤساء مذهبه اضطهدوه كما اضطهد بعد حين الباباويون جليليو الفيلسوف الايطالياني لاتباعه ما علمه به اعمال الباري تعالى خلافا لبعض احكام الكهان والاحبار " (٥) ، وايو الوفاء محمد بن يحيى بن اسمعيل بن العباس البوزجاني الحاسب المشهور (٦) " وهو اول من استخدم المماسات والقواطع ونظائرها في

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٣ .
 (٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٨٤٨ ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٩ .
 (٣) المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ — ٢٥٢ .
 (٤) المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٢٧٨ — ٢٨٠ .
 (٥) كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، ص ٧ .
 (٦) ابن خلكان ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

قياس المثلثات والزوايا وقيل انه كشف احدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر
سميت معادلة السرعة وصنع زيجا سماه الشامل^(١) ، وابوالحسن علي بن عبد
الرحمن بن يونس بن عبد الاعلى الصدفى المصرى المنجم المشهور توفي عام ١٠٠٩م^(٢) ،
ونصير الدين محمد بن حسن الطوسي^(٣) (١٢٠١ - ١٢٧٤م) ومؤيد الارضى صانع الكرة
العربية المحفوظة في متحف درسدن في المانيا^(٤) ، وعبد الرحمن بن عمر بن محمد
بن سهل ابو الحسين الصوفى الرازى^(٥) توفي عام ٩٨٦م ، وعاد الدين ابو يحيى
زكريا محمود الانصارى القزوينى صاحب كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات^(٦)
(١٢٠٤ - ١٢٨٣م) ، ومحمد بن محمد بن ابي بكر التيزينى نسبة الى تيزين موقت
الجامع الاموى حوالى سنة ١٥٣٣م^(٧) .

-
- (١) كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، ص ٧-٨ .
 - (٢) ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٧ .
 - (٣) ابن شاكرا الكتبي ، ج ٢ ، ص ١٤٩ - ١٥٢ .
 - (٤) كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، ص ٩ .
 - (٥) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، القاهرة ، ادارة الطباعة المنيرة ،
١٣٥٣ هـ ، ج ٧ ، ص ١٢١ ، حوادث سنة ٢٧٦ .
 - (٦) سرکيس ، معجم المطبوعات ، عامود ١٥٠٨ .
 - (٧) كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، ص ١١ .

وبعد الانتهاء من سرد هذه المعلومات عن علماء الفلك عند العرب قال الدكتور فان ديك " هذا قليل من كثير ممكن ذكره مما يدل على فضل الشرقيين في تلك القرون الغابرة واجتهادهم في ترقية المعارف بينما كان اهل اوربا في مشاجرات ومنازعات فارغة وجهل معمي وهو يرقع على العقل البشري الموهوب للانسان من قبل الحق سبحانه وتعالى لكي يرفعه بين المخلوقات لا لكي يضعه الى درجة الحيوان الاعجم " (١) . وينصح الشبان الشرقيين ان يبنوا " لانفسهم مراد لرصد الحوادث والظواهر الطبيعية ودرس مواقع الافلاك لذة لانفسهم وافادة لاصحابهم ونفعا لجيلهم فضلا عن اللذة الدائمة الشريفة التي كانوا يلتذون بها من قبل التأمل بغرائب الكون ومحاسنها . واين ذلك من الانكباب على الكول والنرد والشطرنج واكل الطعام وشرب المدام ونطييط الرقص - الامور المعمية للعقول المضعفة للجسام المفسدة للاخلاق " (٢) .

وهناك اشارة الى ان الدكتور فان ديك الف ثلاثة كتب لم تطبع :

- ١ - كتاب طب العين ٢٠ - كتاب الباثولوجية المرضية ٣٠ - كتاب الباثولوجية العامة (٣) . ويذكر الاستاذ جورج سارتون (G. Sarton) رئيس تحرير مجلة ايزيس (Isis) ان السيد بيارد دودج ، رئيس الجامعة الاميركية في بيروت (١٩٢٢ - ١٩٤٨) ، قد اعلمه ان هناك مؤلفات علمية للدكتور فان ديك لا تزال مخطوطة (٤) .

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ١١ .
 - (٢) المصدر ذاته ، ص ١٢ .
 - (٣) بارودي ، حياة كرنيليوس فان ديك ، ص ٢٧٦ .
 - (٤) . Sa'di , P. 37 . هذه المخطوطات غير موجودة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ولا في مكتبة كلية اللاهوت في بيروت ، ولا في الارشالية الاميركية في بيروت .

٢ - مقالاته العلمية وخطبه

أ - المقالات العلمية

١ - ان اول مقالة علمية كتبها الدكتور فان ديك بعد وصوله الى بيروت هي تلك المقالة التي ارسلها الى مجلة الجمعية الاميركية الشرقية حول وضع مهنة الطب في سورية (١) . ذكر في مقدمتها نبذة تاريخية عن الطب عند العرب واستشهد بخمسة اطباء - ابو هشام بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي ، وابو عبد الله جعفر الصادق بن محمد البكر بن علي زين العابدين بن علي بن ابي طالب ، وابو زيد حنين بن اسحق العبادي ، وابو يعقوب اسحق بن حنين بن اسحق العبادي ، وابو الحسن ثابت بن قرة بن زهير الحراني ، والرئيس ابو علي حسين بن عبد الله ابن سينا - معتمدا على كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ، ذاكرا ان فضل العرب يعود لكونهم حافظوا على التراث العلمي وليس لكونهم مولدين . ويذكر انه لم يجد اية مخطوطة لمؤلفات ابن سينا وبان نسخ كتابه القانون المطبوع في رومية نادرة جدا وباهظة الثمن (٢) ولكن كتاب داود الانطاكي (توفي ١٠٠٨ م) (٣) شائع الاستعمال في سورية مع انه يعتمد كليا على كتاب القانون لابن سينا ، بالاضافة الى كتابي ابن يحيى الدمشقي ١ - النبات والحيوان والخضار والمعادن . و ٢ - ما يجب الا يجهله الطبيب (٤) . ثم يذكر ان الامير بشير الشهابي الكبير ارسل عددا من الطلاب ليدرسوا في المدارس المصرية ويتمنوا في مستشفياتها

(١) " Medical profession in Syria " , PP. 561 - 591 .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥٦٩ .

(٣) سرقيس ، معجم المطبوعات ، عامود ٤٩٠ - ٤٩٢ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٥٦٩ - ٥٧٠ .

وبان بعض هؤلاء لا يزال يحصل العلم هناك . واما الذين عادوا يحملون شهادة الطب فلم يحققوا الامل المعقودة عليهم باستثناء طبيب يمارس مهنته في بيروت (١) .
ويذكر ان هناك فئة تمارس مهنة الطب باستعمال مختلف الاعشاب ، والعقاقير المولفة من الماء المصبوغ ، والفصد ، والكلي . وان هناك طبيب ذكي ، كان قد رافق الطبيب الفرنسي كلوت بك الى مصر وتعلم الطب هناك ، قد سعى لتأسيس مجلس من اطباء دمشق المعبرين للقضا على هؤلاء الدجالين ، وانه لا يدري اذا ما كان هذا المجلس لا يزال قائما (٢) .

ويحدثنا ان النظرية الطبية الشرقية فيما يتعلق بعلة الامراض تعتبر ان الدم ، والمرارة ، والبلغم ، والسويداء هي اساس جميع الامراض (٣) . وبان الشخص المصاب بـ "الريح" لا يسمح له سوى باكل اللبن والدبس (٤) ، كما ان المصاب بـ "نزل دم" (٥) يمنع من شرب المشروبات الباردة ويسمح له بأكل اللحم غير المملح والجوز واللوز كما انه يعتقد ان الرمان والسفرجل يفيدان في مثل هذه الحالة لدرجة ان بائعي السفرجل ينادون بالاسواق طيب عليك يا سفرجل (٦) اما "الوتاب" فيداوى بطريقة بدائية محضة ، الا وهي محاولة القبض على العرق المسبب لذلك (٧) . ويذكر ان الكاهن يلعب دورا بارزا في وصف العلاجات الطبية (٨) .

(١) المصدر ذاته ، ص ٥٧٠ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥٧٠ . لعله يقصد الدكتور ميخائيل مشاققة .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٥٧٢ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٥٧٥ .

(٥) Inflammatory and febrile affections

(٦) المصدر ذاته ، ص ٥٧٤ .

(٧) المصدر ذاته .

(٨) المصدر ذاته .

٢ - " لذات العلم وفوائده " ، اعمال الجمعية السورية ، بيروت ، مطبعة

الاميركان ، ١٨٥٢ ، ص ٢ - ١٠ .

القي الدكتور كرنيليوس فان ديك هذا الخطاب في " الجمعية السورية " التي تأسست عام ١٨٤٢ في بيروت ، ذكر فيه انه لما كان الانسان " مركبا من جسم هيولي وجوهر عقلي فجعل الخالق سبحانه لكليهما منفعة ولذات خصوصية ، ولما انحصرت النفس في الجسد وارتبطت به جعل الجسد آلة لها وموصلا بينها وبين الانبيا الخارجة " (١) . وان هناك امورا متنوعة تأخذ باهتمام حواس الجسد وقوى النفس ، فمن " وقف على ما يلتذ به الجسد فقط شاب البهائم الغير العقلية التي خلقت منحنية طائعة لشهواتها الحيوانية . ومن جعل جسده وقواه واسطة لمسرة النفس وقواها كان وحده حقيقا بان يدعى انسانا " (٢) . ولكن كثيرون من الذين يجدون في تحصيل العلم يفعلون ذلك لا حبا بالعلم ولذاته بل انما لكونه يعينهم على اكتساب ما يرضي حواسهم الجسدية " ولو كان حسب قول احدهم يباع الرطب بالخطب والبلح بالملح والتمر بالسمر والعصيدة بالقصيدة والثرائد بالقصائد والدقيق بالمعنى الدقيق لرأينا الجميع من عال ودون راغبا في العلم والادب . ولما كان الشعرا يشترى بشعيرة ، ولا النثر بنثارة ، ولا القصص بقصاصة ، ولا الرسالة بغسالة ، ولا حكم لقمان بلقمة ، ولا اخبار الملاحم بلحمة . فسوق المعرفة كاسد ويظن ان تحصيلها امر فاسد ودرس الادب نصب وجزه حصب " (٣) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، " لذات العلم وفوائده " ، اعمال الجمعية السورية ،

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٢ ، ص ٢ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢ .

ويفرق بين "العقل المظلم والنور" أي "بين من يدعى جاهلا ومن يدعى عالما . فالاول معرفته محصورة بمصلحته الخصوصية التي تعلمها كما يتعلم الببغا" النطق ولا يعلم شيئا من احوال العالم واهله خارجا عن عشيرته او بلده و اكثر ما يقال فيه ان عالمه بلاده ، كذا عالم الديك ، معذرة مني اليكم ، مزيلته
ثم من الجهة الاخرى صاحب العلم والعقل المنور له حاسيات وذات وافراح لم تدخل فكر الاول . فكان العناصر كلها الماء والهواء واليابسة والنار اسلمت له مفاتيح خزائنها وافشت له بكثير من سرايرها . وعندما يلاحظ الامور الجارية في عصره يلتذ ويستفيد من مقابلتها بحوادث الاجيال الماضية ، ويرى ما بين الازمنة من مطابقة او اختلاف ويرتب خطواته بموجب اخرين قبله ذكرت سيرهم اما قدوة لمن يقتدى واما عبرة لمن يعتبر" (١)

ثم تحدث عن القوى الطبيعية والقوانين الضابطة لها كقانون الجاذبية وغيره والتي تعرف بواسطة تعلم العلوم كالمهندسة ، والكيمياء ، والفلسفة الطبيعية المشتعلة على قواعد الحركة والسكون ، وعلم النبات ، التي تفيد جميعها الصنائع "واى تظنه اكفى بكاره الذى تعلمه كما تعلم السعدان الرقص والذى تعلم اصول الاشياء" (٢) . ولكن الرغبة في العلوم محصورة "في انفس قلائل ، فما كان اعظم النتائج لو امتدت مبادئها (كذا) فقط بين عامة البشر ولا يعد من اقلها اعتبارا ان عقولهم كانت تنعقد من العبودية للاوهام والاخواف الباطلة . فمن تعلم علم الفلك مثلا على حقيقته لا يخشى من ويا او حرب او جوع او موت او تأثير اخر في الاجسام او في الامور الدنيوية من تلقاء كسوف الشمس او خسوف القمر او ظهور نجم ذى ذنب" (٣) .
ويظهر ان هذه العقائد كانت سائدة وقتئذ .

(١) المصدر ذاته ، ص ٣ - ٤ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٧ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٧ - ٨ .

ثم ذكر انه من اعظم فوائد اكتساب المعرفة * انه يعين كثيرا في معرفة الخالق سبحانه وتعالى . فانظروا الى دلائل محبته وحكمته في تركيب اجسادنا . فالعين مثلا قد وضعها في كفة عميقة وجعل لها عظاما من حواجب وجفون وریش وهلم جرا لوقايتها من كل اذى . ولئلا تجف وتيبس وتكثر عليها الغبرة والوسخ اعطاها ينبوعا من دموع تتغسل بها . . . هذا مثال واحد من الوف تری في تركيب اجسادنا دالة على محبة الخالق وحكمته * (١) .

ويسلم بان هناك صعوبات مثل ندرة الكتب والمعلمين لتأليفها او لترجمتها وعدم وجود المدارس والمطابع ، فيقول " لوما اكل خبز في بيروت هل اتى اليها مراكب موسوقة تمحا . وانما عندما طلب وجد ولعل الامر كذلك في العلم ، عندما يطلب لا بد من ازالة الموانع لا شك في ايجاد الوسائل لاكتسابه ، ولكون سوقه الان كاسدا لذلك لا يستبضعه احد " (٢) .

ثم يحدثنا عن الغاية التي يرجوها من خطابه هذا بقوله : " وان افادت اقوالي لانها من همة من يقرأ هذه الاسطر لرفض الكسل والتواني ولطلب الانساع في المعرفة فلا احسب تعبني ذهب سدى ولا تظنوا مرادى ان كل انسان يترك مصلحته ويسير مجردا في طلب العلم والادب ، وانما مرادى ان تصرفوا الساعات الفارغة التي لا بد منها لكل انسان في ما يهذب العقل ويوسعه ويزيده معرفة . وان احرض الوالدين والاوصياء على تعليم اولادهم ومستأمنهم وللاجتهاد بان يرغبوهم في اكتساب المعرفة وصرف اوقاتهم الفارغة في ما يوسع عقولهم ويقويها " (٣) . وختم خطبته بقوله : " من جد وجد " (٤) . واستشهد بقول الامام علي :

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ٨ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٩ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٩ .
(٤) المصدر ذاته ، ص ١٠ .

ما الفضل الا لاهل العلم انهم	على الهدى لمن استهدى ادلا
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه	والجاهلون لاهل العلم اعدا
فقم بعلم ولا تبغي به بدلا	فالناس موتى واهل العلم احياء

٣ - " في فضل المتأخرين على المتقدمين " ، اعمال الجمعية السورية ، بيروت ،
مطبعة الاميركان ، ١٨٥٢ ، ص ٧١ - ٧٥ .

اشاد الدكتور فان ديك في بدء خطابه هذا ، الذي القاه ايضا في احدى
جلسات الجمعية السورية المنعقدة بين سنة ١٨٤٧ سنة تأسيس الجمعية وسنة
١٨٥٢ السنة التي طبع فيها الكتاب ، بعلم المنطق الذي يوصل الى معرفة الحقيقة
فقال : " لما كان العقل البشرى غير معصوم من الغلط فيحتاج الى ما يفيد معرفة
طرق كشف الحق ويقي من الخطأ في البحث عنه ويفيد الاحاطة بالصحيح والفاقد
من الفكر في القضايا الواقعة تحت نظر العقل والقانون الذي يفيد هذا المطلوب
هو المنطق . ورسومه بانه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر
ولا ريب ان مناسبة الآلة لافادة الغرض المقصود انما هي متعلقة بصحتها وان لم
تكن الآلة ذاتها كافية لانعام الغاية لسبب فساد او نقصان فالامر واضح انها تسقط
المعتمد عليها في خطأ عوض ان تقيه منه " (١) .

ثم اخذ يستشهد بالطرق التي يستعملها القدماء والمعتمدة في معظم
الاحيان على التسليم بالامور دون تحييصها والطرق المستعملة في زمانه والمعتمدة
على التقدم الذي حصل مؤخرا في بعض الوسائل بالاضافة الى طريقة الاستخراج
التي لم تستعمل قبل القرن السادس عشر والتي اعطى عليها المثال التالي بان
المتأخرين " نظروا الى ان خيال الارض الواقع على القمر مستدير وان درجات الطول
تصغر شيئا فشيئا كل ما ابتعد عن خط الاستواء ووجدوا ذلك بالقياس فكان لهم شهادة
الحواس على صحة المقدمة ورأوا ان ذلك لم يكن الا في جسم كروي وهكذا بالاستخراج
توصلوا الى الرأي بان الارض جسم كروي " (٢) ، واستخلص من كل ذلك انه " بالنتيجة

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، " في فضل المتأخرين على المتقدمين " ، اعمال
الجمعية السورية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٢ ، ص ٧١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٧٣ .

الضرورة يوثق باراً المتأخرين أكثر^(١) . وكي لا يساء فهمه بانه ينتقص من السلف قال " اننا لا نشين القدماء باقوالنا هذه ولا نخفض شأنهم البتة سوا (كذا) انهم اجتهدوا وتعبدوا ونجحوا نجاحا بليغا في امور كثيرة ، والمتأخرون استفادوا من اتعابهم افادة جزيلة "^(٢) . ثم يحدد غايته من الخطاب بما يلي : " ولكن قولنا موجه بالاكثر الى اقناع الذي لا يرغب في التقدم بل ان يبقى على ما كان عليه القدماء بعينه سواء كان صوابا او خطأ ، ويوجد من لهم هذا الميل الشديد الى الانتقال على ارا القدماء حتى لو قال القدماء ان القمر مصنوع من جبن اخضر لقال هؤلاء : نعم انظر فمجبنته معلقة في برج الجدى "^(٣) . ويقرر انه لا يستطيع احد ان يكشف عن كل شيء في العالم بل يجب ان يعتمد على ما انتهى اليه السلف . ثم قال : " انه يكفي لانها هذه المسئلة النظر الى لزوم التقدم في المعرفة شيئا فشيئا لا يحصل عليها بوحى او الهام بل بالتفتيش والنظر الى الماجريات والحوادث الطبيعية ويقتضي لجمع الحقائق من هذا النوع زمان طويل وكل جيل يستفيد مما برهنه وكشف عنه سالفه ويزيد عليه . وعلى هذا السبيل نرى القدماء ذواتهم استفادوا من سلفائهم ولم يزالوا يتقدمون ولم يقف احد منهم على ما كان عليه سلفاؤه فنرى تاليس الملطي ثبت بعضا من ارا فيثاغورس وناقض بعضا ، وارسططليس زاد على ما وضعه تاليس واصلاح بعضا من غلطه وارخميدس وغيره تقدموا اكثر فاكتر ، فالتقدم شيئا فشيئا امر ضرورى في تحصيل المعرفة من كل نوع "^(٤) . وهذا التدرج في المعرفة لابد منه بعد فترة طويلة من السبات العميق مرت على الديار الشامية .

(١) المصدر ذاته ، ص ٧٣ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٧٥ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٧٥ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٧٤ .

٤ - "أوجه الشبه بين الحيوان والنبات" ، الجنان ^(١) ، ج ١ (١٨٧٠) ص ١٠ - ١١ .

يوضح الدكتور فان ديك في مقاله هذه خصائص كل من الحيوان والنبات . فيذكر أولا التشابه بينهما : في كون "النبات موجودات آلية تشبه الحيوان في كونها مضطرة الى غذاً ودفاً وهواً ونور . اما غذاؤها فمن التراب واما هواؤها ودفاؤها فمن الهواء الكروي واما نورها فمن الشمس" ^(٢) ، وفي كون النبات "ذا تركيب آلي حي مضطر الى غذاً لاجل حفظ حياته وهذا غذاً يمسه بواسطة اصوله الدقيقة كما يمض الحيوان غذاًه بالاووية الماصة التي تحمل المواد المغذية من المعدة والامعاء الى الاووية الدوية" ^(٣) . ويذكر ثانيا الاختلاف بينهما : في كون النبات "مرتكز في موضع واحد خلاف الحيوان الذي هو في الغالب نقال ، وقوة الحياة والتناسل متفرقة في جميع اجزائه فيكثر الجنس بتجزؤ الفرد كما يكثر بالبرز" ^(٤) ، ويختلف عن الحيوان "في كونه بدون مركز عصبي وجهاز عصبي وبالضرورة عديم الاحساس" ^(٥) ، كما ان النبات "يتغذى من المواد غير الآلية والحيوان ،

-
- (١) مجلة الجنان لمؤسساها المعلم بطرس البستاني ورئيس تحريرها نجله سليم البستاني . تأسست عام ١٨٧٠ . ويذكر منشأ المقتطف عند الحديث عن البستانيين : "ولطالما ذكر المقتطف ماثرهما فاشنى على عظيم همتهما لانهما مهدا له الطريق وجارياه بالجنان مجارة الصديق للصديق" . "ضريح البستانيين" ، المقتطف ، ج ٩ (١٨٨٥) ص ٣٧٨ .
- (٢) فان ديك ، كرنيليوس ، "أوجه الشبه بين الحيوان والنبات" ، الجنان ، ج ١ (١٨٧٠) ص ١٠ .
- (٣) المصدر ذاته ، ص ١٠ .
- (٤) المصدر ذاته ، ص ١٠ .
- (٥) المصدر ذاته ، ص ١٠ .

في الغالب ، يتغذى من المواد الآلية . وقد حسب ذلك قبل هذه الايام من الحدود الفاصلة بين الحيوان والنبات . ولكن هذه القاعدة هي اغلبية . وبعض انواع الحيوان يتغذى بمواد غير آلية كما يتغذى بها النبات (١) .

وبعد ان يحدد كيفية غذاء كل من النبات والحيوان وطريقة هضمهما وتحويلهما الاغذية ، الاول بواسطة التراب الذي حوله والثاني بواسطة المعدة ، يستخلص من ذلك كله ان الحيوان " لا ينمو جسده الا بطعام لائق به حسب طبيعته . فاكال اللحم منه لا يعيش على النبات ، واكل الاعشاب منه لا يعيش على اللحم بل يجب ان يتقدم لكل جنس الطعام اللائق به حسب طبيعته . وكذلك النبات مختلف الطبيعة من جهة طعامه . فهذا يتغذى بمواد دلغانية ، وذاك بمواد صوانية ، واخر بمواد كلسية . وكثيرا ما يخسر الفلاح تعبته بعدم معرفته من هذا القبيل ، اى يزرع بما يتغذى بمواد كلسية في ارض صوان ، وما يتغذى بالصوان في ارض دلغانية ، وقس على ذلك . وهذا باب واسع فتكفي هذه الاشارة تبينا لفضله وضرورة معرفة مبادئه لكل انسان ، لان الملك ايضا مخدوم من الحقل (٢) . انها اول مقالة علمية نشرت في الديار الشامية في القرن التاسع عشر (٣) .

(١) المصدر ذاته ، ص ١١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١١ .

(٣) صروف ، فواد ، " تطور الفكر العلمي العربي في المئة عام الاخيرة " ، الابحاث ، ج ١٥ (١٩٦٢) ص ١٥١ وص ١٧٠ .

- ٥ - "تاريخ اطباء اليونان والشرق" ، المقتطف ، ج ١ (١٨٧٦) ص ٢٥ - ٢٧ ،
و ٤٩ - ٥١ ، و ٧٣ - ٧٥ ، و ٩٧ - ٩٨ ، و ١٢١ - ١٢٣ ،
و ١٤٥ - ١٤٧ .

حين منحت السلطات العثمانية الدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر رخصة
لانشاء مجلة المقتطف ذهبا الى استاذهما الدكتور فان ديك ، الذي كان قد سعى
لدى مدير مطبوعات سورية خليل الخوري من اجل الترخيص للمقتطف ، وشراه بذلك
فقال لهما " سيرا في عملكما والله معكما وانا سأشرع من هذه الساعة في كتابة بعض
الفصول للمقتطف . فكتب فصول اطباء اليونان والشرق ونشرنا (صروف ونمر) اول فصل
منها في الجزء الثاني الذي صدر في غرة يوليو (تموز) سنة ١٨٧٦ " (١) .

ويظهر ان الغاية من نشر هذه المقالة كان ذكر تاريخ اطباء اليونان بصورة
عامة وتاريخ اطباء العرب بصورة خاصة . فيذكر انه اعتمد ا على ما بقي من تواريخ
العرب قبل الاسلام " لم يبق بينهم عالم شهير ، طبيا كان او غير طبيب وانما كثرت فيهم
الشعراء " . واطباءهم اخذوا ما اخذوه من الطب عن السريان والفرس والهنود " (٢) .
وعدد احد عشر طبيا اخذ عنهم اطباء العرب قبل الاسلام ، وهم : قطقة الهندي ،
وسند شهل الهندي ، وابوقابيل الهندي ، وشاناك الهندي ، وجد دل الهندي ،
وشيودورس النيسابوري ، وبرزويه بن ازدهر الفارسي ، وسرجيوس بن الياس الراقبي
من راس عين ، وهارون القس الاسكندري ، وعبد الملك بن ابهر الكاني معلم الطب
في الاسكندرية ، ويوحنا الاسكندري الذي كان على زمن عمرو بن العاص (٣) .

-
- (١) "تاريخ المقتطف والعلم في عشرين عاما" ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .
(٢) فان ديك ، كرنيليوس ، "تاريخ اطباء اليونان والشرق" ، المقتطف ، ج ١ ،
(١٨٧٦) ص ٩٧ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٩٧ - ٩٨ .

ويحدثنا الدكتور فان ديك عن المصادر التي اعتمدها في بحثه والتناقض الظاهر فيها فيقول " ليس تاريخ اسقم من تاريخ اطباء العرب فيقتضي جمع ما يذكر منه من مؤلفات كثيرة بعضها يناقض بعضها احيانا والكل مزيج بحكايات وخرافات لا اصل لها وكثيرا ما يعسر تمييز فاسدها من صحيحها . ومن المؤلفات التي منها جمعت ما اقله في هذا الموضوع تاريخ الدول لابي الفرج الملقبي ، وكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ، وتاريخ المسلمين لابي الفداء الحموي ، وكتاب المكتبة الشرقية للقس السمعاني الماروني ، وكتاب تهذيب الاسماء لابي زكريا يحيى النوى ، وكتاب عيون الابناء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، وكتاب طبقات الشافعية لابن قاضي شهاب . (١)

ويقسم الفترة الواقعة ما بين السنة الاولى للهجرة وسنة الفدالي ست حقبات وذلك بالنسبة للاطباء " الذين انتهت اليها اسماؤهم بين العرب بعد الاسلام " . (٢)

اولا - من السنة الاولى للهجرة الى مائة وخمسين . ثانيا - من سنة مائة وخمسين الى ثلاثمائة . ثالثا - من سنة ثلاثمائة الى اربعمائة . رابعا - من سنة اربعمائة الى ستمائة . خامسا - من سنة ستمائة الى سبعمائة وخمسين . سادسا - من سنة سبعمائة وخمسين الى الف . ويقول : " وفي مدة الف سنة هذه تجد ذكر ٣٠٠ من الاطباء المشاهير الذين لغتهم العربية وان لم يكونوا عربا في الاصل ، ومثلهم من الذين دون الطبقة الاولى . ولا يسعنا المقام غير ذكر الاشهر من الشهر " . (٣)

(١) المصدر ذاته ، ص ٩٧ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٢١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٢١ .

ويحدثنا ان الخلفاء والامراء الاول اخذوا اطباءهم من المسيحيين واليهود حيث لم يقم بين العرب طبيب شهير * واول من ذكر من اطباء العرب الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب * اصله من ثقيف من اهل الطائف ، رحل الى ارض فارس واخذ الطب عن اهل جند يسابور وغيرها في الجاهلية * وطبيب في ارض فارس وحصل مالا ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع الى الطائف * ومن اقواله : من سره البقاء ، ولا بقاء ، فليباكر الغذاء وليخفف الرداء وليقل من غشيان النساء * يريد بخفة الرداء الا يكون عليه دين * قيل مات في سنة ١٣ للهجرة (٦٣٤م) من سم سقيه قبل سنة (١) .

وعدد ثلاثة عشر طبيبا في الحقبة الاولى وهم : النضر بن الحارث بن كلدة ، وابو حفص يزيد مولى مروان بن الحكم ، وماسرجويه البصري ، وشيوذ وكس الذي خدم الحجاج ، وابو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية ، واصطفانوس اول المترجمين لخالد بن يزيد ، واحمد بن ابراهيم طبيب الخليفة يزيد ، وابو بكر محمد بن سيرين البصري ، وابن ابي زاخر الذي الف في النبات ، وعبد الله المقفع الذي الف كتابا في الامراض ، وابو قرش عيسى الصيدلاني ، وابو عبد الله جعفر بن محمد بن علي الصادق ، وابو موسى جابر بن حيان (٢) .

كما عدد خمسة عشر طبيبا في الحقبة الثانية هم : جيورجيوس بن بختيشوع الجند يسابوري ، وابنه بختيشوع طبيب الخليفة هارون الرشيد ، وجبرائيل بن بختيشوع ، وجاورجيوس بن بختيشوع ، وبقيت هذه العائلة عند الخلفاء والامراء الى سنة ٤٥٠ للهجرة ولهم مصنفات كثيرة في الطب (٣) ، وصالح بن

(١) المصدر ذاته ، ص ١٢١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٤٦ .

بهلة ، وعبدوس بن يزيد ، وموسى بن اسرائيل الكوفي ، وقسطا بن لوقا ، وابوزكريا يحيى بن ماسويه ، وابوزيد حنين بن اسحق الشهير بالترجمة ، وثابت بن قرّة الذى قيل فيه :

هل للعليل سوى ابن قرّة شاف	بعد الاله وهل له من كاف
احبى لنا رسم الفلاسفة الذى	اودى واوضح رسم طب عاف
فكانه عيسى بن مريم منطقا	يهب الحياة بايسر الاوصاف
مثلث له قارورتي فرأى بها	ما اکتن بين جوانبي وشغافى
يبدوله الدواء الخفي كما بدا	للعين رضراض الغدير الصافى (١)

وتوقفت المقالة عند انتهاء اطباء الحقبة الثانية .

ويحدثنا الدكتور فارس نمر انه وزميله الدكتور يعقوب صروف كانا يخشيان اذا ما اصدرا المقتطف الا تواءمهم الخاصة " لان اكثرهم كانوا من طلاب اللغة العربية والمتأدبين بآدابها والرافعين لوائها كالمرحومين احمد فارس الشدياق والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير والشيخ ابراهيم الاحدب . . . وكانوا هم واتباعهم قلما يقدرون لغير اللغة العربية قدرا ولا لعلم غير علوم اهلها وادبائها مقاما " (٢)

ويذكر ان نشر المقتطف لفصول في تاريخ اطباء اليونان والشرق للدكتور فان ديك كان له وقع حسن " اعجبت محبي القديم كثيرا " (٣)

وهناك مقالات علمية ظهرت في النشرة الاسبوعية خلال رئاسة الدكتور فان ديك لتحريرها ولكن بما انها غير منسوبة اليه جهارة لا نستطيع ان نجزم انها من قلمه الا ان مجرد سماحه بنشرها يعطينا الحق ان نعتبرها من احدى نواحي

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ١٤٧ .
 (٢) نمر ، فارس ، " بعد ستين عاما — ذكريات في عهد الصبا " ، المقتطف ، ج ٨٨ (١٩٣٦) ص ٥٦٣ .
 (٣) المصدر ذاته ، ص ٥٦٧ .

نشاطه العلمي . وسأكتفي هنا بالاستشهاد بمقالة ظهرت باعداد متتالية تحت عنوان " الحقائق العلمية مفهومة على حقها حقائق دينية " (١) . تبدأ المقالة معالجتها للموضوع بما يلي : " طالما كانت علاقات العلوم والديانة موضوعا مهما عند ذوى الالباب والبصائر فكان اللاهوتي منذ قديم الازمان ، كما انه لا يزال الى الان ، يلتفت الى العلوم بعين الغيرة والحذر مخشيا من ان تكون فوقها مضرة للديانة الحقيقية . وكذلك الفيلسوف التفت بتعجرف نفسه وتكبر قلبه الى الالفة الكائنة بين الدين والعلم بعين الاحتقار ولم تأخذ نفسه بها حتى خال له ان بينهما مغايرات واختلافات كثيرة والصواب ان كلا من الفريقين قد ارتكب الشطط وحاد عن الحق وكد عبثا في ما كتب لاثبات الدين او العلم . وعندنا ان الحقائق العلمية اذا فهمت حق الفهم هي حقائق دينية " (٢) . وبعد ان استشهدت المقالة بعلم الجيولوجيا وعلم الهيئة للدلالة على صحة افتراضها استنتجت " كون مبادئ العلم كاشفا يكشف عن الطبيعة الالهية . ونعني بذلك ان نوايس الطبيعة اى مبادئ العلوم ليست نتيجة عمل ظلم من قبل الله ولا صدرت منه رغما عنه ، بل طبعا برضاه اى ان الله لم يضطر الى خلق الارض والانسان بل لما خلقا برضاه جعلت النوايس تجرى متوقفة على طبيعته فالمبادئ المختلفة للعلوم ليست سوى امور تشير الى كمال الله " (٣) . وتورد المقالة اربعة امثلة تدل على جهل الذين يتوهمون العلم كواسطة تتخذ للدلالة على ريب الديانة ، تقول " للعلوم اساس وكذا

(١) " الحقائق العلمية مفهومة على حقها حقائق دينية " ، النشرة الاسبوعية ،

الاعداد ٣ و ٤ و ٥ و ٦ (١٨٧٤) ص ٢٢ - ٢٤ و ٢١ - ٢٢ و ٢٢ و ٢٦ -

٢٧ و ٥٤ - ٥٦ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٣٢ .

للديانة اساس ايضا فاذا اتحدا كان منهما اساس ذو قاعدة اعظم يناسب اكثر لبناء
برجين حصينين مشيدين لمجد الله احدهما خارجي والاخر داخلي . ليلتفت الجميع
الى احدهما ويذهلوا وليخر كل من له ايمان في الثاني ويصلي ويسبح . ليكن احدهما
هيكل فيه تقدم جميع علوم البشر بخورها الثمين كتقدمة لله وليكن الاخر قدس الاقداس
منفصلا عن الاول بحجاب وفيه نسكب حب قلوبنا على المذبح المرشوش بالدم ونسمع كلام
الاله الحي (١) . وتذكر المقالة ان على رجال الدين ان يفرحوا بما يقوم به رجال
العلم من اكتشافات لان ذلك يؤول الى ايضاح الديانة لان العلم والدين هما من اصل
الهي واحد ولذلك لا بد لهما من المطابقة ، ثم تستنتج انه على " ذوى الدين والعلم
اذا ان يلتفتوا الى بعضهم كاناس يجدون معا في عمل واحد شريف جدا هو ايضاح
طبيعة الله وحكمه . ولينبذوا عنهم كل ذى عقل قصير غيور وليتحدوا معا بغيرة كلية
وحب شامل وعليهم بالتكاتف وعدم الالتفات لفيلسوف لا يملك من هذا الروح مقدار ذرة
بل يسخر احيانا باهل الدين وعدم الاكتراث ايضا ببعض من يدعي بالدين ويقابل ذوى
العلم بعين الهز والاحتقار " (٢) .

(١) المصدر ذاته ، ص ٣٧ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥٥ .

ب - خطبه

١- خطاب الدكتور فان ديك في تأبين المعلم بطرس البستاني ، دائرة المعارف ،

بيروت ، مطبعة المعارف ، ١٨٨٣ ، ج ٧ ، ص ٥٩٣ - ٥٩٤ .

في الاول من ايار عام ١٨٨٣ القى الدكتور فان ديك خطابا في الكنيسة

الانجيلية في بيروت مؤبنا المعلم بطرس البستاني قال فيه : " اني مظلوم بوقوفي هنا اليوم خطيبا . لان المقام الذي ارغبه ، والذي يليق بي ، هو وسطكم ابكي وانوح على اخي وحبيبي الذي خطف من بيننا خطفا ، معلمي واستاذي ورفيقي . فكم من الليالي احييناها معا في الدروس والمطالعة والتأليف ، وحلاوة المعاشرة الصادرة عن اتحاد المقاصد والاغراض . فكيف اقف فوق جثته ، ولا اركع بجانبه حزينا كئيبا " (١) . ثم اردف يقول " واتذكر الان حادثة جرت بيننا لما دارت المطبعة الاولى في سورية على الآلة البخارية [عام ١٨٥٤] (٢) فتفرس فيها المرحوم لحيطرة ثم قال : هل فهمت ما تقوله المطبعة . قلت لا . قال : كأنني كلما دارت دورة سامعها تقول ، اني لافادة سورية . ومنذ عرفتة الى اخر حياته كلما شرع في عمل لم اسمعه قط يسأل كم استفيد من هذا العمل بل كم يؤول هذا العمل الى افادة سورية . فضعوا يا شبان سورية هذه القدوة امامكم واقتدوا بجبار الاعمال ، وكلما شرعتم بعمل ليكن سؤالكم مثل سؤاله ، كم يفيد هذا العمل سورية واقتدوا بجهد الذي لم يعرف التعب ولا الكلال " (٣) .

(١) البستاني ، سليم ، دائرة المعارف ، دائرة " ، بيروت ، مطبعة

المعارف ، ١٨٨٣ ، ج ٧ ، ص ٥٩٣ .

(٢) المطبعة الاميركانية - خدمة ١٠٠ سنة ١٨٢٢ - ١٩٢٢ ، ص ١١

من القسم الانكليزي .

(٣) البستاني ، دائرة المعارف ، ص ٥٩٤ .

وبعد مرور خمسة وعشرين يوما على وفاة المعلم بطرس البستاني وقف الدكتور كرنيليوس فان ديك ليلقي خطبته السنوية بالمجمع العلمي الشرقي ، بوصفه رئيسا للمجمع ، فلم يشأ ان تمر هذه المناسبة دون ذكر صديق صباه فقال : " ان هذه الجلسة السنوية قد خالطها الحزن والاسف على فقد واحد من اعضاء مجمعنا ، اعني الشهير المجتهد المؤلف البارع الجهد التحرير عزتو بطرس افندي البستاني الذي خطفته يد المنون من بين ايادي نا خطفا فترك جمهورا كبيرا من محبي الوطن يتأسفون على خسارة لا يدركها الا من عرف قيمة رجال العلم وصعوبة مسالكه بيننا في هذه الايام ، ولكنه ابقى لكل شبان سورية قدوة ومثالا من جهة تضحيتهم كل قواه لصالح الوطن ومن جهة قلة التفاته الى المنافع الخاصة ونظره الى المنافع العامة ، وايضا من جهة اجتهاده الدائم رغما عن كل الظروف المضادة باذلا صحته وجسمه لكي يكمل المشروعات المفيدة التي شرع بها حتى صار مستحقا ان يذكر بين المشاهير المدونة اسماءهم في كتاب سرا النجاح (١) . فلنذكره متأسفين عليه كل الاسف ومن وقت الى وقت لنقص سيرته على اقراننا لكي يقتدوا به " (٢) .

(١) فعلا لقد دون الدكتور يعقوب صروف ، مترجم كتاب سرا النجاح ، سيرة المعلم بطرس البستاني عندما اعاد طبعه عام ١٨٨٦ ، سرا النجاح ، ص ٢١٣ - ٢١٥ .

(٢) المقتطف ، ج ٢ (١٨٨٣) ص ٦٤١ .

٢ - "الخطبة السنوية" ، المقتطف ، ج ٧ (١٨٨٣) ص ٦٤١ - ٦٤٢ .

كان الدكتور كرنيليوس فان ديك اول رئيس للمجمع العلمي الشرقي الذي اسسه الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر وجعلوا المقتطف اللسان المعبر عنه ، وبعد مضي سنة على تأسيسه القى الدكتور فان ديك الخطاب السنوى في ٢٤ ايار ١٨٨٣ فشكر فيه الاعضاء لتكريمهم اياه وقال " واعذروا تأسفي على انتخابكم العاجز الظالم عوضا عن المصلح الضليع " (١) . ثم ذكر ان العادة قد جرت في الاجتماعات السنوية للمجامع العلمية ان يقدم الرئيس ملخصا لاجل الاكتشافات العلمية الواقعة في السنة السابقة ، ولكي ارتأيت ان اخالف هذه العادة وان اعرض عليكم عوضا عنها بعض الملاحظات من جهة ما يؤول الى نجاح المجامع العلمية عموما ونجاح مجتمعنا خصوصا . وما ا قوله في هذا الشأن مبني على ما شاهدته واختبرته بقيام عدة مجامع وسقوطها وخيبة جملة من المشروعات الحسنة الآيلة الى ترقية البلاد وتحسين احوالها : يا له درعا منيعا لو جمد " (٢) . واقترح سبعة امور تؤدى بالمجمع الى النجاح الاكيد ، الا وهي : " الامر الاول الذي اعرضه عليكم والذي اراه اشد ضرورة لنجاح المجمع هو قصد الدوام ، فمن بات ليلة في خان بجانب الطريق يسوغ له القول : هي ليلة يا مكاري ، وعابر السبيل ليس له ان يغرس غرسا ولا ان يزرع زرضا ولا ان يبني بناء ، وكذلك الاجنبي الذي يحضر لكي يجني جنى او لغرض اخر فيعود الى بلاده لا يكلف نفسه شيئا الا ما هو ضروري لمصلحته فلا يهمه هل دام العمل او زال بعد ذهابه : بعدى الطوفان . اما انتم فلستم عابري السبيل ولا اجانب فلا يسوغ لكم ان تتصرفوا كالمستأجر بل كصاحب الملك ومهما زاد الملك قيمة فذلك عائد الى صاحبه . " (٣) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، "الخطبة السنوية" ، المقتطف ، ج ٧ (١٨٨٣) ص ٦٤١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٦٤١ - ٦٤٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٦٤٢ .

” الامر الثاني الذي اذكره هو ما يؤول الى تحصيل الاول اى اذا قصدتم الدوام والثبات فاعتنوا كل الاعتناء بانتخاب اعضاءكم . قلت اذا وضعت الاساسات على ما ينبغي وترتبت امور المجمع كما يقتضيه قصد الدوام فتبدل الاشخاص او تغييرهم قلما يضرب صالح المجمع ومثله مثل الدولة المبنية على مبادئ حقيقية معلومة فلومات الملك ورجال او تغييروا او تبدلوا تثبت على مبادئها وشرائعها ومقاصدها وهكذا المجمع ولكن شرط ان لا تضيفوا الى عددكم الاول الا من كان قلبه على قلبكم (١) .

” ثالثا — ليكن لكل واحد منكم فرع علمي او ولع خاص به وليشتغل كل واحد في فرعه الخاص او في موضوع ولعه الخاص (٢) .

” رابعا — ان ما قد قلته من جهة انحصار كل واحد في دائرته الخاصة لا يتنافى شغله في غيرها اذا اتفقت الظروف المناسبة لذلك بل ينبغي ان يكون كل واحد على استعداد لكي يلقي فلسفه في خزانه اى قسم كان من دائرة المعارف غير قسمه الخاص (٣) .

” الامر الخامس الذي اذكره مما اراه ايلالا الى حفظ المجمع وبنائه وتوسيع فوائده هو جمع معرض من كل المواضيع العلمية وبعض الصناعية ولا سيما صنائع بلادنا السورية ومعاملها ومحاصيلها . . . وما تقدم عن المعرض يصدق ايضا من اكثر الوجوه على المكتبة لان الكتب الكثيرة الاثمان النادرة الوجود قلما يستطيع طالبان يقتنيها (٤) .

(١) المصدر ذاته ، ص ٦٤٢ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٦٤٣ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٦٤٤ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٦٤٥ — ٦٤٦ .

الامر السادس الذي اذكره هوان لا تكثر الجلسات ولا تطيلوها لانه اذا توالى الجلسات وتقاربت يقع اعضاء المجمع المستوطنون في تجربة من جهة خفة العمل وتقديم شغل قليل الفائدة غير كامل خوفا من التهمة بالاهمال او رغبة في اكنار الكلام (١) .

الامر الاخير الذي اذكره لديكم هوان لا تضربوا في البوق فان طلب الشهرة ليس من اغراضكم ، واعمالكم تتم على ما تريدون بالسكوت والهدوء ولا تتم في احوال اخرى . فاشتغلوا على السكوت وعلى المهل تنالوا غرضكم . وهب انكم تطلبون الشهرة فانكم لا تنالونها بالقصد اليها . انها ظبية فتانة مذعورة لا تأمن الى طالبها ، او عروس ذات غنج ودلال تشمخ على خاطبها ، بيضة خدر لا يرام خباؤها ولكنها تدلل نفسها لمن يحتقرها . ان الذين اشتهروا في العالم لم يقصدوا الشهرة قصدا بل كان قصدهم انعام واجباتهم وكشف الحقائق وتوسيع دائرة العلم فاتتهم الشهرة رغما عنهم وعلى عدم مبالاتهم بها وقد شهد كل من حصلها انها انما هي قبض الريح . (٢) .

(١) المصدر ذاته ، ص ٦٤٧ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٦٤٧ .

٣ - خطاب الدكتور فان ديك بمناسبة الاحتفال بمرور خمسين سنة على وصوله الى بيروت ، تهاني الدكتور كرنيليوس فان ديك ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٩١ ، ص ١٨ - ١٩ .

في الثاني من نيسان عام ١٨٩٠ اقامت لجنة اليوبيل الذهبي للدكتور فان ديك احتفالا بمناسبة مرور خمسين سنة على وصوله الى بيروت قدمت له فيها قيمة التبرعات التي جمعتها من محبيه ، فقام الدكتور والقي خطابا " والقوم كلهم اذ ان نصفي لنفيس كلامه شاكرا حاسات القوم ودموع المسرات تتلالا في عينيه " (١) ، قال فيه : ان ليست لي عبارات ولا الفاظ تعرب عما في قلبي وفكري فالاجدر بي قبول اكرامكم وفضلكم بالسكوت الابكم وهو شاهد لا تحتاج شهادته الى تزكية . ومن اقوى حاسياتي اليوم اني لم افعل شيئا يستحق من حضراتكم كل هذا الالتفات ، واذا كان الله سبحانه قد فسخ في اجلي حتى اقضي في هذه الديار ٥٠ سنة من عمري فلست ارى ان ادعي لنفسي جميلا . هذا فقط ، اصرح به قدام الله والناس ، اني اقممت بين اهل الشرق بكل نية صافية ولم اقصد غير نفع جليلي وترقيته وتخفيف الاثقال على قدر الاستطاعة ، هذا من فضل الله يؤتيه من يشاء " (٢) . وكلف اللجنة في نهاية خطابه ان تنوب عنه في ابلاغ شكره للجرائد المصرية ، الاهرام ، والمقتطف ، والشفاء ، واللطائف ، والمقطم ، وللجرائد السورية : لسان الحال ، وبيروت ، والثمرات ، والتقدم ، والصفاء ، والصباح (٣) .

(١) تهاني الدكتور كرنيليوس فان ديك ، بيروت ، مطبعة الاميركان ،

١٨٩١ ، ص ١٨ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٨ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٩ .

وهناك اشارات الى خطب كان يلقيها الدكتور فان ديك بمناسبات مختلفة ولكن لم تدون ، فمثلا ورد في المقتطف اثناء ذكر احتفال مدرسة البنات السورية الانجيلية في بيروت بتخريج طالباتها قوله : " فافتتح جناب الدكتور ادى ثم خطب احدنا يعقوب صروف خطبة (١) ادرجت في هذا الجزء ، وختم الاحتفال جناب الدكتور فان ديك بخطبة انيقة حث بها المنتهيات ٠٠٠٠٠ على الاعتناء بصحة اجسادهن وعقولهن وانفسهن " (٢) .

وورد في جريدة لسان الحال ان الدكتور فان ديك القى في الرابع من حزيران عام ١٨٨٦ خطابا في جلسة جمعية شمس البر موضوعه القطب الشمالي والوصول اليه ، مبينا كل الرحلات والسياحات ، ومن قام بها ، وما قاسوه من الاخطار ، بصور الفانوس السحري فجرى فيه واجرى القلوب فوق الايدي ترقص طربا لبلاغة نطق بها واشارات اداها ومعان اظهرها " (٣) . وذكرت النشرة الاسبوعية هذا الخطاب بقولها : وشخص في اثناء الخطاب بعض الرسوم الجديدة الحسنة بالفانوس السحري ايضا لذلك ، فسربه كل من حضر لما فيه من فائدة واثنوا على همه ذلك العلامة الفاضل على ما ابداه من حسن البيان وبذل الجهد في الافادة " (٤) .

-
- (١) صروف ، يعقوب ، " النظر في حاضرتنا ومستقبلنا " ، المقتطف ، ج ٨ ، (١٨٨٤) ص ٤٦٩ - ٤٧٥ .
- (٢) " احتفال مدرسة البنات السورية الانجيلية في بيروت " ، المقتطف ، ج ٨ ، (١٨٨٤) ص ٥٠٦ .
- (٣) " جلسة جمعية شمس البر " ، لسان الحال ، العدد ٨٦٥ (٧ حزيران ١٨٨٦) ص ١ .
- (٤) " جمعية شمس البر " ، النشرة الاسبوعية ، العدد ٢٣ (٧ حزيران ١٨٨٦) ص ١٨٣ .

ويحدثنا داود قربان عن خطب استاذہ الدكتور فان ديك فيقول : " وكان اذا وقف على منبر الوعظ او الخطابة يتألب الناس عليه ويشخصون اليه لثلاث ففوتهم كلمة من كلماته . وكان في وعظه شديد الوطأة على التقاليد والخرافات التي اضعفت قوة الدين الحق وخفضت من تأثيره على القلوب . ويورد اثناء الوعظ كثيرا من الاشعار العربية مما يوافق الموضوع . واذكر ان اول عظة سمعتها من فيه كانت مبنية على خطاب مردخاي لاستير الوارد في سفر استير ٤ : ١٣ — ١٤ واستهل كلامه هذا : ان مكان تمثيل هذه الرواية المحزنة مدينة شوشن المبني على انقاضها همدان التي قال فيها الشاعر

همدان لي بلد اقر بفضلہ لكنه من اقبح البلدان

صبيانہ في القبح مثل شيوخہ وشيوخہ في العقل كالصبيان (١)

ثم اخذ يتدفق في كلامه كالسيل مبينا عظم مسؤولية من يتبوء المراكز الخطيرة لدى الله والناس . (٢) . ويلقى لنا ضوا لعدم نشر خطب الدكتور فان ديك فيقول : " وكان كلما القى عظة في الكلية يتقدم التلاميذ راغبين اليه ان يسمح لهم بطبعها على نفقتهم ونشرها تعميما لفائدتها ، ولكن لما كان كل وعظه ارتجالا كان يتعذر عليه ان يعود فيكتبه غب القائه بالنظر الى وفرة اشغاله . وهكذا ضاعت تلك المواعظ النفيسة المفيدة ولم يطبع منها الا اثنتان او ثلاثة . (٣) . ان الدكتور فان ديك هو " اول من خطب بسورية خطبة علمية في العربية وشخص خطبته " (٤) .

(١) راجع ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، صادر ، ١٩٥٥ ،

ج ٥ ، ص ٤١٧ .

(٢) قربان ، داود ، " الكلية في ايام تلمذتنا — نحن وفانديك " ، الكلية ،

ج ٢ (شباط ١٩١١) ص ٦٧ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٦٧ .

(٤) مكاريوس ، " المعارف في سورية " ، ص ٣٨٦ .

٣ - تشجيعه الدائم لمختلف النشاطات العلمية

أ - لقد قرظ كتاب اثار الادهار لسليم شحادة وسليم الخوري على صفحات النشرة الاسبوعية بقوله : " ان من جملة المؤلفات المحتاج اليها في اللغة العربية قاموسا حاويا اسماء البلدان والمدن والضياع في كل اقطار الارض لان المؤلفات العربية في هذا الشأن محصورة في بلدان وممالك قليلة العدد فضلا عن كونها نادرة الوجود بعيدة العهد فقد سبقها فن الجغرافية شياطا وعند قراءة الجرنالات والكتب في هذه الايام يعثر القارئ على اسماء مواضع كثيرة يشاق الى معرفة مواقعها والى ان يعرف عنها شيئا اكثر من مجرد اسمائها ٠٠٠ فبينما كنت اتردد في هذه الافكار اذا بعدة كراريس من كتاب نفيس مستوفي المعاني واضح العبارات حسن السبك وسهل المراجعات اى قاموس الجغرافية طبق المرغوب يسد العوز من هذا الباب ويغني قانيه عن غيره في نوال هذا الغرض ٠٠٠ فرأيت فيه اثار التعب الجزيل والتفتيش المدق والاعتناء الطويل في تحقيق المواد وحسن الذوق في ترتيبها وحسن العقل في تميزها فقلت : لله دركما ٠ ولكي اخشى لئلا تناديا او تكلما اخرس هيبات ان يعرف اهل بلاد كما قيمة اتعابكما ٠ ولا بأس ٠ الخفيف منهم ربما يفضل الهيام في جنان الشام على البحث في ما منه منفعة مثل كتابكما ولكن العاقل منهم يلتفت اليكما بالرضى ويذكركما بالثناء فقد خد متما بلادكما ونفعتما جيلكما ٠ ومن نال حسن المآب يكفيه ذلك من ثواب " (١) ٠ ويذكر الدكتور فارس نمران الدكتور فان ديك كان يمد سليم الخوري " بما يحتاج اليه من المعرفة والمشورة في تأليف كتابه " (٢) ٠

وسنرى فيما بعد كيف ان مساعدة الدكتور فان ديك لسليم الخوري ، شقيق خليل الخوري مدير مطبوعات سورية ، افادت في الاسراع بالحصول على رخصة لانشاء المقتطف ٠

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، " قاموس الجغرافية " ، النشرة الاسبوعية ، العدد

٤ (١٩ ايار ١٨٢٤) ص ١٨٠ ٠

(٢) " بعد ستين سنة - ذكريات في عهد الصبا " ، ص ٥٦٤ ٠

ب — يذكر الدكتوران يعقوب صروف وفارس نمرانها عقدا النية على انشاء المقتطف ورسم له "خطته التي سار عليها منذ انشائه الى الان (١٨٩٥) ولم نختر له اسما بل قمنا كلانا ونهينا الى استاذنا الدكتور فان ديك وكان في المرصد الفلكي حيث كان يقضي اكثر اوقاته فاستشرناه فيما عزمنا عليه وسألناه ان يختار لنا اسما له . فابرقت اسرته وجعل يشدد عزائنا ويسهل علينا الصعاب . وقال سمياه المقتطف واجعله كاسمه وحسبكما ذلك . ثم كتب الى صاحب السعادة خليل افندي الخوري ، الشاعر المشهور ، وكان مديرا للمطبوعات في سورية يطلب اليه ان يسعى لنا في جلب الرخصة السلطانية باسرع ما يمكن ، ففعل ولم يمض شهر من الزمان حتى اتتنا الرخصة السلطانية ٠٠٠٠ . وابعاح لنا كل ما عنده من الكتب والجرائد والالات والادوات لكي نستعملها كما نشاء من غير سؤال " (١) .

واثر صدور العدد الاول من المقتطف قرظه الدكتور فان ديك بقوله " نحبي هذه الجريدة اكرم التحيات ومن المثال الاول الذي طبع منها نستبشر بالتوالي ٠٠٠٠ ويؤمل من كل راغبي احياء الصنائع والعلوم في الديار الشرقية ان يعضد هذا المشروع الذي لم يقصد به ربح الدراهم كما هو ظاهر من ثمن الاشتراك ٠٠٠ لان ذلك بالكاد يعدل قيمة الورق . ولا ريب ان هذه الجريدة تحظى بالقبول والترحاب عند كل من يفضل المعارف على التسلية " (٢) . واثر صدور العدد الاول من السنة الثانية قرظه الدكتور فان ديك بقوله : " نشكر همة المنشئين على ما قدماء لوطننا العزيز من الخدمة والفوائد ، ونتمنى لهما كل نجاح وتوفيق ونرجو من محبي التقدم في بلادنا العربية ان ينشطوا هذا المشروع المفيد العائد نفعه لعموم بلادنا " (٣) . وبعد

-
- (١) اعلام المقتطف ، ص ١٨٤ .
(٢) فان ديك ، كرنيليوس ، "المقتطف" ، النشرة الاسبوعية ، العدد ٢١ ،
(٢٢ ايار ١٨٧٦) ص ١٦٧ .
(٣) "جريدة المقتطف" ، النشرة الاسبوعية ، العدد ٢٣ (٥ حزيران ١٨٧٧) ص ١٩٦ .

مضي ستين سنة على انشاء المقتطف يذكر الدكتور فارس نمر السبب الذي جعل خليل الخورى يساعد هما في الحصول على رخصة انشاءه فيقول ان الدكتور فان ديك كان له منن على احد صاحبي كتاب اثار الادهار (١) لسليم الخورى اخي المرحوم خليل افندى الخورى ، مدير معارف سورية حينئذ ، لكثرة ما كان يده بما يحتاج اليه من المعرفة والمشورة في تأليف كتابه ، فسعى معه سعيا موفقا وحصلنا على الرخصة بعد الانتظار شهورا مع ان غيرنا لم يكن يحصل عليها الا بعد الانتظار اعواما في كثير من الاحيان (٢) . ولعل هناك عاملا اخر حفز خليل الخورى لتلبية رغبة الدكتور فان ديك للحصول على رخصة للمقتطف ، هو ان الدكتور فان ديك كان قد عالج الشيخ بشارة الخورى ، والد خليل الخورى وسليم الخورى ، عام ١٨٤١ عند ما " فر من دير القمر حافيا مجروحا " (٣) اثر وقوع الحوادث بين الموارنة والدروز في تلك السنة .

(١) " بعد ستين سنة — ذكريات في عهد الصبا " ، ص ٥٦٤ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥٦٤ .

(٣) " مذكرات الدكتور فان ديك " ، ص ٢٢٤ .

ج - اقترح الدكتور فان ديك على تلميذه فارس نمران بترجم كتاب الظواهر الجوية ثم اضاف الى ذلك بعد الاشياء غير الواردة في الاصل . ويحدثنا عن الغاية المرجوة من اقتراحه ترجمة الكتاب بقوله : " لما كانت الظواهر الجوية واقعة تحت نظر جميع الناس من العال والدون ولما كان كثير منها قد اشتغل عقول العلماء لغرابتها وعسر معرفة عللها واهمت عقول البسطاء والسذج وافزعتهن بدون داع ولا سبب ولم يكن في اللغة العربية كتاب في هذا الفن يوضح ما عرف من تلك الظواهر ويدل على كيفية رصدها وتقييد الرصد لكي تعين على التقدم الى معرفة ما لم يزل مجهولا من جهة علل حوادث جوية كثيرة الوقوع . ولما رايت كتاب الاستاذ الياس لومس من افضل ما تألف الى الان في هذا الفن كلفت الى ترجمته تلميذي ومعيني في المرصد الفلكي والمتيورولوجي المعلم فارس نمر - ب ع . فاجاب طلبي وقد اكمل العمل على اتم المراد . ثم اضفت الى كتاب الاستاذ لومس المشار اليه بعض الامور التي لم يذكرها مقتبسا اياها من عدة رصود ومؤلفات في هذا الفن وذلك لاتمام الفائدة . . . والمأمول ان هذا المؤلف يرغب على الاقل بعضا من اهل الشرق في اقتناء الآلات اللازمة لرصد الحوادث الجوية لعلهم يعينون على اكتشاف بعض مكونات الطبيعة ومستوراتها وبذلك يفيدون انفسهم وينفعون الآخرين " (١) .

(١) نمر ، فارس ، الظواهر الجوية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٦ ، ص ٢ . راجع ايضا المقتطف ، ج ١ (١٨٧٦) ص ٧٢ .

د - لقد سبق لنا ذكر كتاب سر النجاح في المصادر وذلك في طبعته الثانية التي وردت فيها ترجمة سيرة الدكتور فان ديك والتي لم ترد في الطبعة الاولى . كما ان الطبعة الاولى تحتوى على مقدمة الدكتور فان ديك للكتاب التي لم تنشر في الطبعة الثانية .

قدم الدكتور فان ديك الطبعة الاولى لكتاب سر النجاح بما يلي : اني طالعت هذا الكتاب بما يستحقه من التروى فوجدته من انفع الكتب التي يحتاج اليها كل فرد من اهل هذه البلاد وغيرها . وقد رأى ذلك قبلي كثيرون من علماء اوربا وترجموه الى اكثر لغاتها فسعيت انا ايضا في ترجمته الى العربية وطبعه فيها املا ان ينتفع اهلها به كما انتفع غيرهم من الامم الغربية وانتدبت لترجمته تلميذى المعلم يعقوب صروف ب . ع . واسأله تعالى ان ينفع به كما نفع باصله * (١) .

وقرظت النشرة الاسبوعية الكتاب بما يلي : " هو كتاب نفيس شهد له كل من طالعه انه خير كتاب لارشاد الناس الى سبل النجاح . ومن ذلك ما قاله الدكتور كرنيليوس فان ديك في مقدمته ١٠٠٠٠ اما نحن فننصح لكل من يطلب النجاح في الدنيا من المتكلمين بالعربية ان يطالع هذا الكتاب بما يستحقه من التروى ونقول ذلك عن خبر لا عن خبر * (٢) .

وذكرت جريدة لسان الحال الكتاب بقولها : " اهدانا جناب الدكتور دانيال بلس ، رئيس المدرسة الكلية الامركانية (٣) ، كتاب سر النجاح .

-
- (١) سر النجاح ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٨٠ ، ص ٢ .
- (٢) " كتاب سر النجاح " ، النشرة الاسبوعية ، العدد ٣٢ (٦ ايلول ١٨٨٠) ص ٢٨٨ .
- (٣) طبع كتاب سر النجاح في طبعته الاولى على نفقة الكلية السورية الانجيلية .

وهاك ما قاله فيه حضرة العلامة الدكتور كرنيليوس فنديك الشهير وهو كتاب
حرى بالمطالعة لما فيه من الفوائد ولا سيما لمن يباشرون الاعمال في بلاد محرومة
من الحظ كبلادنا فشكرا للمؤلف ولمن سعى والمترجم والمهدي وهي خير هدية من
كريم تهدي لبلادنا" (١) .

ويحدثنا جرجي زيدان عن اثر الكتاب في انهض الذين طالعوه . " وما
نذكره له [الدكتور فان ديك] ونعده خدمة كبرى ايعازه لاحد منشئي المقتطف
ان ينقل كتاب سر النجاح الى اللسان العربي . فان نشر هذا الكتاب النفيس بين
قرائها اثر تأثيرا كبيرا في بعثه العلم والعمل بينهم ، لانه كتاب لم يكتب كتاب
للاخلاق والاعمال على مثاله . ولا ريب عندنا انه كان سببا كبيرا في انهض الذين
قرأوه وخصوصا الشباب . فان مطالعة ما فيه من سير رجال العلم والعمل تثير في
انفس الاحرار رغبة في الاقتداء بهم والنسج على منوالهم على ان في سيرة استاذنا
[الدكتور فان ديك] ابقاه الله ما يغني عن مطالعة ذلك الكتاب" (٢) .

(١) "كتاب سر النجاح" ، لسان الحال ، العدد ٢٩٨ (١٦ ايلول ١٨٨٠)

ص ١ .

(٢) "الدكتور فان ديك" ، الهلال ، ج ٤ (تشرين الاول ١٨٩٥) ص ٤٥ .

هـ - في السادس عشر من شهر شباط ١٨٨١ بعث الدكتور فان ديك بمقالة الى مجلة المقتطف قرظ فيها كتاب الدروس الاولى في الفلسفة الطبيعية ، بادئا بذكر نبذة عما كان عليه طلب تحصيل العلم سابقا وما جد عليه مما يوجب تأليف الكتب كما تحدث عن رأيه في كيفية تعليم العلوم فقال " انه من جملة الدلائل الواضحة على نمو المعارف في سوريا اضطرار اصحاب المدارس الى ادخال العلوم الرياضية بين جملة ما يعلم في مدارسهم . فمن قبل هذه الايام اكتفت المدارس بتعليم لغة من اللغات الاجنبية بناء على قول المثل كل لسان بانسان . واما الان فمن تقدم الناس في المعارف رغبوا في تعليم اولادهم اشياء غير عدة اسما مختلفة في لغات مختلفة للشئ الواحد والتزمت المدارس ان تليي هذا الطلب فانتفض اصحاب الغيرة والفوا عدة كتب موافقة لتعليم العلوم المشار اليها في المدارس العليا . غير انه في تلك المدارس وجد المعلمون بالاختبار ان ادراك التلامذة معاني تلك المؤلفات عسر عليهم جدا لغرابة مواضيعها عن كل درس اعتادوا عليه من قبل . وكان مثل طرحهم في العميق قبلما تعلموا السباحة في الرقيق ، او مثل شروع الولد بكتاب شرح ابن عقيل قبل درسه الاجرومية . ولذلك يستحسن في كل فن ان يمر الطالب اولا على مؤلف بسيط مختصر سهل المناولة حاو القضايا الاولى وبعد ما يتمكن منها يكون على اتم الاستعداد لمطالعة المطولات في ذلك الفن " (١) . ثم اشاد بالكتاب والجهود التي بذلتها مؤلفته الخاتون الن جكسن ووصف الكتاب بانه من افضل الكتب العلمية التي ظهرت في تلك الايام وذكر انه مؤلف من عشرة ابواب ولكل باب فصول حاوية من الشرح ما يكفي لادراك الطالب اهم امور ذلك الباب بل بعض دقائقه ايضا مع ذكر احداث المكتشفات في ذلك الباب مثل التليكراف والتليفون وغيرها مما لا يسع المتعلم

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، " كتاب الدروس الاولى في الفلسفة الطبيعية " ،
المقتطف ، ج ٦ (١٨٨١) ص ١٢٩ .

في هذه الايام اهماله ويعاب على اصحاب الذوق جهله * (١) . ودعا كل مدرسة ثانوية لتبني تدريس هذا الكتاب لطلابها لانهم بدراستهم له يكونون "على استعداد كاف لادراك مطولات هذا الفن ٠٠٠ ولانه يوضح الامور الطبيعية المشاهدة حولنا كل لحظة ويزيل الاوهام الشنيعة المضرة المغلفة من جهتها ويوسع القوى العقلية ويظهر حكمة الخالق سبحانه في ما خلق * (٢) . ويذكر ان الغاية من تأليف هذا الكتاب انما هي غيرة المؤلف "على تلميذات مدرسة من مدارس البنات . فعلى حجة الورد يشرب العليق . فيكون كتابها كبير الفائدة لمدارس الصبيان ايضا . ويجب على كل معلم مدرسة ان يدرس تلاميذه اياه ، وان كان المعلم نفسه جاهلا في هذا الموضوع فليذهب الى بنت من بنات مدرسة الخاتون جكسن فتعلمه ما لم يعلم * (٣) .

-
- (١) المصدر ذاته ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ١٣٠ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ١٣٠ .

و - كتب الدكتور كرنيليوس فان ديك رسالة الى سليم البستاني ، نجل المعلم بطرس البستاني ، يحثه فيها على الاستمرار بمتابعة مشاريع المرحوم والده ، جا فيها ،

" ان ملك الاهوال قد خطف من بيننا المرحوم والدكم المحبوب ، ولا يخفى عليكم ما كان بيني وبينه من اللفة والحب والاشراك منذ اربعين سنة ونيف . فلمست ارضى ولا يرضى احد من اصحابه الكثيرين ان يسقط شي من مشروعاته دون البلوغ التام والكمال ، كما لو بقي حيا . وجنابكم كنتم مشتركين معه فيها ولكم الاطلاع التام على مقاصده واغراضه وكيفية تصرفه في كل ما شرع فيه والحالة هذه اناشدكم ان تنهضوا الهمة وتصمموا النية على اتمام الاشغال العلمية التي بدأ فيها اخي وحبيبي في حياته ولا سيما دائرة المعارف فلا تدعوا هذا المشروع المفيد يقف في سيرة نحو الكمال والتمام . وبما انكم قد اشتغلتم مع والدكم زمنا طويلا في هذا العمل ولكم الخبرة التامة بكيفية تصرفه . فعليكم ان تسعوا بتمتيه اجابة لطلب المشتركين واقتداء بقدوة والدكم الذي بذل عمره في ما يأول (كذا) الى افادة ابنا الوطن . ولا ريب ان حضرة المشتركين على العموم يشاركونني في هذا الطلب ، فاذا شئتم ان تحملوني جانبا من الشغل ، فاني مع عجزى وقصورى قابل بذلك ، اذا كتبت به اساعد على اتمام ما شرع فيه شريكي في مشاقات التأليف وخسائره ، المعلم بطرس البستاني ، لئلا ارى احد مقاصده المفيدة يخيب . ومع كفايتكم لا يخشى من ذلك هذا ما لزم والدعاء . (١) .

(١) البستاني ، سليم ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة المعارف ، ج ٧ ، ١٨٨٣ ، ص ٦٠٣ - ٦٠٤ .

وعند انتهاء طبع الجزء السابع من دائرة المعارف كتب الدكتور فان ديك في الاول من كانون الاول عام ١٨٨٣ رسالة الى سليم البستاني كرر فيها عرض خدماته وانه لا يسمح لهذا المشروع العظيم ان يتوقف ، فقال :

"اني تناولت الجزء السابع من دائرة المعارف واجلت فيه النظر ، فرأيت من الفوائد الجمة والمنافع العميقة والضبط والجمال العلمية الكثيرة ، ولا سيما جملة داء الزهري والدم والدماغ . وهي ما لا يقدر ان ينسج مثله غير اطباء علماء من الحاذقين بالتأليف ما جعلني ابادر الى تقديم التهاني لكم بهذا النجاح العظيم في تأليف كان لكم اشتراك فيه منذ اوله ولكن انفردتم به بعد ان فقدتم انتم ، بل الوطن ، المرحوم والدكم وتمكنتم مع انشغالكم بالحزن ومهام اخر كثيرة من ان تصدره في نحو نصف سنة وتكسبوا فضل اتمام مشروع عظيم لا مثيل له في اللغة العربية وهو بالحقيقة كنز لاهل الشرق . وقد سررت باقبال ابنا اللغة العربية في سائر الاقطار ، ولا سيما المصرية ، بعد وفاة المرحوم والدكم على هذا التأليف النفيس لمعاونتكم في وقت الاحتياج الى معونتهم وليحصلوا اهم كتاب لا ينتظر ظهور مثله في قرن .

هذا وانني متحقق اقتداركم على اكماله مع زيادة في الاتقان والضبط لان الذي كتب مثلكم اكثر من عشرين الف صفحة كبيرة ، تصنيفا وتأليفا وترجمة لفائدة ابنا طينته بنشر المعارف واصلاح الافكار والشؤون ، يهون عليه اكمال دائرة المعارف الثمينة بكتابة اربعة او خمسة الاف صفحة . ومع ذلك تروني مستعدا لمعاونتكم ومساعدتكم فاني كما قلت قبلا لا ارضى بل لا اسمح بان يتأخر هذا التأليف الذي يدرك

اهميته كل مدرك عاقل . ومع علو هممكم لا خوف من ذلك . واني متيقن حصولكم من
الالوف التي ادركت فضل المرحوم والدكم وشاهدت انعابكم الماضية والحالية وتحققت
نفع هذا التأليف العظيم على سند وعضد يحق لمن نهج منهجكم ان يحصل عليها
ليتيسر له اكمال خدمة وطنية ما اعظم شأن الذين يقومون بمثله في اوربا واميركا .
واسأل الله سبحانه وتعالى توفيقكم والاخذ بيدكم في هذه الاعمال الجليلة واطال
بقاءكم . (١) .

وذكر المقتطف ان الدكتور فان ديك ساهم في كتابة بعض ابواب الجزء
السابع من دائرة المعارف كالدائرة والدرجة (٢) .

-
- (١) "رسالة الدكتور فان ديك الى سليم اليستاني" ، لسان الحال ، العدد
٦٣٤ (٢٤ كانون الاول ١٨٨٣) ص ٢ .
- (٢) "الجزء السابع من دائرة المعارف" ، المقتطف ، ج ٨ (كانون الثاني
١٨٨٤) ص ٢٥٥ .

ز - وفي ٢ تشرين الثاني ١٨٨٣ بعث برسالة الى جريدة لسان الحال حول تخوفه من انتشار الاوثة نتيجة لاهمال المسؤولين اتخاذ التدابير اللازمة لاجراء التنظيفات في بعض انحاء بيروت ، جاء فيها :

حضرة منشي لسان الحال

ذكرتم في صحيفتكم الاخيرة بتاريخ ٦ الجاري : انه قد ورد تلغراف من نظارة الصحة في الاستانة بوجوب التنظيفات الكلية في جميع انحاء البلدة الخ ، فيا له درعا منيعا لو جمد ، ويخشى انه لا يجمد . واذا بنينا امالنا في المستقبل على ما مضى هبطت السطوة ومن جملة اسباب قولي هذا اني تكلمت مرارا عديدة مع العمال والادون اصحاب السطوة وغيرهم من مناظري صحة البلدة ومع اهل البلدة من جهة كون الزيل المتجمعة في حي جل البحر تحت مستشفى ماري يوحنا . فكاني انادى او اكلم اخرس . وفي مدة كل صيف لا تزال تلك الكوم تزداد يوما الى يوم روائحها وهواها الفاسد وابخرتها السامة منتشرة في كل الحي مضررة بالصحة من كل جهة فاذا حدث في البلدة وباء ، لا سمح الله ، فلا بد من اصابة الحي المذكور ولا تسلم حارات محمد افندي اياس العديدة ولا حارة حسن افندي الغندور ولا حارة الطبيب بوست ولا بيت من بيوت تلك الجيرة وتصير مركزا لامتداد المرض منه الى سائر الجهات والانحاء . فاتخذت هذه الوسيلة لاعلام اهل البلدة بانني نبهت اصحاب القول بهذا الشأن مرة واثنين ، فاذا حدث مكروه لا توجب على هذا الداعي ملامة " (١) .

ونشرت جريدة الجنة الخبر التالي : " بلغنا ان العلامة الفيلسوف الدكتور فاندريك ، حفظه الله وابقاه ، ايد رأى القائلين بعدم فائدة ضرب المهاجر الصحية في داخلية البلاد واقام برهانا على صحة حكمه قرار مجلس جنوى الطبي ايام الربا الذي حل في تلك البلاد . وغالب السبب في ذلك تعذر ضبط الحجر واحكام نظامه في الداخليات خلافا للمدن الساحلية " (٢) .

(١) " رسالة الدكتور فان ديك الشهير " ، لسان الحال ، العدد ٤٠٦ (١٠ تشرين الثاني ١٨٨٣) ص ٣ .

(٢) الجنة ، العدد ١٣١٨ (١٠ آب ١٨٨٣) ص ١ .

ح - رسالة الدكتور فان ديك الى منشئي المقتطف ، المقتطف ، ج ٧ (١٨٨٣)
ص ٧٦٠ .

يذكر منشئ المقتطف في " تاريخ المقتطف والعلم في عشرين عاما " ان طريق
المقتطف لم تكن خالية من العقبات فتصدى له عام ١٨٨٣ " جماعة من المتطفلين على
موائد العلم في جريدة التقدم ، احدى جرائد بيروت . واشفق استاذنا الدكتور فان
ديك ان نضيع الوقت في الرد عليهم فكتب الينا يقول : اني اطلعت على بعض المقالات
المدرجة في التقدم واني موكد ان الرد عليها دون قدر كما فجميع العقلاء يزيدون
اعتبارا لكما وللمقتطف اذا راعيتما السكوت الموقر لانكما ادرجتما ما هو كاف ليرى كل حكم
انكما انتما المصبيان فلا فائدة من الرد على الطعن والقدح . فاسمح لي (المقتطف ،
لكم الامر) (١) ان اطلب منكما المحافظة على المركز الوقور الذي لم يحد المقتطف
عنه . واني لكما المخلص المحب . (٢) .

-
- (١) فان ديك ، كرنيليوس ، " رسالة الدكتور فان ديك " ، المقتطف ، ج ٧ ،
(١٨٨٣) ص ٧٦٠ . لم ترد هذه الفقرة بين القوسين في تاريخ
المقتطف والعلم في عشرين عاما .
(٢) " المقتطف والعلم في عشرين عاما " ، ص ٣٢٥ .

ط - " مصائب قوم عند قوم فوائد " ، المقتطف ، ج ١ (١٨٨٥) ص ٣٢٢ .

في التاسع عشر من شهر شباط عام ١٨٨٥ غادر الدكتور يعقوب صروف بيروت متوجها الى ارض الكنانة وكان قد سبقه اليها كل من الدكتور فارس نمر وشاهين مكاربوس (١) ، وبذلك انتقلت ادارة المقتطف من بيروت الى القاهرة بعد ان صدر منه ثمانية مجلدات وخمسة اعداد من المجلد التاسع ، فكتب الدكتور فان ديك الرسالة التالية في العشرين من شهر شباط ١٨٨٥ :

لجناب الاخلاء الاعزاء منشئي المقتطف الاكرمين :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول - ولو كان ذلك لاجل مسمى لعللنا النفس
بالامال وصبرنا على تقلب الايام والاحوال ولكن ذهبتم عنا بالمقتطف وحللتكم ديار مصر
ارض الفراعنة وام التمدن وتركتمونا نشكو الم الفراق فاحرمتونا عشرة لذيدة حلت لنا
بها المعيشة هذه السنين العديدة . فقد انقضت كانها لمحقة مع طول مدتها
واصبحت كأنها احلام مع ثبوت حقيقتها . ترى هل قضى على سوريا ان تفقد كل شبانها
المشتهرين بالغيرة والفضل المجتهدين في تحسين حالها وترقية شأنها . وهل جنت
ذنبا عظيما حتى يهجرها ابناءؤها النجباء فتبيت مستوحشة لبعدهم وتبكي بكاء الثكلى
من بعدهم . ان مصر قد كسبتكم وفازت بجريدكم ولكن سوريا خسرت بفقدكم اى خسارة
فقد صدق من قال : مصائب قوم عند قوم فوائد .

(١) " رحلة المقتطف ووحشته " ، لسان الحال ، العدد ٧٥٥ (٢٣ شباط ١٨٨٥) ص ١ .

وقد اعقب لنا فراقكم شديد الاسف على انا ندعو بالخير والتوفيق للبلاد التي
انزلت المقتطف ديارها على الرحب والسعة ونشئ الجميل على الاماجد الافاضل الذين
فتحوا لكم الصدور واحلوكم محل الكرامة ونهنئهم بما كسبوه متيقنين انكم تزيدون نفعا
تحت ظلهم وتزداد جريدتكم المفيدة فوائدا بحسن معاضدتهم وآملين ان سوريا لا
تحرم من ثمارها الى ان يمن الله بها ثانية علينا ونقول : هذه بضاعتنا ردت اليها" (١) .

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، " مصائب قوم عند قوم فوائد " ، المقتطف ، ج ٩ ،

ى - رسالة الدكتور فان ديك الى الشريف محمد حسني العامري ، كاتب باسبورتات
السويس ، الهلال ، ج ٤ (١٨٩٦) ص ١٢٨ - ١٢٩ .

ردا على رسالة استلمها من الشريف محمد حسني العامري يسأله فيها حول
تدخين النارجيلة ، اجاب الدكتور فان ديك بما يلي :

" بعد التحيات ابدى اني تشرفت منذ يومين بالوكة ودكم المرقومة ٢٩ ربيع

اول تستفهمون بها عن تدخين النارجيلة : هل هو مليح ام قبيح ، متعب للنفس ام
مريح ، مضر للصحة ام مفيد ؟ فاجيبكم عن ترو وتجربة واختبار ان التدخين من اى نوع
كان عادة قبيحة مضرة وريذيلة كريهة متعبة للنفس ومؤذية للهضم مضرة بالصحة غير
مفيدة ولا بد لكم من سؤال اخر ولوفي الضمير اى " اذا لماذا . . . الخ " فلا جواب
عندى الا ان النفس امارة بالسوء . قيل من ساواك بنفسه ما ظلمك . وان ذاك

فسمحت لكم بنفس بعد العشاء وانتهاء شغل النهار ، الهاء لكم عن تشغيل النظر
على النور الاصطناعي . كنت في ايام الشبيبة ادخن التبغ والتبناك كثيرا ، فاذا دخل
مكتبي احد كاد لا يراني من عبوق الدخان ، ثم وجدت من ذلك اضارا فتركته تركا
تاماً . ولما استولى علي ضعف البصر من كثرة المطالعة نهارا اضطرت الى تركها ليلا ،
فدفعنا للزعل وتسليية للفكر نوعا صرت ادخن نفس تنباك بعد العشاء واخر النوم

لتخدير الدماغ بعض التدخين جلبا للنوم وكثيرا ما ابطلت هذه العادة شهورا متتالية
ثم غلبت النفس الامارة بالسوء مدة فعدت وعلى قول العامة : والعمل عمال . ولكن اسبح
لي ايضا سيدى بسؤال وهو اين واى متى رايتموني ادخن النارجيلة ، اني اضغاث
الاحلام او وشى بي عندكم من كان اولى بكم السر . سألني كثيرون قبلكم ايها انفع تدخين
النارجيلة او تدخين التبغ فاجيبكم يقول المثل الزقاني : كما حنا كما حنين لعنة الله
على الاثنين .

هذا سيدى مع المعذرة عن القصور عما تستحقه الوكة ودكم الكريمة . (١) .

الفصل السادس

مكانة الدكتور فان ديك العلمية

رأينا في الفصل الاول من هذا البحث كيف ان العقد الرابع من القرن التاسع عشر كان بداية عصر اليقظة في الديار الشامية بعد سبات عميق طال امده ما يزيد على ثلاثة قرون ، ولقد مر معنا في الفصول الاخرى في اثنا استعراضنا لمختلف نشاطات الدكتور فان ديك ، منذ ان وطأت قدماه بيروت في الثاني من نيسان عام ١٨٤٠ الى حين وفاته في الثالث عشر من تشرين الثاني عام ١٨٩٥ ، كيف انه قام بدور فعال في ارساء قواعد نهضة الديار الشامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على اسس راسخة ومتينة فكان اول مهبط لهذه النهضة واعظم مشيد لاركانها العلمية والادبية . واما الخدمات الجليلة التي اسداها الى النهضة العلمية العربية الحديثة وتطور الفكر فتختصر في ثلاثة ابواب :

١ - المعاهد التي انشأها او اشترك في انشائها ٠ و ٢ - فئات الطلاب الذين علمهم ومهرهم بالشوق وحسن التفكير والتعبير العلميين ، فصاروا من بعد ، بين اركان النهضة العلمية في مرحلتها التالية ٠ و ٣ - الكتب العلمية التي ألفها وطبعها بالعربية ٠ (١) ولهذا المجهود الجبار الذي بذله في سبيل خدمة وطنه الثاني الذي ضحى (٢) بمعظم وقته من اجل اعلائه وانهاضه ، اعتبر بحق " محيي رفات المعارف في بلاد الشام بكتبه ومدارسه ، وغارس أرواح الفضائل في النفوس بسيرته

(١) صروف ، فؤاد ، " تطور الفكر العلمي العربي في المئة عام الاخيرة " ،

الابحاث ، ج ١٥ (١٩٦٢) ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) كان مبدأ الدكتور فان ديك " انه اشرف للانسان ان يموت شهيد التعب

من ان يموت شهيد الكسل " ، جسيبه عنري ، " خطبة تذكارية " ،

النشرة الاسبوعية ، العدد ١٥٥٩ (١٨٩٥) ص ٤٠٠ .

ومواعظه • ونصير العلم • نصير الحق • نصير الحرية • قدوة المجتهدين في نشر العلوم وبث الفضائل" (١) • ويعزّو جرجي زيدان الفضل في النشأة العلمية في العالم العربي الى انه " راجع معظمه الى رجلين اعجميين احدهما اميركاني وهو الدكتور كرنيليوس فان ديك في سورية ، والاخر افغاني وهو السيد جمال الدين في مصر • ولكن بين الرجلين تخالفا في الاخلاق والاطوار" (٢) • واعتبره المقطم السبب في انهض الديار الشامية وتمنى لو ان المولى تعالى قبض لكل بلد من البلدان الشرقية واحدا مثله لانهاضها ، فيقول : " والزمان لا يخلو من النوابع ولكن النابغين في العلوم والفضائل الذين اوتوا من الذكاء والحكمة والدراية والهمة حفا ينهضون به ببلاد واسعة من حضيض الجهل ويسيرونها بانبائها في سبيل العلم مثل فقيد الشام [الدكتور فان ديك] بل فقيد الشرق قليل عددهم ، لا يولد منهم في الدهر واحدا • ولو اسعد الله كل بلاد من بلدان المشرق برجل مثل الفقيد لعادت اليها شمس المعرفة ورتقي بنوها ذرى المعالي" (٣) وينظر اليه الصحفي العراقي رفائيل بطي نظرة " المعلم الاكبر لسورية الكبرى" (٤) ، ويعدّه الدكتور فؤاد صروف " في طليعة الذين وجهوا النهضة العلمية العربية ، وغذوا الفكر العلمي العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بفضل ما انشأ وعلم والف" (٥) .

(١) "الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، المقطم (١٣ تشرين الثاني ١٨٩٥) ص ١ ،

والمقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ١٠٢ .

(٢) "علموهم واتركوهم" ، الهلال ، ج ٢ (١٨٩٨) ص ١٣ .

(٣) "الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، المقطم (١٣ تشرين الثاني ١٨٩٥) ص ١ ،

والمقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ١٠٣ .

(٤) الكتاب الذهبي لعيد المقتطف الخمسيني ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ،

١٩٢٦ ، ص ١٦٦ .

(٥) صروف ، فؤاد ، "تطور الفكر العلمي العربي في المئة عام الاخيرة" ، ص ١٦١ .

ويعود الفضل للدكتور كرنيليوس فان ديك في وضع حجر الاساس للعمل العلمي المنظم في حقل تأسيس المدارس والاشترك في تأسيسها ، فمعهد عبيه مثلا كان من المدارس الاولى الحديثة ، التي بدأت تعنى في مناهجها بتدريس العلوم الحديثة ، وان كان ذلك على مستوى يدخل في طاقة تلاميذها يومئذ (١) ، وقد مهد هذا المعهد لقيام الكلية السورية الانجيلية في بيروت ، وفيه تلقى العلوم عدد من الطلاب انتظموا فيما بعد في الصف الاول في الجامعة [الكلية السورية الانجيلية] سنة ١٨٦٦ (٢) . كما وضع الدكتور فان ديك بالاشتراك مع تلميذه وزميله الدكتور يوحنا ورنبات نظاما لدروس كلية الطب في الكلية السورية الانجيلية في بيروت عند تأسيسها عام ١٨٦٧ ، وما يشهد لهما ببعد النظر ، ان مدة الدراسة فيها جعلت اربع سنوات ، مع ان منهاج الكليات الطبية الاميركية ، كان يقتصر على ثلاث سنوات وحسب (٣) .

وكان السباق في وضع الالفاظ العلمية العربية في حقل تأليف الكتب العلمية الحديثة وفي حقل ترجمتها ، هذه الكتب التي ذكر الدكتور يعقوب صروف ، وهو من الذين درسوا فيها في اثنا تحصيله العلم في مدرسة عبيه وفي الكلية السورية الانجيلية ثم عاد فدرسها في اثنا تدريسه في طرابلس وصيدا والكلية السورية الانجيلية ، انه طالع "مؤلفات كثيرة للفرنسي على شاكلتها" فلم يجد "اعم منها فائدة ولا اوفى بالغرض" (٤) . وذكر منشأ المقتطف انه لو وزعت تأليف الدكتور

(١) المصدر ذاته ، ص ١٦١ . من اجل نظام معهد عبيه والدروس التي كانت تدرس فيه راجع اعلاه الفصل الثالث .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٦٤ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٦٤ .

(٤) "كرنيليوس فان ديك" ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ٢ .

فان ديك " التي خطها قلمه ولم تشاركه فيها يد غربية على خمسة من المؤلفين
المجتهدين لاستغرقت اوقاتهم جميعا وزادت عليها (١) ، وابديا ، ردا على
انتقاد جريدة البشير لكتب الدكتور فان ديك العلمية ، رأيهما في هذه الكتب
بما يلي : " وما اضحكنا الا قول احق من بشير اليسوعيين انه [الدكتور فان ديك]
على كثرة تأليفه لا يرتفع مقامه على مقام مترجم . فهب يا هذا انه مترجم فهل
يسوغ لجاهل مثلك ان ينكر فضله وهو قد ترجم كل ما ترجم ، ولكن من ادراك انه
مترجم وانت لا تفهم كتابا من كتبه ، وما هي اسما' الكتب التي ترجمها . وكتاب اصول
الهيئة ، وهو كتاب صغير بالنسبة الى كتبه التي لا تعرف ان تعدها ، ملخص
من اكثر من عشرين كتابا من كتب الهيئة المشهورة ومن مقالات عديدة لاعضاء المجامع
الفلكية عدا عن الارصاد والملاحظات الشخصية . ولم نخص هذا الكتاب بالذكر الا
لان الفرص سمحت لنا بالاطلاع على المكتبة التي لخص منها ايام تدريسنا في المدرسة
الكلية [الكلية السورية الانجيلية] . ولو استطلعت الخبرين عن حقيقة مؤلفاته
لرأيت ان كل مؤلف منها قد لخص من مؤلفات عديدة بعد درس طويل وجهد كثير
واختبار عظيم (٢) .

وفيما يتعلق بسلسلة كتب النقش في الحجر ذكرت سابقا ان المقتطف كان
يحت المدارس الثانوية بصورة عامة ونظارة المعارف المصرية بصورة خاصة على

(١) " وضدها تتبين الاضداد " ، المقتطف ، ج ٨ (١٨٨٤) ص ٦٩٨ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٦٩٨ - ٦٩٩ .

تبنى تدريس هذه الكتب . وفي عام ١٨٩٦ ذكر الدكتور يعقوب صروف ان الدكتور فان ديك " الف كتب النقش في الحجر في ثمانية اجزاء حاذيا فيها حذو جماعة من كبار العلماء الذين افوا كتب المبادئ باللغة الانكليزية فجرى مجراهم وزاد عليهم ما تتم به الفائدة . فاقبلت المدارس على هذه الكتب اى اقبال واقترت نظارة المعارف المصرية تدريسها في مدارسها " (١) . ويقيم لنا الدكتور فؤاد صروف سلسلة النقش في الحجر بانها السلسلة العربية الاولى من الكتب العلمية " التي بسطت فيها العلوم في العصر الحديث في لغة عربية سليمة وبعبارة موفقة " (٢) ، و اضاف فيما يتعلق بالعصر الذهبي في تاريخ اللغة العربية " (٣) في الكلية السورية الانجيلية منذ عام ١٨٦٦ حتى عام ١٨٨٢ قوله بانه " من حسنات الدهر يومئذ ، ان الاساتذة الاميركيين الذين كانوا يدرسون فيما كانوا قد تلقوا علوم اللغة العربية على اساتذة من ائمتها كالشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير ، وغيرهما . فتيسر لهم نقل المعاني العلمية الى اذهان طلابهم حديثا ومحاضرة ، كما بين يعقوب صروف فيما كتبه عن فاندريك وورتيبات (٤) ، ثم عكفوا على تضمينها في كتب تداولها الدارسون ، ولا تزال هذه الكتب من مصادر التعبير العلمي والمصطلحات العلمية الى يومنا هذا " (٥) . ولا

(١) " كرنيليوس فان ديك " ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ١٠ . وذكر الشيخ محمد

رشيد رضا انه كان يطالع " كتاب النقش في الحجر في مبادئ العلوم

العصرية للدكتور فان ديك " ، رضا ، محمد رشيد ، المنار والازهر ،

القاهرة ، ١٩٣١ ، ص ١٤٢ .

(٢) صروف ، فؤاد ، " يعقوب صروف " ، رسالة العلم ، ج ٢٥ (١٩٥٨) ص ٤٠٢ .

(٣) ضومط ، جبر ، " العربية والمدرسة الكلية " ، المقتطف ، ج ٢٨ ، (١٩٠٣) ص ٩٠٦ .

(٤) اعلام المقتطف ، ص ١٧٩ - ١٨٩ ، وص ٢٣١ - ٢٣٦ .

(٥) صروف ، فؤاد ، " تطور الفكر العلمي العربي في المئة عام الاخيرة " ،

ص ١٦٢ .

غروان تصبح هذه التعابير والمصطلحات العلمية جزءاً من تراث اللغة العربية في كتابة العلوم لانها وليدة البحث والتنقيب والاستقصاء الطويل وبصورة خاصة لان الدكتور فان ديك كان قد "جمع الاسماء العلمية والعبارات والاصطلاحات العربية التي وضعها علماء العرب في الطب والفلك والرياضيات والطبيعيات بمساعدة استاذيه في اللغة العربية الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير - اقدر واشهر علماء اللغة العربية في عصرهما - ثم راجعها نفسه في مظانها ومحصها وقابلها بما ورد في الكتب اللاتينية المترجمة من العربية واخيراً بما ورد في الكتب الانكليزية والفرنسية والالمانية المترجمة من اللاتينية ، وقد فعل ذلك لكل عناية وتدقيق ويهدئذ باشر التأليف في المواضيع المشار اليها فأنت كتبه حجة في الاسماء والتعابير والاصطلاحات العربية (١) .

ولم يكن الدكتور فان ديك في عمله في مرصد الكلية السورية الانجيلية متطفلاً على هذا الفن بل كان ملماً كل الالمام بدقائق علم الفلك حتى انه عقد " اتفاقاً مع السلطات العثمانية على ارسال الارصاد الجوية برفيا كل يوم ، الى المرصد السلطاني

(١) جرداق ، منصور ، " اول ثورة مدرسية في العالم العربي " ، اوراق لبنانية ، ج ٢ (١٩٥٦) ص ٥٤٠ . نستطيع ان نعول على رأى الاستاذ جرداق في كتب الدكتور فان ديك العلمية والتعابير الواردة فيها ، لانه عمل في حقل " الترجمة والتأليف والتدريس اكثر من نصف قرن " ، المصدر ذاته ، ص ٥٤٢ .

في الاستانة ، ومنه الى مكتب الارصاد الجوية الامبراطوري في فيينا . وكانت ارصاد الوقت بالقياس الى النجوم تعمل مرة كل اسبوع ، وعند وصول البواخر الى بيروت كان ربابنتها يجيئون الى المرصد بساعاتهم (كرونومترات) لضبطها . وقد ضبط فانديك ايضا موقع المرصد ضبطا دقيقا ، فأعاد الكرة على دقائقه الاساتذة روبرت وست وريموند دوغان ومنصور جرداق فوجدوها صحيحة . (١) .

وادي تشديد الدكتور فان ديك على استخدام اللغة العربية واسطة للتعليم في مدرسة عبيه ثم استخدمها ايضا واسطة للتعليم في اوائل عهد الكلية السورية الانجيلية منذ عام ١٨٦٦ الى عام ١٨٨٢ (٢) ، واحيائه للكثير من العلوم العربية بواسطة طبعه اياها (٣) ، واتمام ترجمة التوراة الى العربية على يديه ، الى النهوض بالحياة العقلية العربية من مستوى القرون الوسطى الى مستوى العصور الحديثة (٤) . ويقيم الدكتور يعقوب صروف عمل الدكتور كرنيليوس فان ديك بالمطبعة الاميركانية بما يلي : " من يستطيع ان يكتب تاريخ النهضة العلمية والادبية التي انتشرت في كل البلدان العربية ولا يخص المطبعة الاميركانية بفضل

(١) برون ، فرانس ، " مرصد الجامعة الاميركية في بيروت وتدريس علم الفلك فيها " ، الابحاث ، ج ١٦ (١٩٦٣) ص ٥٠٢ .

(٢) ذكر الشيخ محمد رشيد رضا انه " كان من ضمن التوفيق ان وجد في اساتذة هذه المدرسة من احب العرب والعربية وسورية والسوريين حبا خالصا غير مشوب بالهوى ، وفي مقدمتهم الدكتور كرنيليوس فان ديك " ، الكتاب الذهبي لعيد المقتطف الخمسيني ، ص ٨٨ .

(٣) مكاريوس ، شاهين ، " المعارف في سورية " ، ص ٣٨٢ . راجع اعلاه ص ٤ .

(٤) فارس ، نبيه ، " اميركا والنهضة العربية الحديثة " ، ص ٣٨٢ . وضعت هذه الجملة بالاصل للدلالة على دور البروتستانت الاميركان ، وقد اقتبسها هنا لان معظم اعمالهم كان يقوم بها الدكتور فان ديك .

كبير منه . من يستطيع ان يغفل ما لهذه الدار من الايادى البيضاء على لغتنا وعلومنا
وادابنا لا سيما وانه كان من نصيبها ان تولى ادارتها من اول نشأتها رجال اشرت
قلوبهم حب العلم والرغبة في تثقيف العقول وتنوير الازهار ، اخص منهم بالذكر رجل
العلم والفضل الخالد الاثر الدكتور كرنيليوس فان ديك الذى خدم ابنا العربية بما
الف وترجم خدمة تفوق كل تقدير " (١) .

وكان الدكتور فان ديك من اشد انصار الحرية الفكرية قولاً وعملاً فعضد
الدكتور ادون لويس عندما تنكر لخطبته المشهورة (٢) فريق من المتزمتين واضطروه
الى تقديم استقالته من الكلية " فثار فان ديك وغيره من الاساتذة والطلاب على
ما حدث ، لانه في نظرهم عدوان على الحرية العلمية الجامعية " (٣) . ولقد كان
الفضل في بث روح الحرية راجع الى تربية الكلية السورية الانجيلية ، وفان ديك
احد اساتذتها ، " فانها ربت تلامذتها على حرية الفكر وحرية القول وعودتهم الحرية
الشخصية والمساواة في الحقوق حتى كان التلميذ يشكو استاذة الى عمدتها اذا
توهم انه خرج في معاملته عن الحدود المفروضة له والعمدة تنصف صاحب الحق
ولو كان اصغر التلاميذ — هذا الروح الذى تمتاز به هذه المدرسة على سائر
مدارس الشرق كان له تأثير كبير في ترقية نفوس السوريين في هذه النهضة وهو الذى
سوغ لتلامذة الطب في هذا العام (١٨٨٢) التظلم للعمدة لاعتقادهم بصواب

(١) المطبعة الاميركانية — خدمة ١٠٠ سنة — ١٨٢٢ — ١٩٢٢ ، ص ٢٦ —

٢٧ .

(٢) راجع الفصل الرابع اعلاه .

(٣) صروف ، فؤاد ، تطور الفكر العلمي العربي في المئة عام الاخيرة ، ص

١٩٢ .

عملهم * (١) . وهنا ايضا كان للدكتور فان ديك موقفا مؤيدا للطلاب عندما طردتهم الكلية السورية الانجيلية ، فقدم استقالته * واحتمل ضم فراقها وانكر ذاته وتنازل عن مصلحته الخصوصية اذ عانا لحيرة ضميره فانه لم يستطع المشاركة في الحكم على شبان لم يطالبوا الا العدل والحق * (٢) .

واذا رام احد ان يعرف اعتبار الذين عاشروه وحكمهم فيه فليسمع ما قالته عنه جمعية الروم الارثوذكسية البيروتية في تقريرها لعام ١٨٨٥ : " ان الدكتور كرنيليوس فان ديك موازرها ومناصرها وطبيب مرضاها ومرشد مستشفاها والعصديق اليها وحسبه اجرا وفخرا وجوده ، على رغم الشيخوخة ، في مخدع التطبيب والمرضى شاخصون اليه شخوص الملسوعين الى موسى ورمزه . هذا يستنبطه قليلا وذاك يسأله الدواء عجولا وذلك يرجوه الشفاء عليلا وهو يحبو هذا بالعطاء وذاك بالدواء وذلك بكلمة اشفى من دواء * والجمعية وان تكن لا تزيد الناس علما به تجني اذا لم تعترف علنا في هذا المعرض انه لا تنفتح في الصبح عيناه الا على لائذ بجناحه . ولا يخلق في المساء بابه الا على منصرف مرتض او واقف في بابه . ولا يأوي في ليلته غرفته الا ليكب على مكتباته وكتابه — حياة امتلاء بطاعة الحداثة ونشاط الصبا ومروءة الفتوة واقدام الشباب ومقدرة الكهولة وحكمة الشيخوخة — وهي في كل ادوارها ذكاء وفطنة ، ودرسي ومعرفة ، وعلم وعمل ، واستفادة وافادة ، وعبادة لله ، وحب للقريب ، وخدمة للانسانية . نعم ولولا اشتهار فضله ونبله والعجز عن ايراد ما يصلح لمثله لقامت الجمعية الى مديحه قيامه

(١) " مذكرات جرجي زيدان " ، ص ٢٧٣ .

(٢) الهلال ، ج ٤ (١٨٩٥) ، ص ٤٧ .

الى نصرته البشرية . فهي تجتزى بالذكر والشكر وتسأل الله ان يسره فيما يسوءه وان لا يسوءه فيما يسره . (١) . وكانت اعماله الخيرية كثيرة حتى قيل فيه " لم تقم جمعية علمية او ادبية الا كان المنشط في انشائها ولا انشئت مدرسة الا كانت له يد بيضا فيها ، وهكذا قل عن المستشفيات والكنائس ، ولا يقتصر في مساعدته على التنشيط الادبي ولكنه يجود بالبذل والعطاء والخدمة الشخصية علما وعملا لا ينظر في كل ذلك الى مذهب دون اخر او طائفة دون اخرى . (٢) . ولقد كان فعلا " على ضالة جسمه من عمالقة الهمم . يذكر باولئك العظام في القرون الوسطى الذين اتخذوا المعرفة كلها ملكا لهم كما قال فرنسيس بيكون عن غرضه في الحياة . (٣) .

وهكذا كانت حياة الدكتور فان ديك كلها نشاط وحيوية وخير فحق له ووجب علينا ان يسجل اسمه بين اوائل الرواد الذين تقدمونا " فعبدوا بما بذلوا وعانوا ، ونقبوا وكتبوا ، طريقا وعرة لهذه اليقظة الفكرية العارمة التي نستشعرها ، ففي ذكرهم تنطوي رسالة ما احوجنا الى تمليحها والاهتداء بها . (٤) .

-
- (١) " الدكتور فان ديك " ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ٥ .
(٢) " كرنيليوس فان ديك " ، الهلال ، ج ٤ (١٨٩٥) ص ٤٥ .
(٣) " صروف فواد " ، تطور الفكر العلمي العربي في المئة عام الاخيرة ، ص ١٦٣ .
(٤) " صروف فواد " ، يعقوب صروف ، رسالة العلم ، ج ٢٥ (١٩٥٨) ص ٤٠١ .

المصادر والمراجع العربية

١ - الكتب :

- البستاني ، بطرس ، اعمال الجمعية السورية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٢ .
- البستاني ، بطرس ، خطبة في اداب العرب ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، لا . ت .
- صروف ، يعقوب ، كتاب سر النجاح ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، الطبعة الثانية ، ١٨٨٦ .
- تهناني العلامة الدكتور كرنيليوس فان ديك ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٩١ .
- فنديك ، ادوارد ، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من اشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٨٩٦ .
- بارودي ، اسكندر ، حياة كرنيليوس فان ديك ، بعدا ، المطبعة العثمانية ، ١٩٠٠ .
- الدبس ، يوسف (المطران) تاريخ سورية ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ج ٨ ، (١٩٠٥) .
- شيخو ، لويس ، الاداب العربية في القرن التاسع عشر ، بيروت ، مطبعة الابرار اليسوعيين ، ج ٢ ، ١٩١٠ .
- دي طرازي ، فيليب ، تاريخ الصحافة العربية ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ج ١ ، ١٩١٣ .
- زيدان ، جرجي ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، القاهرة ، مطبعة الهلال ، ج ٢ ، ١٩٢٢ .
- المطبعة الاميركانية - خدمة ١٠٠ سنة - ١٨٢٢ - ١٩٢٢ ، بيروت ، المطبعة الاميركانية ، ١٩٢٣ .
- اعلام المقتطف ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٢٧ .
- سركيس ، يوسف اليان ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، مطبعة سركيس ، ١٩٢٨ .

- العيد المئوي لنقل المطبعة الاميركانية الى بيروت ، بيروت ، مطبعة الاميركان ،
١٩٣٤ .
- عيسى ، احمد ، معجم الاطباء من سنة ٦٥٠ الى يومنا هذا ، القاهرة ، مطبعة
نوري ، ١٩٤٢ .
- زيدان ، جرجي ، تاريخ اداب اللغة العربية ، القاهرة ، دارالهملا ، طبعة
ثانية ، ١٩٥٢ .
- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، القاهرة ، مطبعة كونستانتينوس ، ج ٦ ، ١٩٥٦ .
- كحالة ، رضا ، معجم المؤلفين ، دمشق ، مطبعة الترفي ، ج ٨ ، ١٩٥٩ .
- حتي ، فيليب ، لبنان في التاريخ (ترجمة الدكتور انيس فريحة) ، بيروت ، مؤسسة
فرنكلين للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ .
- انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب (ترجمة ناصر الدين الاسد) ، بيروت ، مؤسسة
فرنكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ .
- "اليوبيل المئوي للنشرة " ، النشرة ، العدد ٤ (نيسان ١٩٦٤) .

٢ — المقالات :

- رسالة الدكتور فان ديك حول افتتاح مدرسة عبيه بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٨٤٦ •
- الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٨٣ — ٨٤ •
- رسالة الدكتور كرنيليوس فان ديك حول الوضع التعليمي في مدرسة عبيه خلال عامها
- الاول ، الميشنري هيرلد ، ج ٤٣ (١٨٤٧) ص ٢٧٢ — ٢٧٣ •
- رسالة الدكتور كرنيليوس فان ديك بتاريخ ٣٠ آب ١٨٦٤ حول الانتهاء من ترجمة الكتاب
- المقدم ، الميشنري هيرلد ، ج ٦٠ (١٨٦٤) ص ٣٦٣ •
- "ارتداد السهام على اليسوعي فان هام"
- النشرة الاسبوعية ، العدد ٥١ (١٧ كانون الاول ١٨٧٢) ص ٤٠٢ — ٤٠٣ ،
- والعدد ٥٢ (٢٤ كانون الاول ١٨٧٢) ص ٤١٢ — ٤١٣ ،
- والعدد ٥٣ (٣١ كانون الاول ١٨٧٢) ص ٤١٩ — ٤٢٠ ،
- والعدد ١ (٧ كانون الثاني ١٨٧٣) ص ٣ — ٤ ،
- والعدد ٢ (١٤ كانون الثاني ١٨٧٣) ص ١٣ — ١٤ ،
- والعدد ٣ (٢١ كانون الثاني ١٨٧٣) ص ٢١ — ٢٢ ،
- والعدد ٤ (١٨ كانون الثاني ١٨٧٣) ص ٢٨ — ١٩ •
- "مختصر تاريخ جمعية شمس البر" ، النشرة الاسبوعية ، العدد ١٤ (٤ نيسان
- ١٨٧٦) ص ١٠٨ — ١٠٩ •
- البستاني ، سليم ، " دائرة " ، دائرة المعارف ، ج ٧ (١٨٨٣) ص ٥٩٤ •
- مكاريوس ، شاهين ، " المعارف في سورية " ، المقتطف ، ج ٧ (شباط ١٨٨٣)
- ص ٣٨٥ — ٣٩٢ ، و ص ٤٦٠ — ٤٧٦ ، و ص ٥٢٩ — ٥٣٧ •
- " و ضد ها تتبين الاشياء " ، المقتطف ، ج ٨ (١٨٨٤) ص ٦٩٨ — ٧٠٠ •
- "الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، اللطائف ، ج ١ (١٨٨٦) ص ٥٧ — ٦٣ ،
- و ص ١٤١ •
- "الاحتفال الخمسيني للعلامة الدكتور فان ديك" ، لسان الحال ، العدد ١٢٠١
- (٢٣ كانون الثاني ١٨٩٠) ص ١ •

— "اشترك أبناء الوطن الكرام بالاحتفال بعيد الخمسين للدكتور فان ديك" ،

لسان الحال ، العدد ٢٢١ (٣ نيسان ١٨٩٠) ص ١ .

— "يوبيل الدكتور فان ديك" ، لسان الحال ، العدد ١٢٢ (١٠ نيسان ١٨٩٠) ص ١ .

— "يوبيل الدكتور فان ديك" ، المقتطف ، ج ١٤ (١٨٩٠) ص ٣٢٠ - ٣٢٣ .

— جسب ، هنرى ، "احتفال تذكاري مدرسة البنات الاميركية ، النشرة الاسبوعية ، العدد

١٤٧٤ (٢٧ نيسان ١٨٩٤) ص ١٢٩ - ١٣٠ .

— جسب ، هنرى ، "خطبة تذكارية في ترجمة حياة الدكتور كرنيليوس فان ديك" ،

النشرة الاسبوعية ، العدد ١٥٥٨ (٧ كانون الاول ١٨٩٥) ص ٣٨٩ - ٣٩٣ ،

والعدد ١٥٥٩ (١٤ كانون الاول ١٨٩٥) ص ٣٩٧ - ٤٠١ .

— زيدان ، جرجي ، "الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، الهلال ، ج ٤ (ايلول ١٨٩٥)

ص ٣ - ٨ ، ص ٤٢ - ٤٨ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، ص ٣١٩ -

٣٢٠ ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .

— البارودي ، اسكندر ، "فقد سوريا استاذنا الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، الطبيب ،

ج ٧ (كانون الاول ١٨٩٥) ص ١٩٣ - ١٩٧ .

ج ٧ (كانون الثاني ١٨٩٦) ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

— "الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، المقتطف ، ج ١٩ (١٨٩٥) ص ٨٨١ - ٨٨٨ .

— "الدكتور كرنيليوس فان ديك - اخلاقه ومناقبه" ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦)

ص ١ - ٥ ، ص ٧٩ - ٨٠ ، ص ٩٧ - ١٠٥ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

— "تاريخ المقتطف والعلم في عشرين عاما" ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ٣٢١ -

٣٢٨ .

— زيدان ، جرجي ، "تاريخ الطباعة" ، الهلال ، ج ٦ (١٨٩٨) ص ٢٥٣ .

— "تمثال الدكتور كرنيليوس فان ديك" ، الهلال ، ج ٧ (١٨٩٩) ص ٣٥٣ - ٣٥٧ .

— باخوس ، نجيب ، "غزير" ، المشرق ، ج ٣ (١٩٠٠) ص ٢١٢ .

— شيخو ، لويس ، "تاريخ فن الطباعة في المشرق" ، المشرق ، ج ٣ (١٩٠٠)

ص ٣١٩ و ٣٥٩ و ٥٠٢ .

- "مدرسة عين طورا"، لـاحد الـاباء الـيسوعيين، المشرق، ج ٣ (١٩٠٠) ص ٥٥٠.
- زيدان، جرجي، "تاريخ النهضة العلمية الاخيرة في مصر والشام"، الهلال، ج ٩ (كانون الثاني ١٩٠١) ص ٢٣٥ - ٢٤٦.
- "مذكرات الدكتور فان ديك من سنة ١٨٣٩ - ١٨٥١"، الهلال، ج ١٤، (١٩٠٦) ص ١٩٥ - ٢٠٥، و ص ٢٧٣ - ٢٨٠.
- سر كيس، يوسف اليان، "الجمعية المشرقية في بيروت"، المشرق، ج ١٢، (كانون الثاني ١٩٠٩) ص ٣٢ - ٤٠.
- قربان، داود، "الكلية في ايام تلمذتنا - نحن وفانديك"، الكلية، ج ٢، (١٩١١) ص ٦١ - ٦٢.
- صروف، يعقوب، "تمثالا المرحومين الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات"، الكلية، ج ٤ (نيسان ١٩١٣) ص ١٣٩ - ١٤٤، والمقتطف، ج ٤٢ (١٩١٣) ص ٤٨١ - ٤٨٦.
- شيخو، لويس، "الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية"، المشرق، ج ٢٠، (١٩٢٢) ص ١٠٠٤.
- حتي، فيليب، "اسعد يعقوب الخياط"، الكلية، ج ٩ (شباط ١٩٢٣) ص ١٧٨.
- زيدان، جرجي، "تاريخ اول ثورة مدرسية في العالم العربي - صفحات من مذكرات مؤسس الهلال"، الهلال، ج ٣٣ (١٩٢٤) ص ١٧ - ٢٠، و ص ١٥٣ - ١٥٦، و ص ٢٧١ - ٢٧٥، و ص ٣٧٣ - ٣٧٦، و ص ٥١٦ - ٥٢٠، و ص ٦٣٧ - ٦٤٠.
- "نوابغ المدرسة المارونية الاولى"، المشرق، ج ٢٢ (١٩٢٤) ص ١٧ و ١٠٠ و ٣٤١ و ٤٣٨ و ٤٩٧ و ٥٨٦ و ٧٠٨.
- رستم، اسد، "بيروت في عهد ابراهيم باشا المصري"، الكلية، ج ١٣ (كانون الاول ١٩٢٧) ص ١٢٨.
- البستاني، فؤاد افرام، "الحياة العقلية في لبنان قبل مائة عام"، المشرق، ج ٢٧ (١٩٢٩) ص ٢٧٦ - ٢٨١.

- موصلي ، سليم ، "الحكيم كزيليوس فان ديك" ، الكلية ، ج ٩ (١٩٣٢) ص ٢ - ٧ .
- نمر ، فارس ، "بعد ستين سنة - ذكريات في عهد الصبا" ، المقتطف ، ج ٨٨ ، (١٩٣٦) ص ٥٦١ - ٥٧٠ .
- طيارة ، شفيق ، "من معابد بيروت - الزوايا" ، اوراق لبنانية ، ج ١ (تشرين الاول ١٩٥٥) ص ٤٨٤ .
- صروف ، فؤاد ، "يعقوب صروف" ، رسالة العلم ، ج ٢٥ (١٩٥٨) ص ٤٠١ - ٤٢١ .
- فارس ، نبيه ، "اميركا والنهضة العربية الحديثة" ، الابحاث ، ج ١١ (ايلول ١٩٥٨) ص ٣٧٩ - ٣٩٥ .
- زريق ، قسطنطين ، "حقائق باقية" ، الابحاث ، ج ١٣ (حزيران ١٩٦٠) ص ٢٠٣ - ٢١٩ .
- صروف ، فؤاد ، "تطور الفكر العلمي العربي في المئة عام الاخيرة" ، الابحاث ، ج ١٥ (حزيران ١٩٦٢) ص ١٥١ - ٢١٢ .

المصادر والمراجع الاجنبية

الكتب :

- Bird , Isaac , Bible Work in Bible Lands , Phila. Press, C. 1872 .
- Annual Reports - Board of Managers - Syrian Protestant College ,
1866 - 1902 , Beirut , American University of Beirut, 1963 .
- Brief Documentary History of the Translation of the Scriptures in
to the Arabic Language , Beirut , American Press, 1900 .
- A Brief Chronicle of the Syria Mission 1819 - 1901 , Beirut ,
American Press , 1909 .
- Jessup , Henry , Fifty Three Years in Syria , New York , Fleming
H. Revell , 1910 .
- Bliss , Daniel , The Reminiscences of Daniel Bliss , New York ,
Revell , 1920 .
- Penrose , S.B.L. , That the may have life , the story of the
American University of Beirut 1866 - 1941 , New York , Trustees
of A.U.B , 1941 .
- Dodge , Bayard , The American University of Beirut , Beirut ,
Khayat , 1958 .
- Thompson , John , The Major Arabic Bible , New York , 1956 .

٢ - المقالات :

- " Jubilee of Dr. Van Dyck " , Church at Home & Abroad ,

(June 1891) , PP. 484 - 486 .
- Khairala , K.T. , "La Syrie " , Revue Du Monde Musulman ,

Vol. XIX (1913) PP. I - 147 .
- Sa'di , Lutfi , " Al - Hakim Cornelius Van Alen Van Dyck " ,
Isis , Vol. 27 (1937) PP. 20 - 45 .

- Tibawi , A.L. , " The American Missioneries in Beirut " ,
St. Antony's Papers No.16 -M.E.A. No. 3 - London , 1963 ,

PP. 137 - 182 .

قائمة بكتب الدكتور كرنيليوس فان ديك

- كتاب المرأة الوضعية في الكرة الارضية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥١ .
- كتاب الروضة الزهرية في الاصول الجبرية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٣ .
- الاصول الهندسية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٧ .
- محيط الدائرة في علمي العروض والقافية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٧ .
- اصول الكيمياء ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٦١ .
- كتاب في الجدري والحصبة للرازي ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٢ .
- كتاب في اللوغارذمات اى الانساب ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٣ .
- اصول علم الهيئة ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٤ .
- كتاب التشخيص الطبيعى ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٤ .
- موعظة الافتخار بالصليب ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٤ .
- تاريخ الاصلاح ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٧ .
- اصول الباثولوجية الداخلية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٧ .
- البيان في قاعدة الايمان ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٧ .
- السهم الطيار والفخ القرار ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٨٢ .
- قصة بيت شونبرج وكوتا ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٨٥ .
- مجموعة النقش في الحجر :
- الجزء الاول — في الطبيعة والعلم ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٦ .
- الجزء الثاني — في علم الكيمياء ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٦ .
- الجزء الثالث — في الطبيعيات ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٦ .
- الجزء الرابع — في الجغرافية الطبيعية ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٧ .

الجزء الخامس - في الجيولوجية اى طبقات الصخور ، بيروت ، المطبعة الادبية ،

• ١٨٨٢

الجزء السادس - في علم الهيئة ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٨ •

الجزء السابع - في علم النبات ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٨ •

الجزء الثامن - في علم المنطق ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٩ •

كشف الاباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت ، مطبعة الاميركان (طبعة

رابعة) ، ١٨٨٩ •

كتاب اروا' الظما' من محاسن القبة الزرقا' ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٩٣ •

ابن حور ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٦ •

اصول الايمان المسيحي ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، لا ت •

قائمة بمقالات الدكتور كزيليوس فان ديك

- "في لذات العلم وفوائده" ، اعمال الجمعية السورية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٢ ، ص ١ - ١٠ .
- "في فضل المتأخرين على المتقدمين" ، اعمال الجمعية السورية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٢ ، ص ٧١ - ٧٥ .
- "اوجه المشابهة بين الحيوان والنبات" ، الجنان ، ج ١ (١٨٧٠) ، ص ١٠ - ١١ .
- "في البترول يوم اى الكاز" ، الجنان ، ج ١ (١٨٧٠) ، ص ٤٦٨ - ٤٧٠ .
- "الزيت الامركاني" ، الجنان ، ج ١ (١٨٧٠) ، ص ٢٣٧ .
- "الكربون" ، الجنان ، ج ١ (١٨٧٠) ، ص ٧٧ - ٧٩ ، ص ١١٢ - ١١٤ ، ص ١٤٠ - ١٤١ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ ، ص ٢٠٨ - ٢١١ .
- "الديدان وعلاجها" ، المقتطف ، ج ٢ (١٨٧٧) ، ص ٢٦٨ - ٢٧٠ .
- "الديدان وعلاجها" ، المقتطف ، ج ٣ (١٨٧٨) ، ص ١٠ - ١٣ .
- "الكلب" ، المقتطف ، ج ٤ (١٨٨٠) ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
- تاريخ اطباء اليونان والشرق ، المقتطف ، ج ١ (١٨٧٦) ، ص ٢٥ - ٢٧ ، ص ٤٩ - ٥١ ، ص ٧٣ - ٧٥ ، ص ٩٧ - ٩٨ ، ص ١٢١ - ١٢٣ ، ص ١٤٥ - ١٤٧ .
- الخطبة السنوية في المجمع العلمي الشرقي ، المقتطف ، ج ٧ (١٨٨٣) ، ص ٦٤١ - ٦٤٧ .
- مصائب قوم عند قوم فوائد" ، المقتطف ، ج ٩ (١٨٨٥) ، ص ٣٣٢ .
- ملخص خطاب العلامة الدكتور فان ديك لاجزاء كنيسة بيروت الانجيلية الوطنية ، النشرة الاسبوعية ، ج ٢٤ ، عدد ١٤٧٠ (١٨٩٤) ، ص ٩٨ - ٩٩ .

- "خطاب الدكتور فان ديك في الاحتفال لبويله الذهبي"، الهلال، ج ٤،
(١٨٩٦) ص ٤٣ - ٤٤ .
- رسالة الى كاتب باسبورتات السويس، محمد حسني العامري تاريخ ٢٩ ربيع اول
١٣١٣، الهلال، ج ٤ (١٨٩٦) ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- تقرير الدكتور فان ديك لكتاب اثار الادهار تاليف سليم الخوري، النشرة الاسبوعية،
العدد ٤ (١٩ ايار ١٨٧٤) ص ١٨٠ .
- مقدمة الدكتور كرنيليوس فان ديك لكتاب الجواهر الجوية ترجمة الدكتور فارس
نمر، الظواهر الجوية، بيروت، مطبعة الاميركان، ١٨٧٦، ص ٢ .
والمقتطف، ج ١ (١٨٧٦) ص ٧٢ .
- مقدمة الدكتور فان ديك لكتاب سر النجاح ترجمة الدكتور يعقوب صروف، سر
النجاح، بيروت، مطبعة الاميركان، ١٨٨٠، والنشرة الاسبوعية،
العدد ٣٢ (١٦ ايلول ١٨٨٠) ص ٢٨٨ . ولسان الحال، العدد،
٢٩٨ (١٦ ايلول ١٨٨٠) ص ١ .
- تقرير الدكتور فان ديك لكتاب الدروس الاولى في الفلسفة الطبيعية تاليف الن
جكسن، المقتطف، ج ٦ (١٨٨١) ص ١٢٩ - ١٣٠ .

" On the Present Condition of the Medical Profession in Syria".

Journal of American Oriental Society , Vol. I ,

(1849) PP. 561 - 591 .

" To the Editors of the " Muktataf" "

المقتطف، ج ٧ (١٨٨٣) ص ٧٦٠ .